دولة فلسطين

دار الإفتاء الفلسطينية

الرسول الأسوة
محمد صلى الله عليه وسلم

إعداد: الشيخ محمد أحمد حسين

المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية

خطيب المسجد الأقصى المبارك

الجزء الثالث عشر

القدس

1442هـ - 2021م

هدية

من إصدارات

دار الإفتاء الفلسطينية

القدس

1442هـ - 2021م

إعداد

الشيخ محمد أحمد حسين / المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية

مراجعة

الشيخ إبراهيم عوض الله / نائب المفتي العام

فريق العمل

منسق أعمال الفريق	أ. مصطفى أعرج
تدقيق لغوي	هالة عقل / إيمان تايه
تدقيق شرعي	نجود بدران/ حذيفة غنيمات
المونتاج وتصميم الغلاف	محمود طنينة

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين، سيدنا محمد الأمين، وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه من الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدّين، وبعد؛

فينهل المسلم من الهدي النبوي علوم دينه ودنياه، ويسير على درب المصطفى، صلى الله عليه وسلم، ليتمثل سيرته العطرة في حياته كلها، فرسول الله، صلى الله عليه وسلم، صاحب أعظم شخصية في التاريخ، كان زوجًا وأبًا، ومربيا، وحاكمًا، وسياسيًا، وقائداً ومحارباً، وزاهدًا وقاضيًا. وكون دار الإفتاء الفلسطينية تنبري لنشر الوعي الديني بين أبناء المجتمع، فيسرها أن تهدي لقرائها الأعزاء الجزء الثالث عشر من كتاب (الرسول الأسوة محمد، صلى الله عليه وسلم)، الذي يعرض بعضاً من هدي المصطفى، عليه الصلاة والسلام، وسيرته الطاهرة، بطريقة ميسرة، تمتاز ببساطة العرض، ووضوح الفكرة، ودقة المعلومة.ظ

ويضم هذا الإصدار ثمانية وخمسين مقالاً، سبق نشرها في زاوية الرسول الأسوة، صلى الله عليه وسلم، ضمن صفحة القدس الدينية التي تنشر كل يوم جمعة في صحيفة القدس، وشملت هذه المقالات موضوعات عديدة، منها: عبادات، ومعاملات، والسيرة النبوية، والمسرى والأسرى، وأخلاق وقيم.

وتأسياً بهدي الحبيب محمد، صلى الله عليه وسلم، القائل: (لَا يَشْكُرُ اللهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ)(*)، يسرني أن أتقدم بالشكر والتقدير من الذين ساهموا في إنجاز هذا العمل الطيب، من موظفي دار الإفتاء الفلسطينية، وصحيفة القدس، سائلاً المولى عز وجل أن يجعله في ميزان حسناتهم، وأن ينفع الله بعملهم المسلمين، كما أسأله عز وجل أن يديم دار الإفتاء الفلسطينية منهلاً للعلم والخير والهداية، إنه الموفق إلى سبيل الرشاد.

وأخيراً نقول: إن أصبنا في هذا الكتاب وغيره من الأعمال، فبنعمة من الله وفضل، وإن أخطأنا فمن عند أنفسنا، سائلين الله العفو والعافية، وقبول الأعمال الصالحة، بفضل جوده وكرمه.

الشيخ محمد أحمد حسين

المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية

خطيب المسجد الأقصى المبارك

1442هـ - 2021م

*سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في شكر المعروف، وصححه الألباني.

الفصل الأول / عبادات

الرسول الأسوة محمد، صلى الله عليه وسلم		
.1	ودعاؤه إذا قام من الليل - الحلقة الأولى	7
.2	ودعاؤه إذا قام من الليل - الحلقة الثانية	10
.3	ودعاؤه إذا قام من الليل - الحلقة الثالثة والأخيرة	13
.4	يبين أركان الإسلام	16
.5	يؤكد فرض صيام رمضان ويبين فضله	19
.6	يبشر الصائمين بمقامهم في الآخرة	22
.7	يربط قبول الصيام والمثوبة عليه بسلوك الصائم - الحلقة الأولى	25
.8	يربط قبول الصيام والمثوبة عليه بسلوك الصائم - الحلقة الثانية والأخيرة	28
.9	يودع رمضان بشد المئزر، وإحياء الليل، وإيقاظ الأهل	31
.10	يسن صيام الستة من شوال	34
.11	يبين فضل أيام من ذي الحجة	37
.12	يبين فضل عرفة والنحر والأضحى	40
.13	يبشر الحجاج والمعتمرين	43

الرسول الأسوة ﷺ

محمد، صلى الله عليه وسلم

ودعاؤه إذا قام من الليل

الحلقة الأولى

عن ابن عَبَّاسٍ، رضي الله عنهما، قال: (كان النبي، صلى الله عليه وسلم، إذا قام من اللَّيْلِ يَتَهَجَّدُ، قال: اللهم لك الحَمْدُ، أنت قَيِّمُ السموات وَالأَرْضِ، وَمَنْ فِيهِنَّ،

وَلَكَ الحَمْدُ، لك مُلْكُ السموات وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ،

وَلَكَ الحَمْدُ، أنت نُورُ السموات وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ،

وَلَكَ الحَمْدُ، أنت مَلِكُ السموات وَالأَرْضِ،

وَلَكَ الحَمْدُ، أنت الحَقُّ، وَوَعْدُكَ الحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ،

وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ، صلى الله عليه وسلم، حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ،

اللهم لك أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ،

فَاغْفِرْ لِي ما قَدَّمْتُ، وما أَخَّرْتُ، وما أَسْرَرْتُ وما أَعْلَنْتُ

أنت المُقَدِّمُ، وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ، لا إِلَهَ إلا أنت، أو لا إِلَهَ غَيْرُكَ)(*)

يخبر هذا الحديث الشريف عن دعاء للنبي، صلى الله عليه وسلم، كان يردده خلال قيامه من الليل يتهجد، وكان يبدأه بحمد الله، والشهادة له سبحانه بدوام القيام بتدبير أمور السماوات والأرض ومن فيهن، وأن له ملكهما، وهو نورهما، جاء في عمدة القاري، أن قوله: (إذا قام من اللَّيْلِ يَتَهَجَّدُ)، ظاهر الكلام: أنه كان يدعو بهذا الدعاء أول ما يقوم إلى الصلاة، ويخلص الثناء على الله تعالى بما هو أهله، والإقرار بوعده ووعيده، و قوله: (اللهمَّ) أصله يا الله، وقوله: (أنت قَيِّمُ السماوات وَالأَرْضِ) والقيم والقيام والقيوم بمعنى واحد، وهو

* صحيح البخاري، كتاب التهجد، باب التهجد بالليل وقوله عز وجل: (ومن الليل فتهجد به نافلة لك)(الإسراء: 79).

الدائم القيام بتدبير الخلق، المعطي له ما به قوامه، أو القائم بنفسه، المقيم لغيره، وقال ابن عباس القيوم هو الذي لا يزول، وقيل هو القائم على كل نفس، ومعناه مدبر أمرها، وقيل قيام على المبالغة، من قام بالشيء، إذا هيأ له جميع ما يحتاج إليه، وقيل قيم السموات والأرض خالقهما، وممسكهما أن تزولا، وقال قتادة معنى القيم القائم على خلقه، بآجالهم وأعمالهم وأرزاقهم.

قوله: (أنت نُورُ السماوات وَالأَرْضِ) أي منورهما، وقُرىء: {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ}[1] على صيغة الماضي، من التنوير، وقيل منزه في السموات والأرض من كل عيب، ومبرأ من كل ريبة، وقيل هو اسم مدح، يقال: فلان نور البلد، وشمس الزمان، وقال أبو العالية: مزين السموات بالشمس والقمر والنجوم، ومزين الأرض بالأنبياء والعلماء والأولياء، وقال ابن بطال: أنت نور السموات والأرض ومن فيهن، أي بنورك يهتدي من في السموات والأرض، وقيل: معناه ذو نور السموات والأرض.

قوله: (مُلْكُ السماوات وَالأَرْضِ) كذا في رواية الأكثرين، وفي رواية: (لك مُلْكُ السماوات وَالأَرْضِ) قوله: (أنت الحَقُّ) معناه المتحقق وجوده، وكل شيء صح وجوده وتحقق، فهو حق، ومنه قوله تعالى: {الْحَاقَّةُ}[2]؛ أي الكائنة حقاً بغير شك، وهذا الوصف لله تعالى بالحقيقة والخصوصية، ولا ينبغي لغيره، وقال ابن التين: يحتمل أن يكون معناه أنت الحق بالنسبة إلى من يدعي فيه أنه إله، أو بمعنى أن من سماك إلهاً، فقد قال الحق، وإنما عرف الحق في الموضعين، وهما أنت الحق، ووعدك الحق، ونكر في البواقي؛ لأن المسافة بين المعرف باللام الجنسية والنكرة قريبة، بل صرحوا بأن مؤداهما واحد، لا فرق إلاَّ بأن في المعرفة إشارة إلى أن الماهية التي دخل عليها اللام معلومة للسامع، وفي النكرة لا إشارة إليه، وقال الطيبي: عرفهما للحصر؛ لأن الله هو الحق الثابت الباقي، وما سواه في معرض الزوال، وكذا وعده مختص بالإنجاز دون وعد غيره، والتنكير في البواقي للتعظيم.

---

1. النور: 35.
2. الحاقة: 1.

قولـه: (وَوَعْـدُكَ الحَـقُّ) الوعـد يطلـق، ويـراد بـه الخـير والـشر كلاهمـا، والخـير أو الـشر خاصـة، قـال اللـه تعـالى: {الشَّـيْطَانُ يَعِدُكُـمُ الْفَقْـرَ}[1]، وليـس في وعـد اللـه خلـف، فـلا يخلـف الميعـاد، {وَيَجْـزِيَ الَّذِيـنَ أَحْسَـنُوا بِالْحُسْـنَى}[2]، إلاّ مـا تجـاوز عنـه، وقيـل في قولـه: {إِنَّ اللَّـهَ وَعَدَكُـمْ وَعْـدَ الحَـقِّ}[3]؛ أي وعـد الجنـة مـن أطاعـه، ووعـد النـار مـن كفـر بـه، ويحتمـل أن يريـد أن وعـده حـق، بمعـنى إثبـات أنـه قـد وعـد بالحـق بالبعـث، والحـشر، والثـواب، والعقـاب، إنـكاراً لقـول مـن أنكـر وعـده بذلـك، وكـذب الرسـل فيمـا بلغـوه مـن وعـده، ووعيـده.

قوله:(وَلِقَـاؤُكَ حَـقٌّ) اللقـاء البعـث، أو رؤيـة اللـه تعـالى، وقيـل المـوت، وفيه ضعـف، ورده النـووي. قولـه: (وَقَوْلُـكَ حَـقٌّ)؛ أي صـدق وعـدل، وقـال الكرمـاني: فـإن قلـت القـول يوصـف بالصـدق والكـذب، يقـال قـول صـدق أو كـذب، ولهـذا قيـل الصـدق هـو بالنظـر إلى القـول المطابـق للواقـع والحـق، بالنظـر إلى الواقـع المطابـق للقـول، وقـد يقـال أيضـاً قـول ثابـت، ثـم إنهمـا متلازمـان، قولـه: (وَالجَنَّـةُ حَـقٌّ، وَالنَّـارُ حَـقٌّ) فيـه الإقـرار بهمـا وبالأنبيـاء، وقـال ابـن التـين: فيـه ثلاثـة أوجـه؛ أحدهـا، أن خـبره بذلـك لا يدخلـه كـذب، ولا تغيـير، ثانيهـا، أن خـبر مـن أخـبر عنـه بذلـك، وبلغـه حـق، ثالثهـا، أنهمـا قـد خلقتـا[4].

عـلى أمـل متابعـة شرح مـا تبقـى مـن عبـارات وألفـاظ هـذا الحديـث الشريـف في الحلقـة القادمـة، وصـلى اللـه وسـلم عـلى نبينـا محمـد، وعـلى آلـه الطاهريـن، وأزواجـه أجمعـين، وعـلى مـن تبعـه بإحسـان إلى يـوم الديـن.

---

1. البقرة: 268.
2. النجم: 31.
3. إبراهيم: 22.
4. عمدة القاري 7 /166 - 167.

محمد، صلى الله عليه وسلم
ودعاؤه إذا قام من الليل
الحلقة الثانية

عـن ابـن عَبَّـاسٍ، رضي اللـه عنهمـا، قـال: (كان النـبي، صـلى اللـه عليـه وسـلم، إذا قـام مـن اللَّيْـلِ يَتَهَجَّـدُ، قـال: ... وَالنَّبِيُّـونَ حَـقٌّ، وَمُحَمَّـدٌ، صلى الله عليه وسلم، حَـقٌ، وَالسَّـاعَةُ حَـقٌّ، اللهـمَّ لـك أَسْـلَمْتُ، وَبِـكَ آمَنْـتُ، وَعَلَيْـكَ تَوَكَّلْـتُ، وَإِلَيْـكَ أَنَبْـتُ، وَبِـكَ خَاصَمْـتُ، وَإِلَيْـكَ حَاكَمْـتُ، فَاغْفِـرْ لِي مـا قَدَّمْـتُ، ومـا أَخَّـرْتُ، ومـا أَسْرَرْتُ، ومـا أَعْلَنْـتُ، أنـت المُقَـدِّمُ، وَأَنْـتَ المُؤَخِّـرُ، لا إِلَـهَ إلا أنـت، أو لا إِلَـهَ غَـيْرُكَ) [1]

وقفـت الحلقـة السـابقة عنـد شرح مجمـل للجـزء الأول مـن حديـث ابـن عبـاس، رضي اللـه عنهمـا، الـذي يـروي فيـه مـا كان النـبي، صـلى اللـه عليـه وسـلم، يقولـه إذا قـام مـن اللَّيْـلِ يَتَهَجَّـدُ، فـكان يبـدأ دعـاءه بحمـد اللـه، والثنـاء عليـه سـبحانه، فهـو سـبحانه قَيِّـمُ السـماوات وَالأَرْضِ، وَمَـنْ فِيهِـنَّ، وهـو نورهمـا، ومـن فيهـن، وهـو ملكهمـا، وهـو الحـق، ووعـده حـق، ولقـاؤه حـق، وقولـه حـق، والجنـة حـق، والنـار حـق.

والجـزء الثـاني مـن حديـث ابـن عبـاس، المشـار إليـه أعـلاه، حسـب مـا انتهـى عنـده الـشرح المجمـل في الحلقـة السـابقة، يبـدأ مـن قولـه صـلى اللـه عليـه وسـلم:(... وَالنَّبِيُّـونَ حَـقٌّ، وَمُحَمَّـدٌ، صـلى اللـه عليـه وسـلم حَـقٌّ، وَالسَّـاعَةُ حَـقٌّ...)

قولـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: (وَالنَّبِيُّـونَ حَـقٌّ) شـهادة وإقـرار بنبـوة النبيـين، فهـم مكلفـون بالنبـوة، مـن عنـد اللـه، وخـص محمـداً بالذكـر، رغـم أنـه مـن النبيـين، وإن كان داخـلاً فيهـم، وعطفـه عليهـم، مـن قبيـل عطـف الخـاص عـلى العـام تعظيمـاً.[2]

1.صحيح البخاري، كتاب التهجد، باب التهجد بالليل، وقوله عز وجل: {ومن الليل فتهجد به نافلة لك} الإسراء: 78)

2. حاشية السيوطي على سنن النسائي، 3 /210.

وجاء في عمدة القاري، أن قوله: (وَالسَّاعَةُ حَقٌّ)؛ أي يوم القيامة، وأصل الساعة القطعة من الزمان، ثم أطلق على يوم القيامة، فصار اسماً لها.

وقوله صلى الله عليه وسلم: (اللهمَّ لك أَسْلَمْتُ)؛ أي انقدت وخضعت لأمرك ونهيك، واستسلمت لجميع ما أمرت به، ونهيت عنه.

وقوله: (وَبِكَ آمَنْتُ)؛ أي صدقت بك، وبما أنزلت من أخبار وأمر ونهي، فظاهره أن الإيمان ليس بحقيقة الإسلام، وإنما الإيمان التصديق، وقال القاضي أبو بكر: الإيمان المعرفة بالله، والأول أشهر في كلام العرب، قال الله تعالى: {وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا}[1]؛ أي بمصدق، إلاّ أن الإسلام إذا كان بمعنى الانقياد والطاعة، فقد ينقاد المكلف بالإيمان، فيكون مؤمناً مسلماً، وقد يكون مصدقاً في بعض الأحوال دون بعض، فيكون مسلماً لا مؤمناً، وقال الخطابي: المسلم قد يكون مؤمناً في بعض الأحوال دون بعض، والمؤمن مسلم في الأحوال جميعها، فكل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمناً.

وقوله: (وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ)؛ أي فوضت الأمر إليك، قاطعاً للنظر عن الأسباب العادية، ويقال: أي تبرأت من الحول والقوة، وصرفت أمري إليك، وأيقنت أنه لن يصيبني إلاّ ما كتب لي وعليّ، ففوضت أمري إليك، ونِعْمَ المفوض إليه، قال الفراء: الوكيل الكافي.

وقوله: (وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ)؛ أي رجعت إليك في تدبير أمري، والإنابة الرجوع، أي رجعت إليك مقبلاً بالقلب عليك، ومعناه رجعت إلى عبادتك. وقوله: (وَبِكَ خَاصَمْتُ)؛ أي وبما أعطيتني من البرهان والسنان، خاصمت المعاند، وقمعته بالحجة والسيف. وقوله: (وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ)؛ أي كل من جحد الحق حاكمته إليك، وجعلتك الحاكم بيني وبينه، لا غيرك مما كانت تحاكم إليه الجاهلية؛ من صنم وكاهن ونار ونحو ذلك، والمحاكمة رفع القضية إلى الحاكم، وقيل: ظاهره أن لا يحاكمهم إلاّ الله، ولا يرضى إلا بحكمه، قال الله تعالى: {رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ}[2]

---

1. يوسف:17.

2. الأعراف: 89.

ثم من قوله: (لك أَسْلَمْتُ) إلى قوله: (وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ) قدم صلاة الأفعال المذكورة فيه؛ للإشعار بالتخصيص، وإفادة الحصر، وكذلك في قوله: (ولك الحمد) في أربعة مواضع.

وقوله: (فَاغْفِرْ لِي ما قَدَّمْتُ وما أَخَّرْتُ) إنما قال ذلك صلى الله عليه وسلم، مع أنه مغفور له، لوجهين: أحدهما: للتواضع، وهضم النفس، والإجلال لله تعالى، والتعظيم له عز وجل.

الثاني: للتعليم لأمته، ليقتدوا به في أصل الدعاء والخضوع، وحسن التضرع، والرغبة والرهبة، والمغفرة تغطية الذنب، وكل ما غطى فقد غفر، ومنه المغفرة.

وقوله: (ما قَدَّمْتُ)؛ أي قبل هذا الوقت، (وما أَخَّرْتُ) عنه.

أمر الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، بالإشفاق والدعاء إلى الله تعالى، والرغبة إليه أن يغفر ما يكون من غفلة تعتري البشر، وما قدم ما مضى، وما أخّر ما يستقبل، وذلك مثل قوله تعالى: {لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ}[1]، وقال أهل التفسير: الغفران في حقه يتناول من أفعاله الماضي والمستقبل.

وقوله: (وما أَسْرَرْتُ وما أَعْلَنْتُ)؛ أي وما أخفيت، (وما أَعْلَنْتُ)؛ أي وما أظهرت، أو المعنى ما حدثت به نفسي، وما تحرك به لساني.وقوله: (أَنت الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ) قال ابن التين: أنت الأول، وأنت الآخر. [2]

آملين في الحلقة القادمة التمكن من بيان أهمية حديث ابن عباس سالف الذكر، ومتابعة الوقوف عند المزيد من ذكر دعاء التهجد وقيام الليل، حسب ما جاء عنه صلى الله عليه وسلم، وعلى آله الطاهرين، وأزواجه أجمعين، وعلى من تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

---

1. الفتح: 2.

2. عمدة القاري، 7/ 167.

محمد، صلى الله عليه وسلم
ودعاؤه إذا قام من الليل
الحلقة الثالثة والأخيرة

عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عَوْفٍ، قال: (سَأَلْتُ عَائِشَةَ أُمَّ المُؤْمِنِينَ: بِأَيِّ شَيْءٍ كان نَبِيُّ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، يَفْتَتِحُ صَلاتَهُ إذا قام من اللَّيْلِ؟ قالت: كان إذا قام من اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلاتَهُ: اللهمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أنت تَحْكُمُ بين عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فيه يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فيه من الحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي من تَشَاءُ إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ).[1]

وقفت الحلقتان السابقتان عند شرح مجمل لحديث ابن عباس، رضي الله عنهما، الذي يروي فيه ما كان النبي، صلى الله عليه وسلم، يقوله: إذا قام من اللَّيْلِ يَتَهَجَّدُ، وعن أهمية هذا الحديث الشريف يذكر ابن حجر العسقلاني عن الكرماني، قوله: هذا الحديث من جوامع الكلم؛ لأن لفظ القيِّم إشارة إلى أن وجود الجواهر، وقوامها منه، والنور إلى أن الأعراض أيضاً منه، والملك إلى أنه حاكم عليها، إيجاداً وإعداماً، يفعل ما يشاء، وكل ذلك من نعم الله تعالى على عباده، فلهذا قرن كلاً منها بالحمد، وخصص الحمد به، ثم قوله: (أَنْتَ الحقّ) إشارة إلى المبدأ والقول ونحوه إلى المعاش، والساعة ونحوها إشارة إلى المعاد.

وفيه الإشارة إلى النبوة، وإلى الجزاء ثواباً وعقاباً، ووجوب الإيمان والإسلام، والتوكل والإنابة، والتضرع إلى الله تعالى، والخضوع له.

وفيه زيادة معرفة النبي، صلى الله عليه وسلم، بعظمة ربه، وعظيم قدرته، ومواظبته على الذكر والدعاء، والثناء على ربه، والاعتراف له بحقوقه، والإقرار بصدق وعده ووعيده، وفيه استحباب تقديم الثناء على المسألة عند كل مطلوب، اقتداء به صلى الله عليه وسلم.[2]

1. صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه.
2. فتح الباري، 3/ 5.

افتتاح صلاة قيام الليل:

أم المؤمنين عائشة، رضي الله عنها، تجيب في الحديث أعلاه عن استفهام حول ما كان يفتتح به النبي، صلى الله عليه وسلم، صلاته إذا قام من الليل، فكان يقول: (اللهم رَبَّ جَبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أنت تَحْكُمُ بين عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فيه يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فيه من الحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي من تَشَاءُ إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)

وتخصيص الملائكة جبريل وميكائيل وإسرافيل بالإضافة، مع أنه تعالى رب كل شيء؛ لتشريفهم وتفضيلهم على غيرهم، وفسَّر بعض العلماء تقديم جبريل بالذكر هنا؛ لأنه أمين الكتب السماوية، فسائر الأمور الدينية راجعة إليه، وأخر إسرافيل؛ لأنه أمين اللوح المحفوظ والصور، فإليه أمر المعاش والمعاد، ووسط ميكائيل؛ لأنه أخذ بطرف من كل منهما؛ لأنه أمين القطر والنبات ونحوهما، مما يتعلق بالأرزاق المقومة للدين والدنيا والآخرة. [1]

ويذكر النووي أن كل ذلك وشبهه وصف له سبحانه بدلائل العظمة، وعظيم القدرة والملك، ولم يستعمل ذلك فيما يحتقر ويستصغر، فلا يقال رب الحشرات، وخالق القردة والخنازير، وإنما يقال خالق المخلوقات، وخالق كل شيء، وحينئذ تدخل هذه في العموم، والله أعلم.[2]

ومعنى فاطر السماوات والأرض؛ أي مخترعهما وموجدهما على غير مثال. [3]

ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم: (عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ)؛ أي بما غاب وظهر عند غيره، (أنت تَحْكُمُ بين عِبَادِكَ) يوم القيامة، بالتمييز بين المحق والمبطل، بالثواب والعقاب، (فِيمَا كَانُوا فيه يَخْتَلِفُونَ) من أمر الدين في أيام الدنيا، (اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فيه من الحَقِّ) من بيان لما (بِإِذْنِكَ)؛ أي بتوفيقك وتيسيرك، (إِنَّكَ تَهْدِي من تَشَاءُ إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) جملة مستأنفة متضمنة للتعليل. [4]

---

1. عون المعبود، 2 /334.
2. صحيح مسلم بشرح النووي، 6/ 57.
3. تحفة الأحوذي، 9/ 237.
4. عون المعبود، 2 /334.

خلاصة المستنبط من دعاء قيام الليل واستفتاحه:

الحديث الشريف الذي بين أيدينا وسابقه، يظهران نمط المناجاة التي كان يناجي بها الرسول، صلى الله عليه وسلم، ربه جل في علاه، عند افتتاح صلاة تهجده من الليل وخلالها، فكان يركز على إخلاص الثناء عليه سبحانه، وكان ينتقي لذلك ذكراً خاصاً، تتجلى فيه معاني الإقرار لله سبحانه بالإجلال والإكبار، وبعد الثناء المشتمل على الشهادة لله تعالى، بما هو أهله سبحانه، وتأكيد حمده، كان عليه الصلاة والسلام، يشهد بنبوة الأنبياء، عليهم السلام، ويخص نبوته بالشهادة، ويقر بالساعة، وكل هذا وذاك ينسجم مع مفهوم الإيمان وأركانه ومقتضياته، وكان يتبع هذه المقدمات العقائدية والتعبدية بطلب العفو من الله والمغفرة، ثم كان يختم دعاءه بمثل ما بدأ به من الشهادة لله سبحانه بما هو أهله، والإقرار بوحدانيته.

والملاحظ أن دعاء افتتاح التهجد تميز بعد ذكر الإقرار لله سبحانه بالربوبية والقدرة على تصريف أمور السماوات، الشَّهَادَة له سبحانه بعلم الغيب والشهادة، وأنه يحْكُمُ بين عِبَادِه فِيمَا كَانُوا فيه يَخْتَلِفُونَ، وكان عليه الصلاة والسلام، يسأل الله الهدى، وينبع دعاؤه من عقيدة إيمانية راسخة، ويترجم حالة تعبدية خالصة، ويشمل رجاء صلاح شأن العابد في الدنيا والآخرة، سائلين الله العلي القدير أن يهدينا في صلاتنا وقيامنا ودعائنا ونهج حياتنا، للتأسي بنبينا الكريم، محمد، صلى الله عليه وسلم، وعلى آله الطاهرين، وأزواجه أجمعين، وعلى من تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

محمد، صلى الله عليه وسلم
يبين أركان الإسلام

عن ابن عُمَرَ، رضي الله عنهما، قال: قال رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم: (بُنِيَ الإِسْلامُ على خَمْسٍ؛ شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إلا الله، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رسول اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ) [1]، هذا الحديث له أهمية خاصة، لتعلقه بعقيدة الإسلام، وأبرز فروضه العملية، من هنا اعتبره بعض العلماء من الأحاديث التي يدور عليها مدار الإسلام، فعن ابن المديني، وعبد الرحمن بن مهدي: أن مدار الإسلام على أربعة أحاديث: (الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ)، و(لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلاَّ بِإِحْدَى ثَلاَثٍ)، و(بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ)، و(البَيِّنَةُ عَلَى المُدَّعِي، وَالْيَمِينُ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ)[2]

تشبيه الإسلام بالبناء:

رسالة الإسلام جاءت مكملة للرسالات السماوية الأخرى، وكانت بمثابة لبنة أُكمل بها صرح النبوات، فعن أبي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، قال: (إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ من قَبْلِي، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا، فَأَحْسَنَهُ، وَأَجْمَلَهُ، إلا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ من زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ الناس يَطُوفُونَ بِهِ، وَيَعْجَبُونَ له، وَيَقُولُونَ: هَلَّا وُضِعَتْ هذه اللَّبِنَةُ؟ قال: فَأَنَا اللَّبِنَةُ، وأنا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ)[3]

فالديانات مثل البناء، وكذلك الإسلام، والرسول، صلى الله عليه وسلم، يشبه في هذا الحديث الشريف أعلاه الإسلام بالبناء، الذي يقوم على دعائم خمس، يختل وجوده بفقدان أي منها، يقول أبو الحسن السندي: وهذا ظاهر في أنه لا بد من اجتماع هذه الأمور الخمسة؛

1. صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب قول النبي، صلى الله عليه وسلم: بني الإسلام على خمس.
2. البدر المنير: 1/ 662.
3. صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب خاتم النبيين، صلى الله عليه وسلم.

ليكون الإسلام سالماً عن خطر الزوال، وكلما زال واحد من هذه الأمور، يخاف زوال الإسلام بتمامه، وللتنبيه على هذا المعنى أتى بلفظ البناء، وفيه تشبيه الإسلام ببيت مخمسة زواياه، وتلك الزوايا أجزاؤه، فبوجودها أجمع، يكون البيت سالماً، وعند زوال واحد يخاف على تمام البيت.[1]

تعريف مجمل بأركان الإسلام وأهميتها:

يتضح من الحديث أعلاه أنه يحدد أركان الإسلام بخمسة، وقد جاء في مرقاة المفاتيح، أنه لتلازم الشهادتين شرعاً، جعلتا خصلة واحدة، ولا بد في صحة الإسلام من الإتيان بهما على التوالي والترتيب، وإقام الصلاة؛ أي المفروضة، وإيتاء الزكاة؛ أي إعطائها وتمليكها لمصارفها، والمراد بها الصدقة المكتوبة، والحج بفتح الحاء، وكسرها مصدران، وفي رواية (وحج البيت)؛ أي قصده لأداء النسك.

وصوم رمضان؛ أي أيامه، بشرائط وأركان معلومة، قيل: فيه حذف شهر، وفيه أن رمضان اسم للشهر، وقوله تعالى: {شَهْرُ رَمَضَانَ}[2]، إضافته بيانية، قال النووي: ذكر البخاري هذا الحديث في مفتتح كتاب الإيمان؛ ليبين أن الإسلام يطلق على الأفعال، وأن الإسلام والإيمان قد يكونان بمعنى واحد، وقال ابن حجر: وجه ذكر الأربعة الأخيرة مع الشهادتين، وإن توقف الدخول في الإسلام عليهما فقط للتنبيه على تعظيم شأنها، وأنها أظهر شعائر الإسلام؛ إذ بها يتم الاستسلام، وبترك بعضها ينحل قيد الانقياد، ولم يذكر الجهاد؛ لأنه فرض كفاية إلا في بعض الأحوال، والكلام في فروض العين، التي هي أعظم شعائر الإسلام.[3]

حصر هذه الأركان وترتيبها:

بالنسبة إلى حصر الأركان بهذه، يقول العيني: إن وجه حصر أركان الإسلام في هذه الخمسة؛ بأن العبادة إما قولية، وهي الشهادة، أو غير قولية، فهي إما تركي، وهو الصوم، أو فعلي، وهو إما بدني، وهو الصلاة، أو مالي، وهو الزكاة، أو مركب منهما، وهو الحج.

---

1. حاشية السندي على سنن النسائي: 8 /108.
2. البقرة: 185.
3. مرقاة المفاتيح: 1/ 131 - 132.

وفيما يتعلق بوجه الترتيب بين هذه الأركان، فالحكمة في ذلك، أن الإيمان أصل للعبادات، فتعين تقديمه، ثم الصلاة؛ لأنها عماد الدين، ثم الزكاة؛ لأنها قرينة الصلاة، ثم الحج للتغليظات الواردة فيه ونحوها، فبالضرورة يقع الصوم آخراً.[1]

وإلى جانب الحديث الصحيح أعلاه، جاءت روايات تؤكد تقدم ذكر الحج على الصوم، فعن ابن عُمَرَ، عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال:(بُنِيَ الإِسْلامُ على خَمْسٍ؛ على أَنْ يُعْبَدَ اللهَ، وَيُكْفَرَ بِمَا دُونَهُ، وَإِقَامِ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ)[2]

وهناك روايات صحيحة أخرى، تقدم فيها ذكر الصيام على ذكر الحج، فعن ابن عُمَرَ، عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: (بُنِيَ الإِسْلامُ على خَمْسَةٍ؛ على أَنْ يُوَحَّدَ اللهَ، وَإِقَامِ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصِيَامِ رَمَضَانَ، وَالحَجِّ. فقال رَجُلٌ: الحَجُّ وَصِيَامُ رَمَضَانَ؟ قال: لا، صِيَامُ رَمَضَانَ وَالحَجُّ، هَكَذَا سَمِعْتُهُ من رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم)[3] وقد اختلف العلماء في الجمع بين الروايات، بناء على اختلافهم في حكم رواية الحديث بالمعنى، أو لأن الصيام سبق الحج الذي فرض بعد السنة السادسة للهجرة، بينما فرض الصيام في السنة الثانية.

يقول صاحب مرقاة المفاتيح: وكلاهما صحيح، ولذا قدم البخاري كتاب الحج على الصوم، والجمهور أخروه عن جميع العبادات؛ لكون وجوبه يتعلق بآخر العمر.[4]

سائلين الله العلي القدير أن يهدينا لنحافظ على أركان دينه القويم، كما حافظ عليها نبينا الكريم، محمد بن عبد الله، عليه الصلاة وأفضل التسليم، وعلى آله الطاهرين، وأزواجه أجمعين، وأصحابه الغر الميامين، وعلى من تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

---

1. عمدة القاري:1 /120.
2. صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب قول النبي، صلى الله عليه وسلم: (بني الإسلام على خمس).
3. التخريج نفسه.
4. مرقاة المفاتيح، 1 /132.

الرسول الأسوة ﷺ

محمد، صلى الله عليه وسلم
يؤكد فرض صيام رمضان ويبين فضله

عـن أبي هُرَيْـرَةَ، رضي اللـه عنـه: (أَنَّ أَعْرَابِيًّـا أتى النـبي، صـلى اللـه عليـه وسـلم، فقـال: دُلَّـنِي عـلى عَمَـلٍ إذا عَمِلْتُـهُ دَخَلْـتُ الْجَنَّـةَ، قـال: تَعْبُـدُ اللَّـهَ لَا تُـشْرِكُ بِـهِ شـيئاً، وَتُقِيـمُ الصَّـلاةَ المَكْتُوبَـةَ، وَتُـؤَدِّي الـزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَـةَ، وَتَصُـومُ رَمَضَـانَ، قـال: وَالَّـذِي نَفْـسِي بيـده، لا أَزِيـدُ عـلى هـذا، فلمـا وَلَّى، قـال النـبي، صـلى اللـه عليـه وسـلم: مـن سَرَّهُ أَنْ يَنْظُـرَ إلى رَجُـلٍ مـن أَهْـلِ الْجَنَّـةِ، فَلْيَنْظُـرْ إلى هـذا)[1]

يؤكـد هـذا الحديـث الشريـف فـرض صيـام شـهر رمضـان في الإسـلام، فالرسـول، صـلى اللـه عليـه وسـلم، وجـه طالـب الجنـة إلى صومـه، إلى جانـب أداء كل مـن الصـلاة والـزكاة المفروضتـين، شريطـة انطـلاق هـذا الأداء مـن قصـد التعبـد للـه، مـن غـير شرك بـه سـبحانه، وهـذا يؤكـد مـا جـاء في حديـث أركان الإسـلام، وقولـه تعـالى في القـرآن الكريـم: {يَـا أَيُّهَـا الَّذِيـنَ آمَنُـواْ كُتِـبَ عَلَيْكُـمُ الصِّيَـامُ كَمَـا كُتِـبَ عَـلَى الَّذِيـنَ مِـن قَبْلِكُـمْ لَعَلَّكُـمْ تَتَّقُـونَ}[2]، ومعـنى كتـب: أي فـرض، وأمـر اللـه أيضـاً بصيـام رمضـان في قولـه جـل في عـلاه: {شَـهْرُ رَمَضَـانَ الَّـذِي أُنـزِلَ فِيـهِ الْقُـرْآنُ هُـدًى للنَّـاسِ وَبَيِّنَـاتٍ مـنَ الْهُـدَى وَالْفُرْقَـانِ فَمَـن شَـهِدَ مِنكُـمُ الشَّـهْرَ فَلْيَصُمْـهُ وَمَـن كَانَ مَرِيضـاً أَوْ عَـلَى سَـفَرٍ فَعِـدَّةٌ مـنْ أَيَّـامٍ أُخَـرَ يُرِيـدُ اللّـهُ بِكُـمُ الْيُـسْرَ وَلاَ يُرِيـدُ بِكُـمُ الْعُـسْرَ وَلِتُكْمِلُـواْ الْعِـدَّةَ وَلِتُكَـبِّرُواْ اللّـهَ عَـلَى مَـا هَدَاكُـمْ وَلَعَلَّكُـمْ تَشْـكُرُونَ}[3]

وذكـر كبـار الصحابـة، رضي اللـه عنهـم، في أحاديثهـم الصحيحـة فـرض الصيـام، فابـن عُمَـرَ، رضي اللـه عنهمـا، قـال: (صَـامَ النـبي، صـلى اللـه عليـه وسـلم، عَاشُـورَاءَ، وَأَمَـرَ بِصِيَامِـهِ، فلمـا فُـرِضَ رَمَضَـانُ تُـرِكَ)[4]

1. صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة.
2. البقرة: 183.
3. البقرة: 185.
4. صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب وجوب صوم رمضان.

وعن عَائِشَةَ، رضي الله عنها: (أَنَّ قُرَيْشًا كانت تَصُومُ يوم عَاشُورَاءَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، ثُمَّ أَمَرَ رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، بِصِيَامِهِ حتى فُرِضَ رَمَضَانُ)[1]، فبعد فرض صيام رمضان، خرج الصيام الآخر إلى دائرة المسنون، أو دائرة الفدية والكفارات، ففرض الصيام الذي يتعلق بزمن محدد ومتكرر يخص شهر رمضان دون سواه.

وصيام رمضان فرض، بين العلماء بالاستناد إلى مبادئ الشريعة الغراء، شروط وجوبه، وهي: الإسلام، والبلوغ، والعقل، والقدرة، والإقامة، والطهارة من الحيض والنفاس.

فضل رمضان وصيامه:

لصيام شهر رمضان فضل عظيم، أعظمه غفران الذنوب، فعن أبي هُرَيْرَةَ، قال: قال رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم: (من صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِهِ)[2]

ومن فضائله فتح أبواب الجنة بمجيئه، فرَسُول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، يقول: (إذا جاء رَمَضَانُ، فُتِحَتْ أَبْوَابُ الجَنَّةِ)[3]

وفي رواية صحيحة تفصيلية أخرى، عبر عن فتح أبواب الجنة عند مجيء رمضان، بفتح أبواب السماء، إضافة إلى إغلاق أبواب جهنم، وتصفيد الشياطين، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه، يقول: قال رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم: (إذا دخل شَهْرُ رَمَضَانَ، فُتِّحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ، وَسُلْسِلَتْ الشَّيَاطِينُ)[4]

ومن فضائل رمضان، أن الله سبحانه خصص للصائمين باباً من أبواب الجنة، لا يدخل منه إلا الصائمون، فعن سَهْلٍ، رضي الله عنه، عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: (إِنَّ فِي الجَنَّةِ بَابًا، يُقَالُ له: الرَّيَّانُ، يَدْخُلُ منه الصَّائِمُونَ يوم الْقِيَامَةِ، لَا يَدْخُلُ منه أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، يُقَالُ: أَيْنَ الصَّائِمُونَ؟ فَيَقُومُونَ، لا يَدْخُلُ منه أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، فإذا دَخَلُوا، أُغْلِقَ، فلم يَدْخُلْ منه أَحَدٌ)[5]

---

1. صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب وجوب صوم رمضان.
2. صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب صوم رمضان احتساباً من الإيمان.
3. صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب هل يقال رمضان أو شهر رمضان، ومن رأى كله واسعاً.
4. التخريج نفسه.
5. صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب الريان للصائمين.

بداية الشهر ونهايته:

مـن بديهيـات العلـم والمعرفـة أن الأشـهر القمريـة تتعلـق ببدايـات بعضهـا ونهاياتهـا أحـكام تعبديـة، منهـا مـا يخـص البـدء بصيـام شـهر رمضـان، والانتهـاء منـه، ومنهـا مـا يخـص أيـام الحـج، وغـير ذلـك، فعـن ابـن عُمَـرَ، رضي اللـه عنهمـا، قـال: (سـمعت رَسُـولَ اللَّـه، صـلى اللـه عليـه وسـلم، يقـول: إذا رَأَيْتُمُـوهُ فَصُومُـوا، وإذا رَأَيْتُمُـوهُ فَأَفْطِـرُوا، فَـإِنْ غُـمَّ عَلَيْكُـمْ، فَاقْـدُرُوا لـه)[1]

وعـدا عـن لـزوم البـدء بصيامـه بعـد ثبـوت رؤيـة هلالـه، والكـف عـن الصيـام بعـد ثبـوت رؤيـة شـهر شـوال التـالي لـه، هنـاك أحـكام شرعيـة خاصـة بتوقيـت شـهر رمضـان، منهـا النهـي عـن صيـام يـوم أو اثنـين قبـل ثبـوت الرؤيـة الشرعيـة لهلالـه، فعـن أبي هُرَيْـرَةَ، رضي اللـه عنـه، عـن النـبي، صـلى اللـه عليـه وسـلم، قـال: (لا يَتَقَدَّمَـنَّ أحدكـم رَمَضَـانَ بِصَـوْمِ يَـوْمٍ أو يَوْمَـيْنِ، إلا أَنْ يَكُـونَ رَجُـلٌ كان يَصُـومُ صَوْمَـهُ، فَلْيَصُـمْ ذلـك اليَـوْمَ)[2]

فرمضـان شـهر فـرض اللـه صيامـه، ووعـد صائميـه بالمغفـرة، ودخـول الجنـة مـن بابهـا الريـان، وهيـأ لهـم أجـواء نقيـة مـن مؤثـرات الشـياطين، وموعدنـا هـذا العـام مسـاء التاسـع والعشريـن مـن شـعبان 1440هـ، وفـق الخامـس مـن أيـار2019م، مـع متابعـة مراقبـة وتحـري رؤيـة هـلال شـهر رمضـان، فـإن ثبتـت الرؤيـة ليلتئـذ، فيكـون اليـوم التـالي هـو الأول مـن أيـام شـهر رمضـان، وإلا فيكـون المتمـم لشـهر شـعبان، ويكـون يـوم الثلاثـاء الـذي يليـه هـو الأول منـه، بلّغنـا اللـه رمضـان، وأعاننـا عـلى صيامـه وحسـن قيامـه، عـلى سـنة نبينـا الكريـم محمـد، صـلى اللـه عليـه وسـلم، وعـلى آلـه الطاهريـن، وأزواجـه أجمعـين، وأصحابـه الغـر الميامـين، ومـن تبعـه بإحسـان إلى يـوم الديـن.

1. صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب هل يقال رمضان أو شهر رمضان ومن رأى كله واسعاً.
2. صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب لا يتقدم رمضان بصوم يوم ولا يومين.

محمد، صلى الله عليه وسلم
يبشر الصائمين بمقامهم في الآخرة

عن طَلْحَة بن عُبَيْدِ اللَّهِ، قال: (جاء رَجُلٌ إلى رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، من أَهْلِ نَجْدٍ ثَائِرَ الرَّأْسِ، يُسْمَعُ دَوِيُّ صَوْتِهِ، ولا يُفْقَهُ ما يقول، حتى دَنَا، فإذا هو يَسْأَلُ عن الإِسْلامِ، فقال رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم : خَمْسُ صَلَوَاتٍ في الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، فقال: هل عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قال: لا، إلا أَنْ تَطَوَّعَ، قال رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم: وَصِيَامُ رَمَضَانَ، قال: هل عَلَيَّ غَيْرُهُ؟ قال: لَا، إلا أَنْ تَطَوَّعَ، قال: وَذَكَرَ له رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، الزَّكَاةَ، قال: هل عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قال: لا إلا أَنْ تَطَوَّعَ، قال: فَأَدْبَرَ الرَّجُلُ، وهو يقول: والله لا أَزِيدُ على هذا، ولا أَنْقُصُ، قال رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، أَفْلَحَ إن صَدَقَ)[1]

يتضح من هذا الحديث الشريف أن صيام رمضان من الأركان الرئيسة، التي حين يحافظ المسلم على الالتزام بها، على الوجه المشروع، تضمن له النجاة في الآخرة، والفوز بالجنة، حتى إن الرسول، صلى الله عليه وسلم، حثَّ في رواية صحيحة أخرى من يرغب في النظر إلى شخص من أهل الجنة بالنظر إلى هذا الشخص، الذي تعهد بأداء فرائض الإسلام، دون أن يزيد عليها، حيث قال النبي، صلى الله عليه وسلم: (من سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إلى رَجُلٍ من أَهْلِ الجَنَّةِ، فَلْيَنْظُرْ إلى هذا)[2]

الفوز والنجاة بأداء الأركان:

مما يدل عليه هذا الحديث أن العبرة ليست بكميات الأفعال والقربات، بقدر ما هي بنوعيتها وأنواعها، فالفرائض والأركان العظيمة، التي تؤدى بصدق وإخلاص، وعلى الوجه المشروع دون نقص ولا زيادة، ترتقي بمؤديها إلى أن ينال النجاح في امتحان الآخرة، وما أدراك

1. صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب الزكاة من الإسلام.
2. صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة.

ما هو؟ يوم توفى كل نفس ما كسبت، وتشهد على الإنسان جوارحه بما كان يقول ويفعل، مصداقاً لقوله تعالى: {الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}[1]، ويقول عز وجل: {وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنشُوراً* اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً}[2]

فالذي يؤدي أركان الإسلام على الوجه السليم، يضمن لنفسه مقاماً محموداً في الآخرة، يوم يؤتى الناس كتب أعمالهم، فيفوز آخذوها بأيمانهم، ويخسر الذين يأخذونها بشمائلهم، حيث يقول تعالى: {يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ* فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءوا كِتَابِيهْ* إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيهْ* فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ* فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ* قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ* كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ* وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَالَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهْ* وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهْ* يَالَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ* مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهْ* هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهْ* خُذُوهُ فَغُلُّوهُ*ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ* ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ* إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ* وَلا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ* فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ* وَلا طَعَامٌ إِلا مِنْ غِسْلِينٍ* لا يَأْكُلُهُ إِلا الخَاطِئُونَ}[3]

فلا غرابة من بشارة النبي، صلى الله عليه وسلم، لمن التزم بأداء أركان الإسلام دون سواها من فضائل الأعمال، إذ المحافظة على حسن أدائها، يعني الاستقامة على صراط الله القويم، وقد حرص عقلاء الخلق ومؤمنوهم على العمل وفق هذا الصراط، ليفوزوا بالجنة، وينجوا من النار، فعلى لسان نبي الله وخليله إبراهيم، عليه السلام، يقول عز وجل: {وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ* وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ* وَاغْفِرْ لأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ* وَلا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ* يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ* إِلا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ* وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ* وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ} [4]

---

1. يس: 65.
2. الإسراء: 13 - 14.
3. الحاقة: 18 - 37.
4. الشعراء: 84 - 91

خصائص للصائمين:

الشواهد القرآنية سالفة الذكر إضافة لحديث طلحة بن عبيد الله، تدل على مقام عباد الله المخلصين في الآخرة، ومنهم الصائمون الذين تم تذكيرهم في حلقة سابقة بوعد الصائمين المحتسبين أن يغفر الله لهم ما تقدم من ذنوبهم، وما تأخر، ووعدوا بأن يدخلوا الجنة من باب الريان، الذي خصص لهم، ولم يقتصر اختصاص الصيام على هذا التخصيص، بل إن الله تعالى خص نفسه بالصيام وجزائه، فعن أبي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه، عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: (كُلُّ عَمَلِ بن آدَمَ له، إلا الصَّوْمَ، فإنه لي، وأنا أَجْزِي بِهِ، وَلَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ من رِيحِ المِسْكِ) [1]، وإضافة إلى ذلك فالصائمون وعدوا بمباعدة وجوههم عن النار، فعن أبي سَعِيدٍ، رضي الله عنه، قال: سمعت النبي، صلى الله عليه وسلم، يقول: (من صَامَ يَوْمًا في سَبِيلِ اللَّهِ، بَعَّدَ الله وَجْهَهُ عن النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا) [2]

باعد الله وجوهنا والمؤمنين والمؤمنات عن النار، وأعاننا الله على صيام رمضان، وحسن قيامه، على الوجه الذي يرضيه سبحانه، على سنة نبينا الكريم محمد، صلى الله عليه وسلم، وعلى آله الطاهرين، وأزواجه أجمعين، وأصحابه الغر الميامين، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

1. صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب ما يذكر في المسك.
2. صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب فضل الصوم في سبيل الله.

الرسول الأسوة ﷺ

محمد، صلى الله عليه وسلم

يربط قبول الصيام والمثوبة عليه بسلوك الصائم

الحلقة الأولى

عـن أبي هُرَيْـرَةَ، رضي الله عنـه، قـال: قـال رسـول اللَّـهِ، صـلى الله عليـه وسـلم: (مـن لـم يَـدَعْ قَـوْلَ الـزُّورِ، وَالعَمَـلَ بِـهِ، فَلَيْـسَ لِلَّـهِ حَاجَـةٌ فِي أَنْ يَـدَعَ طَعَامَـهُ وَشَرَابَـهُ)[1]

هـذا الحديـث الشريـف كثـيراً مـا يـردده المسـلمون، وبخاصـة الدعـاة، والخطبـاء، والمدرسـون في المسـاجد وغيرهـا، ولا ريـب أن في اسـتيعاب معـاني هـذا الحديـث وتدبـره فوائـد عمليـة تنبغـي مراعاتهـا.

ومعـنى هـذا الحديـث ينسـجم مـع المفهـوم الشـامل للعبـادة، الـتي حـدد سـبحانه غايـة خلـق الجـن والإنـس بهـا، فقـال تعـالى: {وَمَـا خَلَقْـتُ الجِـنَّ وَالإِنـسَ إِلا لِيَعْبُـدُونِ}[2]، فالغايـة الـتي خلـق اللـه الجـن والإنـس لهـا، وبعـث جميـع الرسـل يدعـون إليهـا، هـي عبادتـه المتضمنـة لمعرفتـه، ومحبتـه، والإنابـة إليـه، والإقبـال عليـه، والإعـراض عمـا سـواه.[3]

سلوك العابدين:

بمقتـضى الدلالـة الشـاملة للعبـادة، فإنهـا لا تقتـصر عـلى الشـعائر والفرائـض والأركان التعبديـة، وإنمـا تتجـاوز ذلـك، لتشـمل كل مـا يصـدر عـن المـرء مـن سـلوك يقصـد بـه التقـرب إلى اللـه، ونيـل مثوبتـه، والتحـرز عـن مسـببات سـخطه، فالعابد الحـق ينسـجم بيعـه، وشراؤه، وزواجه، وقولـه، وعملـه في شـأنه كلـه، مـع منهـج العبـادة الـتي يؤديهـا وهـو يصـوم، ويصـلي، ويـزكي، ويحـج، مـن هنـا نبـه عليـه الصـلاة والسـلام، إلى خطـورة التناقـض بـين المنهجـين، بـين الـذي يصـوم للـه،

1. صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم.
2. الذاريات: 56.
3. تفسير السعدي 1 /813.

ويعمل الخطايا من أمثال قول الزور، والعمل به، فالله يأمر بعبادته، وهو سبحانه غني عن العالمين، وقد أشار إلى هذه اللفتة سبحانه في مواضع قرآنية عدة، فبيانه للغاية من الخلق حسب آية الذاريات سالفة الذكر، ألحقه بقوله تعالى: {مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِن رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ} [1]، وفي سياق الحديث عن هدي الحج، يقول تعالى: {لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ}[2]، فالله لا يريد من خلقه رزقاً، ولا يناله لحوم الهدي الذي يتقربون به إليه، وهو ليس بحاجة إلى جوعهم وعطشهم حين يصومون، وعوضاً عن ذلك يريد الله من عباده أن يتقوه ويعبدوه، وينتهوا عما نهاهم عنه من مثالب السلوك.

جاء في عمدة القاري، أن قوله: (فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ) مجاز عن عدم الالتفات والقبول، فنفى السبب وأراد المسبب، قال ابن بطال: وضع الحاجة موضع الإرادة؛ إذ الله لا يحتاج إلى شيء، يعني ليس لله إرادة في صيامه، وقال أبو عمر: ليس معناه أن يؤمر بأن يدع صيامه، وإنما معناه التحذير من قول الزور، وما ذكر معه، قال: فمن اغتاب، أو شهد زوراً أو منكراً، لم يؤمر بأن يدع صيامه، ولكنه يؤمر باجتناب ذلك؛ ليتم له أجر صومه، ثم قوله: (فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ) يعني بالذي يصوم بهذا الوصف.[3]

ويؤيد هذا المعنى ما رواه أبو هُرَيْرَةَ، إذ قال: قال رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم: (أَيُّهَا الناس؛ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إلا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فقال: {يا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا من الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إني بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} وقال: {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا من طَيِّبَاتِ ما رَزَقْنَاكُمْ} ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إلى السَّمَاءِ، يا رَبِّ، يا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟!)[4]

1. الذاريات: 57.
2. الحج: 37.
1. عمدة القاري، 10 /276.
4. صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها.

فأجر العبادة وقبولها يرتبطان جذرياً بحسن سلوك العابد، والله لا يضيع أجر الذين يحسنون العمل، مصداقاً لوعده سبحانه:{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً}[1]

الجود في رمضان:

الأدلة على ربط العبادة بسلوك العابد كثيرة، منها على سبيل المثال ممارسة الرسول، صلى الله عليه وسلم، لسلوك الجود والكرم في رمضان، فكان يبلغ به الحرص عليهما فيه مبلغاً يتميز عن باقي أيام العام، على الرغم من أنه كان جواداً دائماً، فعن ابن عَبَّاسٍ، رضي الله عنهما، قال: (كان النبي، صلى الله عليه وسلم: أَجْوَدَ الناس بِالخَيْرِ، وكان أَجْوَدُ ما يَكُونُ في رَمَضَانَ حين يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وكان جِبْرِيلُ، عليه السَّلام، يَلْقَاهُ كُلَّ لَيْلَةٍ في رَمَضَانَ، حتى يَنْسَلِخَ، يَعْرِضُ عليه النبي، صلى الله عليه وسلم، القُرْآنَ فإذا لَقِيَهُ جِبْرِيلُ، عليه السَّلام، كان أَجْوَدَ بِالخَيْرِ من الرِّيحِ المُرْسَلَةِ)[2]

فهذا يدل على أن الصيام ينبغي أن يعزز الإيجابيات في سلوك الصائم، إلى جانب دوره المميز في تعديل السلبيات وإطفائها، فهنا كان التعزيز للجود، وفي الحديث السالف، كان الإطفاء لقول الزور، والعمل به، وقس على ذلك ما شابه من السلوك.

فهذه مؤكدات واضحة على الارتباط الوثيق بين العبادة وسلوك العابدين، سائلين الله العلي القدير أن ييسر متابعة الوقوف عند مزيد منها في الحلقة القادمة، وأن يعيننا على أداء العبادة، ومنها الصيام على الوجه الذي يرضيه سبحانه، كما أداها نبينا الكريم محمد، صلى الله عليه وسلم، وعلى آله الطاهرين، وأزواجه أجمعين، وعلى أصحابه الغر الميامين، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

---

1. الكهف: 30.

2. صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب أجود ما كان النبي، صلى الله عليه وسلم، يكون في رمضان.

محمد، صلى الله عليه وسلم
يربط قبول الصيام والمثوبة عليه بسلوك الصائم
الحلقة الثانية والأخيرة

عن أَبي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه، قال: قال رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم: (قال الله: كُلُّ عَمَلِ ابن آدَمَ له، إلا الصِّيَامَ، فإنه لي، وأنا أَجْزِي بِهِ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، وإذا كان يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ، فلا يَرْفُثْ، ولا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ، أو قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ إني امْرُؤٌ صَائِمٌ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيده، لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ من رِيحِ الْمِسْكِ، لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا، إذا أَفْطَرَ فَرِحَ، وإذا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ)(*)

وقفت الحلقة السابقة عند ربط المثوبة على العبادة بسلوك العبد، وذلك ينسجم مع المفهوم الشامل للعبادة، التي لا تقتصر على الشعائر والفرائض والأركان التعبدية، وإنما تشمل كل ما يصدر عن المرء من سلوك يقصد به التقرب إلى الله تعالى، ونيل مثوبته، والتحرز عن مسببات سخطه، والأدلة على ربط العبادة بسلوك العابد كثيرة، منها ممارسة الرسول، صلى الله عليه وسلم، لسلوك الجود والكرم في رمضان، مما يدل بوضوح على دور عبادة الصيام في تعزيز الإيجابيات في سلوك الصائم، إلى جانب دورها المميز في تعديل السلبيات فيه وإطفائها.

حلم الصائم وأناته:

الحديث القدسي أعلاه يركز على دور عبادة الصيام في تعزيز الإيجابيات في سلوك الصائم، وإطفاء السلبيات منه وتعديلها، فالصيام جُنة، أي وقاية، جاء في عمدة القاري، أن قوله: (جُنّة) كل ما ستر، ومنه المجن وهو الترس، ومنه سمي الجن لاستتارهم عن العيون،

* صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب هل يقول إني صائم إذا شتم.

وإنما كان الصوم جنة من النار؛ لأنه إمساك عن الشهوات، والنار محفوفة بها، وقال عياض: معناه يستر من الآثام، أو من النار، أو بجميع ذلك، وبالأخير قطع النووي.

وقوله: (فلا يرفث) معناه لا يفحش، والمراد من الرفث هنا الكلام الفاحش، ويطلق على الجماع، وعلى مقدماته، وعلى ذكره مع النساء، ويحتمل أن يكون النهي عما هو أعم منها، وقال القرطبي: لا يفهم من هذا أن غير الصوم يباح فيه ما ذكر، وإنما المراد أن المنع من ذلك يتأكد بالصوم.

وقوله: (فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أو قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِي امْرُؤٌ صَائِمٌ) قال الكرماني: أي كلاماً لسانياً ليسمعه الشاتم، والمقاتل، فينزجر غالباً، أو كلاماً نفسانياً؛ أي يحدث به نفسه، ليمنعها من مشاتمته، وعند الشافعي يجب الحمل على كلا المعنيين. [1]

وقوله: (لا يصخب) فيه نفي الصخب عن سلوك الصائم، وهو بمعنى النهي، يقول ابن حجر العسقلاني: والصخب الخصام والصياح، والمراد بالنهي عن ذلك تأكيده حالة الصوم، وإلا فغير الصائم منهي عن ذلك أيضاً.[2]

تحذير العابد من الإفلاس:

الرسول، صلى الله عليه وسلم، ركز على ضرورة العناية بسلوك العابدين، حين حذر من ذهاب أجور الذين يؤدون العبادات الشعائرية ومثوبتهم إذا لم يهذبوا سلوكهم، فقال: (أَتَدْرُونَ ما الْمُفْلِسُ؟ قالوا: الْمُفْلِسُ فِينَا من لا دِرْهَمَ له، ولا مَتَاعَ، فقال: إِنَّ الْمُفْلِسَ من أُمَّتِي، يَأْتِي يوم الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قد شَتَمَ هذا، وَقَذَفَ هذا، وَأَكَلَ مَالَ هذا، وَسَفَكَ دَمَ هذا، وَضَرَبَ هذا، فَيُعْطَى هذا من حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا من حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قبل أَنْ يُقْضَى ما عليه، أُخِذَ من خَطَايَاهُمْ، فَطُرِحَتْ عليه، ثُمَّ طُرِحَ في النَّارِ)[3]

يقول النووي: معناه أن هذا حقيقة المفلس، وأما من ليس له مال، ومن قل ماله، فالناس يسمونه مفلساً، وليس هو حقيقة المفلس؛ لأن هذا أمر يزول وينقطع بموته، وربما

1. عمدة القاري 10/ 257 - 258، بتصرف.
2. فتح الباري 4 /118.
3. صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم.

ينقطع بيسار يحصل له بعد ذلك في حياته، وإنما حقيقة المفلس هذا المذكور في الحديث، فهو الهالك الهلاك التام، والمعدوم الإعدام المقطع، فتؤخذ حسناته لغرمائه، فإذا فرغت حسناته، أخذ من سيئاتهم، فوضع عليه، ثم ألقي في النار، فتمت خسارته، وهلاكه، وإفلاسه[1]

فالعبد اليقظ يدرك مآلات الربط بين عبادته وسلوكه العام، فمطلوب عبادات الصلاة والصيام والزكاة والحج، يتقاطع مع مطلوبات تهذيب السلوك، فالعابد يدرك أنه ينبغي أن يكون صادقاً أميناً عفيفاً، صاحب مخبر ومظهر طاهرين نقيين، يعم خيره كل من حوله، ومن وصف المؤمنين الذي نالوه بحسن سلوكهم ما جاء في الذي يقرأ القرآن، حيث شبهه صلى الله عليه وسلم، بالأترجة، والذي لا يقرأه مثله مثل التمرة، فعن أبي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ، قال: قال رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم: (مَثَلُ المُؤْمِنِ الذي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، كَمَثَلِ الأُتْرُجَّةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ، وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ المُؤْمِنِ الذي لا يَقْرَأُ القُرْآنَ، كَمَثَلِ التَّمْرَةِ، لا رِيحَ لها، وَطَعْمُهَا حُلْوٌ...)[2]

مما سبق يتضح لكل متدبر عاقل مدى عناية الإسلام بربط العبادة الشعائرية بسلوك العابدين في مناحيه المختلفة، كيف لا؟! والمؤمن شامة بين الناس.

فهذه دلالات شرعية واضحة للارتباط الوثيق بين العبادة وسلوك العابدين، وثمار هذا الارتباط، أعاننا الله على حسن عبادته، على الوجه الذي يرضيه سبحانه، كما أداها نبينا الكريم محمد، صلى الله عليه وسلم، وعلى آله الطاهرين، وأزواجه أجمعين، وعلى أصحابه الغر الميامين، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

1. صحيح مسلم بشرح النووي 16 /135 - 136.

2. صحيح البخاري، كتاب الأطعمة، باب ذكر الطعام.

الرسول الأسوة ﷺ

محمد، صلى الله عليه وسلم

يودع رمضان بشد المئزر، وإحياء الليل، وإيقاظ الأهل

عن عَائِشَةَ، رضي الله عنها، قالت: (كان النبي، صلى الله عليه وسلم، إذا دخل الْعَشْرُ شَدَّ مِئْزَرَهُ، وَأَحْيَا لَيْلَهُ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ)[1]

بضع أيام ويودعنا شهر رمضان لهذا العام 1440هـ، فهنيئاً لمن وفقه الله لحسن صيامه، وقيام ليله، وبهذه المناسبة يحسن التذكير بسنة الاجتهاد في أداء مزيد من العبادة النوعية قبيل وداع رمضان، فكان عليه الصلاة والسلام إذا دخل الْعَشْرُ شَدَّ مِئْزَرَهُ، وَأَحْيَا لَيْلَهُ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ، أي أنه كان يحرص على أداء مزيد من العبادة في الثلث الأخير من رمضان، جاء في عمدة القاري، أن قوله: (إذا دخل العشر) أي العشر الآخر، وقوله: (شد مئزره) أي إزاره، وهو كناية إما عن ترك الجماع، وإما عن الاستعداد للعبادة، والاجتهاد لها، زائداً على ما هو عادته صلى الله عليه وسلم، وإما عنهما كليهما معاً، ولا ينافي إرادة الحقيقة أيضاً بأن شد مئزره ظاهراً أيضاً.[2]

وورد بيان الحرص على تكثيف العبادة في العشر الأواخر من رمضان في روايات صحيحة أخرى، فعن عائشة، رضي الله عنها، قالت: (كان رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، إذا دخل الْعَشْرُ أَحْيَا اللَّيْلَ وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ وَجَدَّ وَشَدَّ الْمِئْزَرَ)[3]، و(كان رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، يَجْتَهِدُ فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ ما لا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ)[4]

---

1. صحيح البخاري، كتاب فضل ليلة القدر، باب العمل في العشر الأواخر من رمضان.
2. عمدة القاري:11 /139 - 140.
3. صحيح مسلم، كتاب الاعتكاف، باب الاجتهاد في العشر الأواخر من شهر رمضان.
4. التخريج نفسه.

فهذه الروايات الصحيحة تتضافر في التأكيد على الاجتهاد في العبادة مع وداع رمضان، ويبدأ الحرص على زيادة التعبد في رمضان بدءاً من الليلة الأولى من ليالي العشر الأواخر من رمضان، ومن دلالات هذا الحرص شد المئزر، وإحياء الليل، وإيقاظ الأهل ليشاركوا في تقديم المزيد من الطاعة والعبادة في هذه الليالي المباركة.

الاعتكاف في العشر الأواخر:

دلت الأحاديث الصحيحة سالفة الذكر على أهمية إحياء ليالي العشر الأواخر من رمضان، وفصلت أم المؤمنين عائشة، رضي الله عنها، كيفية هذا الإحياء، فقالت: (كان النبي، صلى الله عليه وسلم، يَعْتَكِفُ فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ من رَمَضَانَ، فَكُنْتُ أَضْرِبُ له خِبَاءً، فَيُصَلِّي الصُّبْحَ، ثُمَّ يَدْخُلُهُ، فَاسْتَأْذَنَتْ حَفْصَةُ عَائِشَةَ أَنْ تَضْرِبَ خِبَاءً، فَأَذِنَتْ لها، فَضَرَبَتْ خِبَاءً، فلما رَأَتْهُ زَيْنَبُ بنت جَحْشٍ ضَرَبَتْ خِبَاءً آخَرَ، فلما أَصْبَحَ النبي، صلى الله عليه وسلم، رَأَى الأَخْبِيَةَ، فقال: ما هذا؟ فَأُخْبِرَ، فقال النبي، صلى الله عليه وسلم، ألبر تُرَوْنَ بِهِنَّ؟ فَتَرَكَ الاعْتِكَافَ ذلك الشَّهْرَ، ثُمَّ اعْتَكَفَ عَشْرًا من شَوَّالٍ)[1]

فقد ثبت في الروايات الصحيحة أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، كان يحرص على الاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان، وكان يعتكف في المسجد، فيمكث فيه، يصلي، ويذكر الله، ويستغفره، ويقرأ القرآن، ولا يخرج من المسجد إلا لحاجة ماسة، ومن أحكام الاعتكاف أن النية تشترط له كسائر العبادات، والمسجد شرط لاعتكاف الرجال دون النساء، فالمرأة يمكنها الاعتكاف في مسجد بيتها، إلا إذا تيسر لها الاعتكاف في مسجد مع أمن الفتنة، وبعد استئذان الزوج، ويمنع المعتكف من معاشرة زوجه، لقوله تعالى: {...وَلاَ تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا...}[2]، وتفاصيل أحكام الاعتكاف وآدابه، يمكن الاطلاع عليها في كتب الفقه ومصادره.

1. صحيح البخاري، كتاب الاعتكاف، باب اعتكاف النساء.

2. البقرة:187.

إحياء ليلة القدر في المسجد الأقصى المبارك:

يحيي المسلمون بعد غروب شمس هذا اليوم ليلة القدر، التي يكون لإحيائها في جنبات المسجد الأقصى المبارك فضل خاص، يدركه الذين يشدون الرحال إليه من بقاع الدنيا، وبخاصة من القاطنين في أكنافه، ممن تتاح لهم فرصة الوصول إليه، لإقامة الصلاة وتلاوة القرآن، إضافة إلى المساهمة في الإثبات للدنيا بأسرها بمدى الحب المكنون في صدور المسلمين لمسجدهم المبارك، ومسرى نبيهم، صلى الله عليه وسلم، وقبلتهم الأولى، فهنيئاً لهم أن يسر الله لهم إقامة هذه الليلة المباركة، التي هي خير من ألف شهر في هذا المكان الطاهر، المحاصر من قوى البغي والطغيان، راجين لهم أن يؤدوا عبادتهم فيه بخشوع، وحرص على قداسته، وأن ينتهزوا كل ساعات تلك الليلة بالصلاة والذكر، ليفوزوا برضا الله وحسن مثوبته.

غفران ما تقدم من الذنوب:

وُعد الصائمون القائمون بغفران ذنوبهم، شريطة الإخلاص لله تعالى في صيامهم وقيامهم، ومما يدعو للتدبر العميق أن الرسول، صلى الله عليه وسلم، كرر اشتراط الإيمان والاحتساب للمثوبة على الصيام والقيام بالغفران، حين وعد أصحابهما بذلك، فعن أبي هُرَيْرَةَ قال: قال رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم: (مَن صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَه مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِهِ)[1] وعنه، قال رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم: (مَن قام رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَه مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِهِ)[2] وعنه، قال رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم: (مَن يَقُمْ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَه مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِهِ)[3]

راجين الله العلي القدير أن يمن علينا والصائمين بالمغفرة والقبول، وأن يكتبنا ممن يُزحزحون عن النار، ويدخلون الجنة بسلام مع الأبرار، وأن يكرمنا بالشرب من حوض نبينا محمد، صلى الله عليه وسلم، وعلى آله الطاهرين، وأزواجه أجمعين، وأصحابه الغر الميامين، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

---

1. صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب صوم رمضان احتساباً من الإيمان.
2. صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب تطوع قيام رمضان من الإيمان.
3. صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب قيام ليلة القدر من الإيمان.

محمد، صلى الله عليه وسلم
يسن صيام الستة من شوال

عن أَبِي أَيُّوبَ الأَنْصَارِيِّ، رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، قال: (من صَامَ رَمَضَانَ، ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا من شَوَّالٍ، كان كَصِيَامِ الدَّهْرِ)[1]

عبادة الله لا تقتصر على مواسم معينة، ولا تنحصر بأشكال محددة، بل هي مطلوبة من الخلق في شأنهم كله، مصداقاً لقوله عز وجل: {وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ}[2]، فالصيام مثلاً فرضه الله على المسلمين في شهر رمضان، فإذا ما انتهى الشهر، وجب التعبد إلى الله تعالى بفطر يوم العيد، ويحرم على أي كان التنطع بصيامه مثلما حرم عليه الفطر في أيام رمضان التي سبقته، فعن عُمَرَ بن الخَطَّابِ، رضي الله عنه، قال: (هَذَانِ يَوْمَانِ نهى رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، عن صِيَامِهِمَا؛ يَوْمُ فِطْرِكُمْ من صِيَامِكُمْ، وَاليَوْمُ الآخَرُ تَأْكُلُونَ فيه من نُسُكِكُمْ)[3]

ومن الأحكام الشرعية التي تنبغي مراعاتها لمن يصوم الست من شوال، الانتباه إلى أنها مستقلة عن صوم رمضان، ولا تعتبر جزءاً منه، فتركها لا يخل بصومه، وصومها يكون منفصلاً عنه بالعيد، وهلال الشهر الجديد، وحكم صومها السنة أو الاستحباب، ولا يصل درجة الوجوب، إلا إذا اقترن بملزم من نذر أو يمين، أو قضاء.

ومن صام الست من شوال في عام، لا يُلزم بها في الأعوام التالية، بل يبقى مخيراً في صومها، أو ترك ذلك، لا كما يظن بعض الناس من أنه إن صامها لزمه صومها كل عام، مع التأكيد على أن من يصومها، ويحافظ على ذلك أفضل ممن يتركها، من حيث نيل الأجر والثواب، فأفضل الأعمال أدومها.

---

1. صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب استحباب صوم ستة أيام من شوال إتباعاً لرمضان

2- (الذاريات: 56)

3. صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب صوم يوم الفطر.

متى تصام الست من شوال؟

بالنسبة إلى كيفية صيام الست من شوال، ومتى تصام فيه، فيجوز البدء بصومها في اليوم التالي ليوم عيد الفطر؛ أي من ثاني أيام شوال، وحتى نهايته، ويجوز أن تصام متتالية، أو متفرقة، ولا بأس فيما يفعله بعض الناس من حرص على أدائها أيام الإثنين والخميس من شهر شوال، فالرسول، صلى الله عليه وسلم، ذكر في سياق التشجيع على صومها حرف "من" دون تقييد بأول الشهر أو وسطه أو آخره، ودون تحديد تتابع أو تفريق، أو أيام مخصوصة من الشهر، فتجوز أن تؤدى بناء على ذلك في أي ستة أيام من شهر شوال على الإطلاق، غير أن المسارعة لأدائها أولى، من باب المسارعة لفعل الخير المطلق، عملاً بقوله تعالى:{وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِن رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ}[1]

جاء في صحيح مسلم بشرح النووي، أن بعض العلماء استحبوا أن تصام الست متوالية عقب يوم الفطر، فإن فرقها أو أخرها عن أوائل شوال إلى أواخره، حصلت فضيلة المتابعة؛ لأنه يصدق أنه أتبعه ستاً من شوال[2]، وقوله: (ثم) تفيد الترتيب والتراخي، يعني الترتيب بعد رمضان، والتراخي يعني أن يقع صيامها خلال شوال دون اشتراط الفورية، ولا التتابع في ذلك.

قضاء ما فات مقدم:

من كان عليه من المسلمين والمسلمات قضاء أيام أفطرها بعذر المرض أو السفر، أو الحيض أو النفاس، أو غير ذلك من أعذار الفطر في رمضان، فعليه أن يقضيها لاحقاً، لقوله سبحانه وتعالى: {أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ}[3]، فالله لم يحدد أياماً للالتزام بقضاء أيام رمضان فيها، بل قال على وجه الإطلاق، وليس التقييد {فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ}.

---

1. آل عمران: 133.
2. صحيح مسلم بشرح النووي: 8/ 560.
3. البقرة: 184.

وقضاء الأيام الفائتة يكون أولاً، قبل الشروع في صيام ستة من شوال؛ وذلك حتى يتحقق في الصائم شرط من صام رمضان، ثم صام ستاً من شوال، فبعض العلماء يشترطون سداد القضاء قبل الشروع في سنة الست من شوال، فالمسارعة في قضاء الدين المستحق، أولى من الانشغال عنه بأداء السنن والنوافل، ففي الحديث القدسي، قال عليه الصلاة والسلام: (إِنَّ اللَّهَ قال: من عَادَى لِي وَلِيًّا، فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وما تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَي مِمَّا افْتَرَضْتُ عليه، وما يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَي بِالنَّوَافِلِ حتى أُحِبَّهُ، فإذا أَحْبَبْتُهُ كنت سَمْعَهُ الذي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الذي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ التي يَبْطِشُ بها، وَرِجْلَهُ التي يَمْشِي بها، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِن اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وما تَرَدَّدْتُ عن شَيْءٍ أنا فَاعِلُهُ، تَرَدُّدِي عن نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ، وأنا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ).(*)

والصيام على هذا الوجه هو الأفضل لمن أراد نيل الأجر الأكمل، والثواب الأجزل، غير أن من ضاقت به أيام شوال، بحيث لا تعد تتسع للقضاء، والست من شوال، فيجوز له تأخير القضاء، والبدء بالست؛ حتى لا يفوته فضل صيامها، والله تعالى أعلم.

سائلين الله العلي القدير أن يجعلنا ممن يحرصون على أداء الفرائض والسنن والنوافل، على الوجه المشروع؛ لننال محبته ورضاه سبحانه، ونفوز بجنة الفردوس، وصلى الله وسلم على رسولنا الأسوة، محمد بن عبد الله، وعلى آله الكرام، وصحابته الأبرار، وعلى من تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

* صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع.

الرسول الأسوة ﷺ

محمد، صلى الله عليه وسلم

يبين فضل أيام من ذي الحجة

عن ابن عَبَّاسٍ، عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أَنَّهُ قال: (ما العَمَلُ فِي أَيَّامٍ أَفْضَلَ منها في هذه، قالوا: ولا الجِهَادُ؟ قال: ولا الجِهَادُ، إلا رَجُلٌ خَرَجَ يُخَاطِرُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فلم يَرْجِعْ بِشَيْءٍ)[1]

ها نحن على أبواب شهر ذي الحجة للعام 1440 هـ، حيث من المتوقع أن تبدأ أيام عشره الأولى، ذات الفضل والأهمية، وتؤدى فيها بعض أهم أعمال الحج، وفي خاتمتها؛ أي في العاشر من ذي الحجة، يؤدي الحجاج أعمالاً عدة من أعمال الحج، ويمكنهم أن يختموا حجهم في يومي التشريق التاليين له.

وفي الحديث أعلاه، بيان صريح لفضل أيام من ذي الحجة، فالعمل فيها كما جاء فيه، يفضل كثيراً من الأعمال، حتى الجهاد في سبيل الله، إلا أن يخرج العبد مخاطراً بنفسه وماله، في سبيل الله، وقد اختلف في المراد بهذه الأيام، فبعض الروايات تدل على أنها العشر من ذي الحجة، وبعضها كرواية ابن عباس أعلاه، قد يفهم منها أنها أيام التشريق التي تلي يوم العاشر من ذي الحجة، والعيني ردَّ على من حدد المراد بالأيام في حديث الباب، أيام عشر ذي الحجة، بأن الشيء يشرف بمجاورته للشيء الشريف، وأيام التشريق تقع تلو أيام العشر، وقد ثبت بهذا الحديث أفضلية أيام العشر، وثبتت أيضاً بذلك أفضلية أيام التشريق.[2]

1. صحيح البخاري، أبواب العيدين، باب فضل العمل في أيام التشريق.

2. عمدة القاري، 6/ 290، بتصرف.

القسم بالليالي العشر والشفع والوتر:

افتتح الله سبحانه سورة الفجر المكية بالقسم بالفجر، ثم أتبع ذلك بالقسم بالليالي العشر والشفع والوتر، فقال عز وجل: {وَالْفَجْرِ* وَلَيَالٍ عَشْرٍ* وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ}[1]

يقدم الرازي لتفسير المراد بالمقسم بما ذكر في فاتحة هذه السورة الكريمة، بتبرير الخلاف بين العلماء في تحديد ذلك، فيقول: اعلم أن هذه الأشياء التي أقسم الله تعالى بها لا بد وأن يكون فيها إما فائدة دينية، مثل كونها دلائل باهرة على التوحيد، أو فائدة دنيوية، توجب بعثاً على الشكر، أو مجموعهما، ولأجل ما ذكرناه اختلفوا في تفسير هذه الأشياء اختلافاً شديداً، فكل أحد فسره بما رآه أعظم درجة في الدين، وأكثر منفعة في الدنيا.[2]

ومما ورد في تحديد المقصود بالليالي العشر، أنها عشر ذي الحجة عند الجمهور، وقيل: العشر الأول من المحرم، وفيها عاشوراء، وقيل: العشر الأواخر من رمضان، وقيل: العشر الأول منه.[3]

أما الشفع والوتر، فالخلاف بين المفسرين في المقصود بهما واسع، ومما أورده الرازي من آراء بالخصوص، أن الشفع يوم النحر، والوتر يوم عرفة، وإنما أقسم الله بهما لشرفهما، أما يوم عرفة، فهو الذي عليه يدور أمر الحج، وأمّا يوم النحر، فيقع فيه القربان، وأكثر أمور الحج من الطواف المفروض، والحلق والرمي، ويروى يوم النحر هو يوم الحج الأكبر، فلما اختص هذان اليومان بهذه الفضائل، لا جرم أقسم الله بهما، ومن تلك الآراء أن أيام التشريق أيام بقية أعمال الحج، فهي أيام شريفة، قال الله تعالى: {وَاذْكُرُواْ اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ...}[4]، والشفع هو يومان بعد يوم النحر، والوتر هو اليوم الثالث، ومن ذهب إلى هذا القول، قال: بأن حمل الشفع والوتر على هذا أولى من

1. الفجر:1 - 3
2. التفسير الكبير، 31/ 147.
3. التسهيل لعلوم التنزيل 4/ 196.
4. البقرة: 203.

حملهما على العيد وعرفة، من وجهين: الأول، أن العيد وعرفة دخلا في العشر، فوجب أن يكون المراد بالشفع والوتر غيرهما، والثاني أن بعض أعمال الحج إنما يحصل في هذه الأيام، فحمل اللفظ على هذا يفيد القسم بجميع أيام أعمال المناسك.[1]

أيام وليال مباركة:

رغم الاختلاف في تحديد المراد بالليالي العشر، والشفع والوتر، فالآراء التي ترجح ربطها بالعشر من ذي الحجة ويوم عرفة الذي يسبقه، قوية ومعتبرة، فأي أيام العام ولياليه، تجتمع فيها أعمال فاضلة، كتلك التي تكون في تلك الأيام والليالي المباركة، التي فيها العبادات المعتادة، إضافة إلى قداسة الأمكنة التي تؤدى فيها، ويأتيها ضيوف الرحمن من كل فج عميق، ليشهدوا منافع لهم، ويتفضل فيها رب البرية على ضيوفه بالمغفرة، فيعودون من ذنوبهم كيوم ولدتهم أمهاتهم، أي أنهم بالحج يتطهرون من درن الخطايا، ويعودون بعده صفحات بيضاء، فعليهم لزوم المحافظة على هذا الإنجاز العظيم قدر المستطاع، وإذا ما وقعت منهم سيئات بعد ذلك، لزمتهم المسارعة إلى التوبة والإنابة، تجاوباً مع أوامر ربهم لهم بالخصوص، حيث يقول عز وجل: {وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ}[2]

فيا لها من أيام وليال مباركة، جديرة أن ينتهزها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها، للتوبة والاستغفار والإنابة.

سائلين الله العلي القدير أن يهدينا سواء السبيل، وأن ييسر لحجاج بيته الحرام الحج المبرور، والسعي المشكور، وأن يتوج حجهم بعفوه ومغفرته، وأن يردهم إلى أوطانهم سالمين غانمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا الكريم محمد، وعلى آله الطاهرين، وأزواجه أمهات المؤمنين، وعلى أصحابه الغر الميامين، وعلى من تبعه ووالاه بإحسان إلى يوم الدين.

---

1. التفسير الكبير، 31 /148.

2. آل عمران:133.

محمد، صلى الله عليه وسلم يبين فضل عرفة والنحر والأضحى

عن رَسُول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، قال: (ما من يَوْمٍ أَكْثَرَ من أَنْ يُعْتِقَ الله فيه عَبْدًا من النَّارِ من يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو، ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمْ المَلاَئِكَةَ، فيقول: ما أَرَادَ هَؤُلاءِ؟)[1]

في الحديث أعلاه بيان لفضل يوم عرفة، وأكبر هدايا الله للحجاج فيه، فهو أكثر الأيام شهوداً لنعمة العتق من النار، التي يتفضل الله بمنحها للتائبين المنيبين من عباده، وهم هنا حجاج بيته العتيق، الذين أفاضوا من عرفة، مستغفرين ملبين، استجابة لأمر رب العالمين، حيث يقول تعالى: {لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُواْ اللّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ* ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}[2]

صيام يوم عرفة:

في الوقت الذي ينشغل فيه حجاج بيت الله الحرام، بالذكر، والدعاء، والاستغفار، والتلبية، والصلاة، وتلاوة القرآن، خلال وقوفهم في عرفة، وهو الركن الأكبر للحج، فإن غيرهم من المسلمين يشاركونهم كثيراً من تلك الشعائر، إضافة إلى صيامهم يوم عرفة على سبيل التطوع، رجاء أن ينالوا مثوبة ذلك، كما جاء في الحديث الصحيح، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم: (سُئِلَ عن صَوْمِ يَوْمِ عَرَفَةَ؟ فقال: يُكَفِّرُ السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ وَالْبَاقِيَةَ...)[3]

يوم النحر والأضحى:

اليوم التالي ليوم عرفة هو يوم النحر، الذي يؤدي فيه الحجاج عدداً من أعمال

---

1. صحيح مسلم، كتاب الحج، باب في فضل الحج والعمرة ويوم عرفة.
2. البقرة:198 - 199.
3. صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وصوم يوم عرفة وعاشوراء والإثنين والخميس.

الحـج، فيرمـون جمـرة العقبـة الكـبرى، وينحـرون هديهـم أو يذبحـون، ويتحللـون مـن إحرامهـم، فيحلقـون أو يقـصرون، ويلبسـون المخيـط، وبعضهـم يطـوف الإفاضـة، ويتحلـل بهـذا الطـواف التحلـل الأكـبر، أمـا غـير الحجـاج مـن المسـلمين فيحتفلـون في هـذا اليـوم بـأول أيـام عيـد الأضحـى المبـارك، فيصلـون صـلاة العيـد، الـتي يبـدأ بعدهـا وقـت نحـر الأضاحـي أو ذبحهـا، حسـب أمـر رب العالمـين، حيـث يقـول تعالى:{إِنَّـا أَعْطَيْنَـاكَ الْكَوْثَـرَ* فَصَـلِّ لِرَبِّـكَ وَانْحَـرْ}[1]، فـشرط عـلى المضحـي أن يبـدأ بالتضحيـة بعـد صـلاة العيـد، فعـن جُنْـدَبٍ، قـال: (صـلى النـبي، صـلى اللـه عليـه وسـلم، يـوم النَّحْـرِ، ثُـمَّ خَطَـبَ، ثُـمَّ ذَبَـحَ، فقـال: مـن ذَبَـحَ قبـل أَنْ يُصَـلِّيَ، فَلْيَذْبَـحْ أُخْـرَى مَكَانَهَـا، وَمَـنْ لـم يَذْبَـحْ، فَلْيَذْبَـحْ بِاسْـمِ اللَّـهِ)[2]

وعـن الْـبَرَاءِ، قـال: (سـمعت النـبي، صـلى اللـه عليـه وسـلم ، يَخْطُـبُ، فقـال: إِنَّ أَوَّلَ مـا نَبْـدَأُ مـن يَوْمِنَـا هـذا، أَنْ نُصَـلِّيَ، ثُـمَّ نَرْجِـعَ، فَنَنْحَـرَ، فَمَـنْ فَعَـلَ، فَقَـدْ أَصَـابَ سُـنَّتَنَا)[3]

ومما أُثر مـن أعمـال نبينـا الهـادي، صـلى اللـه عليه وسـلم، يـوم النحـر، خطبته المشـهورة بخطبـة الـوداع، والـتي حـثّ فيهـا عـلى امتثـال قيـم إيمانيـة وأخلاقيـة نبيلـة، فعـن ابـن عُمَـرَ، رضي اللـه عنهمـا، قـال: (قـال النـبي، صـلى اللـه عليـه وسـلم، بِمِـنًى: أَتَـدْرُونَ أَيُّ يَـوْمٍ هـذا؟ قالـوا: اللـه وَرَسُـولُهُ أَعْلَـمُ، فقـال: فـإن هـذا يَـوْمٌ حَـرَامٌ، أَفَتَـدْرُونَ أَيُّ بَلَـدٍ هـذا؟ قالـوا: اللـه وَرَسُـولُهُ أَعْلَـمُ، قـال: بَلَـدٌ حَـرَامٌ، أَفَتَـدْرُونَ أَيُّ شَـهْرٍ هـذا؟ قالـوا اللـه وَرَسُـولُهُ أَعْلَـمُ، قـال: شَـهْرٌ حَـرَامٌ، قـال: فـإن اللَّـهَ حَـرَّمَ عَلَيْكُـمْ دِمَاءَكُـمْ، وَأَمْوَالَكُـمْ، وَأَعْرَاضَكُـمْ، كَحُرْمَـةِ يَوْمِكُـمْ هـذا، في شَـهْرِكُمْ هـذا، في بَلَدِكُـمْ هـذا، وقـال هِشَـامُ بـن الْغَـازِ: أخـبرني نَافِـعٌ عـن ابـن عُمَـرَ، رضي اللـه عنهمـا، وَقَـفَ النـبي، صـلى اللـه عليـه وسـلم، يـوم النَّحْـرِ بـين الجَمَـرَاتِ في الْحَجَّـةِ، الـتي حَـجَّ بهـذا، وقـال: هـذا يَـوْمُ الْحَـجِّ الأَكْـبَرِ، فَطَفِـقَ النـبي، صـلى اللـه عليـه وسـلم، يقـول: اللهـم اشْـهَدْ، وَوَدَّعَ النـاس، فَقَالُـوا: هـذه حَجَّـةُ الْـوَدَاعِ)[4]

---

1. الكوثر:1 - 2.

2. صحيح البخاري، كتاب العيدين، باب كلام الإمام والناس في خطبة العيد، وإذا سئل الإمام عن شيء وهو يخطب.

3. صحيح البخاري، كتاب العيدين، باب سنة العيدين لأهل الإسلام.

4. صحيح البخاري، كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى.

لطائف عددية في سورة الكوثر:

مما خلص إليه المتدبرون في سورة الكوثر ذات الثلاث آيات القصار، تضمنها الأمر بالنحر، الذي يفعله الحجاج والمضحون في العاشر من ذي الحجة، وأيام التشريق التي تليه، وعدد كلمات هذه السورة الكريمة عشرة، الآية الأولى منها تضمنت ذكر عشرة من الحروف الهجائية، وكذلك الثالثة منها، وأكثر الحروف تكراراً فيها هو الألف، وتكرر ذكره فيها 10 مرات، ومجموع الحروف التي لم تذكر فيها سوى مرة واحدة عشرة، وآياتها الثلاث، ختمت بحرف الراء، وترتيبه الهجائي العاشر بين الحروف الهجائية، وعدد سور القرآن، التي تنتهي بحرف الراء عشرة، وخاتمتها سورة الكوثر، فهذه حقائق رقمية، استخلصت من أقصر سور القرآن الكريم، تستدعي التأمل والتدبر، وتعزيز الثقة والإيمان بأن القرآن منزل من رب الأنام، الذي تحدى إنس الخلق وجنهم أن يأتوا بسورة من مثله، ولو اجتمعوا لذلك،[1] فقال تعالى: {وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}[2]

وسورة الكوثر مشمولة بالتحدي، وإن كانت أقصر سور القرآن الكريم، فالتحدي مثلما هو قائم تجاه الإتيان بأطول سور القرآن، فإنه كذلك قائم بالنسبة إلى أصغرها وأقصرها. سائلين الله العلي القدير أن يغفر لنا الذنوب والخطايا، وأن يعتق رقابنا وحجاج بيته الحرام من النار، وأن يحشرنا يوم القيامة مع الحبيب محمد، صلى الله وسلم، وبارك عليه وعلى آله الطاهرين، وأزواجه أمهات المؤمنين، وعلى أصحابه الغر الميامين، وعلى من تبعه ووالاه بإحسان إلى يوم الدين.

1. تفسير الطبري: 1 /5 ، بتصرف.

2. البقرة: 23.

الرسول الأسوة ﷺ

محمد، صلى الله عليه وسلم

يبشر الحجاج والمعتمرين

عـن رَسُـول اللَّـهِ، صـلى اللـه عليـه وسـلم، قـال: (العُمْـرَةُ إلى العُمْـرَةِ كَفَّـارَةٌ لِمَـا بَيْنَهُمَـا، وَالحَـجُّ المَـبْرُورُ ليـس لـه جَـزَاءٌ إلا الْجَنَّـةُ)(*)

مـن نفحـات اللـه، ومننـه عـلى عبـاده أنـه يتيـح لهـم فرصـاً للإنابـة إليـه، والتحلـل مـن الأوزار، الـتي وقعـوا في شـباكها، ومـن الأعمـال العظيمـة الـتي يكفـر بهـا سـبحانه ذنـوب المخطئـين، العمـرة والحـج، وفي الحديـث أعـلاه بيـان واضـح لـدور العمـرة في تكفـير الذنـوب، حيـث يمتـد أثرهـا بهـذا الخصـوص إلى العمـرة الـتي تليهـا، أمـا الحـج المـبرور الخـالي مـن الرفـث والفسـق والجـدال، فجـزاؤه الجنـة، وأنعـم بـه مـن جـزاء وأكـرم!

ورد في شرح الزرقـاني، أن ظاهـر الحديـث أعـلاه أن العمـرة الأولى هـي المكفـرة؛ لأنهـا الـتي وقـع الخـبر عنهـا أنهـا تكفـر، ولكـن الظاهـر مـن جهـة المعـنى أن العمـرة الثانيـة هـي المكفـرة لمـا قبلهـا إلى العمـرة السـابقة، فـإن التكفـير قبـل وقـوع الذنـب خـلاف الظاهـر، وقيـل: الأظهـر أنـه خـرج مخـرج الحـث عـلى العمـرة، والإكثـار منهـا؛ لأنـه إذا حمـل عـلى غـير ذلـك، يشـكل بمـا إذا اعتمـر مـرة واحـدة، إذ يلـزم عليـه أن لا فائـدة لهـا؛ لأن فائدتهـا وهـو التكفـير مـشروط بفعلهـا ثانيـة، إلا أن يقـال لـم تنحـصر فائـدة العبـادة في تكفـير السـيئات، بـل يكـون فيهـا، وفي ثبـوت الحسـنات، ورفـع الدرجـات، كمـا ورد في بعـض الأحاديـث مـن فعـل كـذا، كتـب لـه كـذا حسـنة، ومحيـت عنـه كـذا سـيئة، ورفعـت لـه كـذا درجـة، فتكـون فائدتهـا إذا لـم تكـرر ثبـوت الحسـنات، ورفـع الدرجـات، وقيـل: إذا لـم تكـرر كفـر بعـض مـا وقـع بعدهـا، لا كلـه، واللـه أعلـم، بقـدر ذلـك البعـض.

والحـج المـبرور، قـال ابـن عبـد الـبر: قيـل: هـو الـذي لا ريـاء فيـه، ولا سـمعة، ولا رفـث، ولا فسـوق،

* صحيح البخاري، كتاب العمرة، باب وجوب العمرة وفضلها.

ويكون بمال حلال، وقيل: هو المقبول، وعلامته أن يرجع خيراً مما كان، ولا يعاود المعاصي، وقيل: الذي لا يخالطه شيء من الإثم، ورجحه النووي، وقال القرطبي: الأقوال المذكورة في تفسيره متقاربة، وهي أنه الحج الذي وفيت أحكامه، ووقع موقعاً لما طلب من المكلف على الوجه الأكمل.

وقيل: الأظهر أنه الذي لا معصية بعده، لقوله في الحديث الآخر: (من حَجَّ هذا البَيْتَ، فلم يَرْفُثْ، ولم يَفْسُقْ، رَجَعَ كيوم وَلَدَتْهُ أُمُّهُ)[1]، إذ المعنى حج، ثم لم يفعل شيئاً من ذلك، ولهذا عطفه بالفاء المشعرة بالتعقيب، وإذا فسر بذلك كان الحديثان بمعنى واحد، وتفسير الحديث بالحديث أولى، ويكون الرجوع بلا ذنب، كناية عن دخول الجنة مع السابقين، وقوله: (ليس له جزاء إلا الجنة)؛ أي لا يقتصر لصاحبه من الجزاء على تكفير بعض ذنوبه، بل لا بد أن يدخل الجنة.[2]

منزلة الحج المبرور في سلم فضائل الأعمال:

الحج ركن رئيس من أركان الإسلام، لقوله صلى اللَّه، صلى الله عليه وسلم: (بُنِيَ الإِسْلامُ على خَمْسٍ؛ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إلا الله، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رسول اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ)[3]

وبالحج يرجع العبد من ذنوبه كيوم ولدته أمه، والحج يجب ما قبله من الذنوب والخطايا، فعن الرسول، صلى الله عليه وسلم، قال: (...وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ ما كان قَبْلَهُ...)[4]

والحج يحتل منزلة رفيعة بين سائر فضائل الأعمال وأسماها، فعن أبي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه، قال: (سُئِلَ النبي، صلى الله عليه وسلم، أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قال: إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قال: جِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قال حَجٌّ مَبْرُورٌ) [5]

---

1. صحيح البخاري، كتاب المحصر، باب قول الله عز وجل: {ولا فسوق ولا جدال في الحج} [البقرة: 197].
2. بتصرف عن شرح الزرقاني، 2/ 359 - 360 .
3. صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب قول النبي، صلى الله عليه وسلم: (بني الإسلام على خمس).
4. صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج.
5. صحيح البخاري، كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور.

والله يبعث من يموت في الحج ملبياً، فعن ابن عَبَّاسٍ، رضي الله عَنْهُمَا، قال: (بَيْنَمَا رَجُلٌ وَاقِفٌ بِعَرَفَةَ، إِذْ وَقَعَ عن رَاحِلَتِهِ فَوَقَصَتْهُ، أو قال: فَأَوْقَصَتْهُ، قال النبي، صلى الله عليه وسلم: اغْسِلُوهُ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ، وَكَفِّنُوهُ فِي ثَوْبَيْنِ، ولا تُحَنِّطُوهُ، ولا تُخَمِّرُوا رَأْسَهُ، فإنه يُبْعَثُ يوم القِيَامَةِ مُلَبِّيًا)[1]

مباهاة الرحمن بضيوف بيته العتيق:

أصحاب الأعمال السامية الذين يُعتبرون من وفود الرحمن، منهم الحاج، فعن أبي هريرة، رضي الله عنه، يقول: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (وفد الله ثلاثة؛ الغازي، والحاج، والمعتمر)[2]

ومن فضائل الحج، ومنازل الحجاج، أن الله تعالى يباهي بالحجاج ملائكته، فعن ابن المُسَيَّبِ، قال: (قالت عَائِشَةُ: إن رَسُولَ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، قال: ما من يَوْمٍ أَكْثَرَ من أَنْ يُعْتِقَ الله فيه عَبْدًا من النَّارِ من يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو، ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمْ المَلَائِكَةَ، فيقول: ما أَرَادَ هَؤُلَاءِ)[3]

فيا لها من مكارم ومنازل، أعدها الله لمن قصده حاجاً ملبياً متطهراً من ربق الخطايا، راجين أن نكون من زمرة الذين يباهي الله بهم ملائكته، ويعتق رقابهم من نار السعير، ويسقيهم من حوض نبيه الكريم محمد، صلى الله عليه وسلم، وبارك، على آله الطاهرين، وأزواجه أمهات المؤمنين، وعلى أصحابه الغر الميامين، وعلى من تبعه ووالاه بإحسان إلى يوم الدين.

---

1. صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب الكفن في ثوبين.
2. المستدرك على الصحيحين، 1/ 608، وقال:هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وصححه الألباني.
3. صحيح مسلم، كتاب الحج، باب في فضل الحج والعمرة ويوم عرفة.

الفصل الثاني/ معاملات

الرسول الأسوة محمد، صلى الله عليه وسلم		
.1	يحذر من المماطلة في أداء الديون - الحلقة الأولى	47
.2	يحذر من المماطلة في أداء الديون - الحلقة الثانية	50
.3	يحذر من المماطلة في أداء الديون - الحلقة الثالثة	53
.4	يحذر من المماطلة في أداء الديون - الحلقة الرابعة والأخيرة	56
.5	يشجع على إنظار المعسر - الحلقة الأولى	59
.6	يشجع على إنظار المعسر - الحلقة الثانية والأخيرة	62

الرسول الأسوة ﷺ

محمد، صلى الله عليه وسلم
يحذر من المماطلة في أداء الديون
الحلقة الأولى

عن أبي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، قال: (مَطْلُ الغَنِيِّ ظُلْمٌ، فإذا أُتْبِعَ أحدكم على مَلِيٍّ فَلْيَتْبَعْ)(*)

يعاني كثير من الناس في هذا الزمان من مشكلة الشيكات الراجعة، أو التي تكون بلا رصيد، ومن أزمة الثقة بين الدائنين بالمدينين، وتنكر بعض المدينين لواجباتهم المالية الخاصة بتسديد الديون والأقساط المؤجلة في مواعيد استحقاقها، وتتفاقم هذه المشكلة أحياناً، لتؤدي إلى حدوث انهيارات مالية في بعض الشركات، وحتى في بعض الدول، وفي ظل ذلك يحسن التذكير بالهدي القرآني وتوجيهات الرسول الأسوة، صلى الله عليه وسلم، بشأن الموقف من المديونية، وتحذير المدينين من المماطلة مع وجود القدرة على السداد والوفاء، إلى جانب ضرورة توثيق الديون في عقود مالية محكمة، وإضافة إلى هذا الجانب، يجدر التذكير كذلك بتوجيه الدائنين إلى إمهال المعسرين من المدينين، لما في إمهال المعسر من فضل وخير، يعودان على الأفراد والمجتمعات.

مطل الغني ظلم:

في الحديث الشريف أعلاه، تحذير شديد من الرسول، صلى الله عليه وسلم، للمماطلين في سداد الديون، وهم يقدرون على سدادها، وإرجاع الحقوق المالية، التي في عهدتهم إلى أصحابها، جاء في تحفة الأحوذي، أن قوله: (مَطْلُ الْغَنِيِّ)؛ أي تأخيره أداء الدين من وقت إلى وقت بغير عذر ظلم، فإن المطل منع أداء ما استحق أداؤه، وهو

* صحيح البخاري، كتاب الحوالات، باب الحوالة وهل يرجع في الحوالة.

حـرام مـن المتمكـن، وإن كان ليـس متمكنـاً جـاز لـه التأخـير إلى الإمـكان.[1]

وجـاء في فتـح البـاري أن أصـل المطـل المـد، قـال ابـن فـارس: مطلـت الحديـدة أمطلهـا مطـلاً، إذا مددتهـا لتطـول، وقـال الأزهـري: المطـل المدافعـة، والمـراد هنـا تأخـير مـا اسـتحق أداؤه بغـير عـذر، والغـنى مختلـف في تفريعـه، ولكـن المـراد بـه هنـا مـن قـدر عـلى الأداء فأخـره، ولـو كان فقـيراً، وهـل يتصـف بالمطـل مـن ليـس القـدر الـذي اسـتحق عليـه حـاضراً عنـده، لكنـه قـادر عـلى تحصيلـه بالتكسـب مثـلاً؟ أطلـق أكـثر الشـافعية عـدم الوجـوب، وصرح بعضهـم بالوجـوب مطلقـاً، وفصـل آخـرون بـين أن يكـون أصـل الديـن وجب بسـبب يعـصي بـه فيجـب، وإلا فـلا.

وقولـه: (مَطْـلُ الْغَـنِيِّ) هـو مـن إضافـة المصـدر للفاعـل عنـد الجمهـور، والمعـنى أنـه يحـرم عـلى الغـني القـادر أن يمطـل بالديـن بعـد اسـتحقاقه، بخـلاف العاجـز. وقيـل: هـو مـن إضافـة المصـدر للمفعـول، والمعـنى أنـه يجـب وفـاء الديـن، ولـو كان مسـتحقه غنيـاً، ولا يكـون غنـاه سـبباً لتأخـير حقـه عنـه، وإذا كان كذلـك في حـق الغـني، فهـو في حـق الفقـير أولى.

ولا يخفـى بعـد هـذا التأويـل قولـه: (فـإذا أُتْبِـعَ أحدكـم عـلى مَـلِيٍّ فَلْيَتْبَـعْ) تقـول: تبعـت الرجـل بحقـي اتبعـه تباعـة بالفتـح إذا طلبتـه، والملـىء بالهمـز مأخـوذ مـن الملاء؛ أي صـار ملـياً، وقـال الكرمـاني: الملـي كالغـني لفظـاً ومعـنى، والأمـر في قولـه، (فَلْيَتْبَـعْ) للاسـتحباب عنـد الجمهـور، وقيـل: للإباحـة والإرشـاد. [2]

أداء الأمانات إلى أهلها وتحريم أكلها بالباطل:

أمـر اللـه عـز وجـل في قرآنـه الكريـم بـأداء الأمانـات إلى أهلهـا، فقـال جـل شـأنه: {إِنَّ اللّـَهَ يَأْمُرُكُـمْ أَن تُـؤدُّواْ الأَمَانَـاتِ إِلَى أَهْلِهَـا وَإِذَا حَكَمْتُـم بَـيْنَ النَّـاسِ أَن تَحْكُمُـواْ بِالْعَـدْلِ إِنَّ اللّـَهَ نِعِمَّـا يَعِظُكُـم بِـهِ إِنَّ اللّـَهَ كَانَ سَـمِيعاً بَصِـيراً} [3]، والديـون مـن الأمانـات المودعـة لـدى

1.تحفة الأحوذي: 4 /445.

2. فتح الباري: 4/ 465.

3. النساء: 58.

المدينين، والتي يلزمهم أن يؤدوها إلى أصحابها عند استحقاق السداد، ويحرم عليهم إنكارها أو التقصير في سدادها؛ لأنهم إن فعلوا ذلك كانوا من الذين يأكلون أموال الناس بالباطل، والله جل في علاه نهى عن هذا الفعل الظالم، فقال عز وجل:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً} [1]

جاء في التفسير الكبير، أنه تعالى خص الأكل هاهنا بالذكر، وإن كانت سائر التصرفات الواقعة على الوجه الباطل محرمة؛ لما أن المقصود الأعظم من الأموال الأكل، ونظيره قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوالَ الْيَتَامَى ظُلْماً...} [2]

وذكروا في تفسير الباطل وجهين، الأول: أنه اسم لكل ما لا يحل في الشرع؛ كالربا والغصب والسرقة والخيانة وشهادة الزور، وأخذ المال باليمين الكاذبة، وجحد الحق، والثاني ما روي عن ابن عباس والحسن، رضي الله عنهم، أن الباطل هو كل ما يؤخذ من الإنسان بغير عوض. [3]

فإنكار حق الدائنين أو المماطلة في تسديد الدين لهم، يندرج ضمن أكل أموال الناس بالباطل، المنهي عنه في هذه الآية الكريمة، وفي القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة شواهد كثيرة تساند مبدأ لزوم حفظ أموال الناس، ومنع التعدي عليها بغير حق، والمال شقيق الروح، وهو من الضرورات الخمس التي جاءت الشريعة الإسلامية الغراء لحفظها، والذب عنها.

على أمل التمكن من متابعة الحديث عن التحذير من المماطلة في أداء الديون، في ضوء الهدي القرآني، وهدي خاتم النبيين محمد، صلى الله عليه وسلم، وعلى آله الطاهرين، وأزواجه أمهات المؤمنين، وعلى أصحابه الغر الميامين، وعلى من تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

---

1. النساء: 29.

2. النساء: 10.

3. التفسير الكبير: 10 /57.

محمد، صلى الله عليه وسلم
يحذر من المماطلة في أداء الديون
الحلقة الثانية

عـن أبي هريـرة، رضي اللـه عنـه: (أَنَّ رَسُـولَ اللَّـهِ، صَـلَّى اللـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ، كَانَ يُـؤْتَى بِالرَّجُـلِ المُتَـوَفَّى، عَلَيْـهِ الدَّيْـنُ، فَيَسْـأَلُ: هَـلْ تَـرَكَ لِدَيْنِـهِ فَضْـلًا، فَـإِنْ حُـدِّثَ أَنَّـهُ تَـرَكَ لِدَيْنِـهِ وَفَـاءً صَـلَّى، وَإِلَّا قَـالَ لِلْمُسْـلِمِينَ: صَلُّـوا عَـلَى صَاحِبِكُـمْ، فَلَمَّـا فَتَـحَ اللَّـهُ عَلَيْـهِ الفُتُـوحَ، قَـالَ: أَنَـا أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِـينَ مِـنْ أَنْفُسِـهِمْ، فَمَـنْ تُـوُفِّيَ مِـنَ المُؤْمِنِـينَ فَـتَرَكَ دَيْنًـا، فَعَـلَيَّ قَضَـاؤُهُ، وَمَـنْ تَـرَكَ مَـالًا فَلِوَرَثَتِـهِ)[*]

تعرضـت الحلقـة السـابقة إلى التذكـير بالهـدي القـرآني، وتوجيهـات الرسـول الأسـوة، صـلى اللـه عليـه وسـلم، بشـأن الموقـف مـن المديونيـة، وتحذيـر المدينـين مـن المماطلـة مـع وجـود القـدرة عـلى السـداد والوفـاء، ولـزوم إرجـاع الحقـوق الماليـة الـتي في ذممهـم إلى أصحابهـا، كمـا وقفـت الحلقـة عنـد جانـب أداء الأمانـات إلى أهلهـا، وتحريـم أكل أمـوال النـاس بالباطـل، مـع التأكيـد عـلى أن إنـكار حـق الدائنـين، أو المماطلـة في التسـديد، ينـدرج ضمـن إثـم أكل أمـوال النـاس بالباطـل.

الصلاة على الميت المدين:

التدايـن أو الاسـتلاف أو الاقـتراض، مصطلحـات تطلـق عـلى عمليـات أخـذ أمـوال خاصـة بأشـخاص أو جهـات مـن قبـل مدينـين أو مقترضـين أو مسـتلفين، سـواء أكانـوا أفـراداً أم جماعـات، والإقـراض لمـا يكـون حسـناً لوجـه اللـه تعـالى يكـون محمـوداً، ويـندرج ضمـن التعـاون عـلى الـبر والتقـوى، ومسـاعدة القـوي للضعيـف والمحتـاج، أي إنـه مـن القيـم النبيلـة، والأخـلاق الحميـدة، الـتي جـاء بهـا الإسـلام، وحـثَّ عليهـا النـبي الأسـوة، صـلى اللـه عليـه وسـلم، وهـو المبعـوث ليتمـم

* صحيح البخاري، كتاب الكفالة، باب من تكفل عن ميت ديناً فليس له أن يرجع.

مكارم الأخلاق، لكن التهاون والتسويف في سداد الديون عده صلى الله عليه وسلم، مطلاً، إن صدر عن قادر، وهو ظلم قبيح، لذا حاربه عليه الصلاة والسلام، وبلغ في تنفيره منه أن امتنع عن الصلاة على المدين، حتى يسد دينه، كما جاء في حديث أبي هريرة المثبت أعلاه، والذي هو بمثابة رسالة واضحة الدلالة للموقف الصارم من المماطلة في سداد الدين، يذكر ابن حجر العسقلاني تفسير العلماء لهذا، إذ قالوا: كأن الذي فعله، صلى الله عليه وسلم، من ترك الصلاة على من عليه دين؛ ليحرض الناس على قضاء الديون في حياتهم، والتوصل إلى البراءة منها، لئلا تفوتهم صلاة النبي، صلى الله عليه وسلم، والصلاة على من عليه دين، ورد في حكمها وجهان، قال النووي: الصواب الجزم بجوازها مع وجود الضامن، كما في حديث مسلم.[1]

وفي صحيح مسلم بشرح النووي، أن النبي، صلى الله عليه وسلم، كان يقضي دين المدينين من مال مصالح المسلمين، وقيل: من خالص مال نفسه، وخلص النووي إلى أن معنى هذا الحديث أن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: أنا قائم بمصالحكم في حياة أحدكم وموته، وأنا وليه في الحالين، فإن كان عليه دين قضيته من عندي، إن لم يُخلّف وفاء.[2]

إبرام عقد الدين ولزوم الوفاء به:

العقود التي يبرمها المسلم مع غيره يُلزم بالوفاء بها معهم، عملاً بقوله عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ ...}[3]، ومعنى قوله تعالى: {أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ} قيل: إن العقود هنا عقدة الإنسان مع غيره؛ من بيع ونكاح وشبه ذلك، وقيل: ما عقده مع ربه من الطاعات، كالحج، والصيام، وشبه ذلك، وقيل: ما عقده الله عليهم من التحليل والتحريم في دينه، ذكر مجملاً، ثم فصل بعد ذلك.[4]

---

1. نيل الأوطار 5 /284.
2. صحيح مسلم بشرح النووي، 11 /60.
3. المائدة: 1.
3. التسهيل لعلوم التنزيل، 1/ 166.

والآيـة القرآنيـة الأطـول، تناولـت عقـد الديـن، وبعـض تفصيلاتـه، فقـال عـز وجـل: {يَـا أَيُّهَـا الَّذِيـنَ آمَنُـواْ إِذَا تَدَايَنتُـم بِدَيْـنٍ إِلَى أَجَـلٍ مُّسَـمًّى فَاكْتُبُـوهُ وَلْيَكْتُـب بَّيْنَكُـمْ كَاتِـبٌ بِالْعَـدْلِ وَلاَ يَـأْبَ كَاتِـبٌ أَنْ يَكْتُـبَ كَمَـا عَلَّمَـهُ اللّـهُ فَلْيَكْتُـبْ وَلْيُمْلِـلِ الَّـذِي عَلَيْـهِ الْحَـقُّ وَلْيَتَّـقِ اللّـهَ رَبَّـهُ وَلاَ يَبْخَـسْ مِنْـهُ شَـيْئاً فَـإِن كَانَ الَّـذِي عَلَيْـهِ الْحَـقُّ سَـفِيهاً أَوْ ضَعِيفـاً أَوْ لاَ يَسْـتَطِيعُ أَن يُمِـلَّ هُـوَ فَلْيُمْلِـلْ وَلِيُّـهُ بِالْعَـدْلِ وَاسْتَشْـهِدُوا شَـهِيدَيْنِ مـن رِّجَالِكُـمْ فَـإِن لَّـمْ يَكُونَـا رَجُلَـيْنِ فَرَجُـلٌ وَامْرَأَتَـانِ مِمَّـن تَرْضَـوْنَ مِـنَ الشُّـهَدَاء أَن تَضِـلَّ إْحْدَاهُمَـا فَتُذَكِّـرَ إِحْدَاهُمَـا الأُخْـرَى وَلاَ يَـأْبَ الشُّـهَدَاء إِذَا مَـا دُعُـوا وَلاَ تَسْـأَمُوْا أَن تَكْتُبُـوهُ صَغِـيراً أَو كَبِـيراً إِلَى أَجَلِـهِ ذَلِكُـمْ أَقْسَـطُ عِنـدَ اللّـهِ وَأَقْـومُ لِلشَّـهَادَةِ وَأَدْنَى أَلاَّ تَرْتَابُـوا إِلاَّ أَن تَكُـونَ تِجَـارَةً حَـاضِرَةً تُدِيرُونَهَـا بَيْنَكُـمْ فَلَيْـسَ عَلَيْكُـمْ جُنَـاحٌ أَلاَّ تَكْتُبُوهَـا وَأَشْـهِدُوْا إِذَا تَبَايَعْتُـمْ وَلاَ يُضَـآرَّ كَاتِـبٌ وَلاَ شَـهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُـوا فَإِنَّـهُ فُسُـوقٌ بِكُـمْ وَاتَّقُـوا اللّـهَ وَيُعَلِّمُكُـمُ اللّـهُ وَاللّـهُ بِـكُلِّ شَيْءٍ عَلِيـمٌ} (*)

فتفصيـل جوانـب عقـد الديـن في هـذه الآيـة القرآنيـة المتعبـد بتلاوتهـا مـن المحـال أن يكـون عبثـاً، بـل كان ذلـك لغايـة سـامية، عـسى أن يدركهـا المتدبـرون في الآيـات القرآنيـة، ليكـون منهـم الوفـاء بالعقـود، والـتي منهـا عقـود الديـن، لازمـة الوفـاء، وواجبـة القضـاء، دون مماطلـة، ولا تسـويف، ولا إنـكار لحقـوق الدائنـين.

راجـين اللـه العـلي القديـر أن ييـسر متابعـة الحديـث عـن التحذيـر مـن المماطلـة في تسـديد الديـون، في ضـوء الهـدي القـرآني، وهديـه صـلى اللـه وسـلم عليـه، وعـلى آلـه الطاهريـن، وأزواجـه أمهـات المؤمنـين، وعـلى أصحابـه الغـر الميامـين، وعـلى مـن تبعـه بإحسـان إلى يـوم الديـن.

* البقرة: 282.

محمد، صلى الله عليه وسلم
يحذر من المماطلة في أداء الديون
الحلقة الثالثة

عـن أبي هريـرة، رضي اللـه عنـه، أَنَّ رَسُـولَ اللَّـهِ، صـلى اللـه عليـه وسـلم، قـال: (لَتُـؤَدُّنَّ الحُقُـوقَ إلى أَهْلِهَـا يـوم القِيَامَـةِ، حـتى يُقَـادَ لِلشَّـاةِ الجَلْحَـاءِ مـن الشَّـاةِ الْقَرْنَـاءِ)[1]

واصلـت الحلقـة السـابقة التحذيـر مـن المماطلـة في تسـديد الديـون، فتعرضـت إلى تـرك الصـلاة عـلى الميـت المديـن، وإلى الاهتمـام بعقـد الديـن، إذ إن أطـول آيـة قرآنيـة تناولـت بعـض جوانبـه، ممـا يحفـز عـلى توثيـق الديـون، والوفـاء بهـا، فالمؤمنـون عنـد شروطهـم، واللـه أمرهـم بالوفـاء بالعقـود.

وعيد لآكلي حقوق الناس بالباطل:

يحلـو لبعـض النـاس التسـويف في قضـاء الديـون المسـتحقة عليهـم للآخريـن، وهـذا كمـا سـلف بيانـه مـن أكل أمـوال النـاس بالباطـل، وصاحبـه ظالـم، والظلـم ظلمـات يـوم القيامـة، وفي الحديـث الشريـف أعـلاه تحذيـر مـن التفريـط في حقـوق الآخريـن، أو التنكـر لهـا، فمـن فعـل ذلـك في الدنيـا، سـيكون منـه الأداء في الآخـرة، فاللـه لا تضيـع عنـده الحقـوق، مهمـا صغـرت أو عظمـت، حـتى إن الحيوانـات يقتـص لبعضهـا مـن بعـض، ويؤيـد المعـنى المتضمـن في الحديـث أعـلاه، قولـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: (مـن كانـت لـه مَظْلَمَـةٌ لأخيـه مـن عِرْضِـهِ أو شَيْءٍ، فَلْيَتَحَلَّلْـهُ منـه اليَـوْمَ، قبل أَنْ لَا يَكُـونَ دِينَـارٌ، ولا دِرْهَـمٌ، إن كان لـه عَمَـلٌ صَالِـحٌ أُخِـذَ منـه بِقَـدْرِ مَظْلَمَتِـهِ، وَإِنْ لـم تَكُـنْ لـه حَسَـنَاتٌ، أُخِـذَ مـن سَـيِّئَاتِ صَاحِبِـهِ، فَحُمِـلَ عليـه)[2]، فهـل مـن معتـبر؟!

---

1. صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم.

2. صحيح البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب من كانت له مظلمة عند الرجل فحلّلها له، هل يبيّن مظلمته.

إفلاس المماطل يوم القيامة:

إضافة إلى ما سلف من تحذيرات للمماطلين في قضاء ما عليهم من دين، فإن المسوف والمماطل في قضاء الديون، يندرج تحت وصف المفلس الذي حذر الرسول، صلى الله عليه وسلم، المسلمين من التلبس بصفاته وسلوكه، فقال: (أَتَدْرُونَ ما الْمُفْلِسُ؟ قالوا: الْمُفْلِسُ فِينَا من لَا دِرْهَمَ له، ولا مَتَاعَ، فقال: إِنَّ الْمُفْلِسَ من أُمَّتِي، يَأْتِي يوم الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قد شَتَمَ هذا، وَقَذَفَ هذا، وَأَكَلَ مَالَ هذا، وَسَفَكَ دَمَ هذا، وَضَرَبَ هذا، فَيُعْطَى هذا من حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا من حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ، قبل أَنْ يُقْضَى ما عليه، أُخِذَ من خَطَايَاهُمْ، فَطُرِحَتْ عليه، ثُمَّ طُرِحَ في النَّارِ)[1]، وبما أن الدين حق على المدينين للدائنين، فإن فاتهم أخذه وتحصيله منهم في الدنيا، ففي الآخرة سيأخذون مقابله من حسنات المدينين، فإن لم يجدوا لديهم حسنات، فسيتم السداد بطريقة أخرى، إذ يؤخذ مقابل هذا الحق المضيع من سيئات أصحابه، وتلقى السيئات المأخوذة على كاهل الذين رحلوا عن الدنيا، وفي ذممهم حقوق ضيعوها على أصحابها، من هنا حث النبي، صلى الله عليه وسلم، على التحلل من حقوق العباد في الدنيا، قبل أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ ولا دِرْهَمٌ، وقبل التعرض لحالة الإفلاس الموصوفة في الحديث آنف الذكر.

الدين يقضى من رأسمال تركة الميت المدين:

لأهمية الدين، والتأكيد على حق الدائن في استيفاء دينه، أمر الله عز وجل بتسديد ديون الميت من رأسمال تركته، قبل أن توزع على الورثة المستحقين، فقال تعالى:{يُوصِيكُمُ اللّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاء فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلأُمِّهِ السُّدُسُ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَآؤُكُمْ وَأَبناؤُكُمْ لاَ تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً فَرِيضَةً مِّنَ اللّهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً} [2]

1. صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم.

2. النساء:11.

فبين الله تعالى أن التوزيع يكون {مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ} مما يشير إلى أهمية العناية بأداء الديون إلى أصحابها، فالأحكام الشرعية تتضافر في التركيز على هذه الأهمية، حتى لا يتعامى عن أداء حقوق الآخرين الواجبة لأصحابها، أي عاقل لزمه هذا الأداء.

الله يعين المدين العازم على الأداء:

يساند التحذير الشديد من التسويف والمماطلة في أداء الديون، تشجيع على الأداء من نوع خاص، مخصص لمن اقتضتهم حاجة ملحة إلى الاستدانة، يحفزهم على السداد والقضاء، ويتمثل هذا التحفيز بوعد من رب البرية سبحانه بأن يعينهم على السداد مادام لديهم عزم به، فعن أبي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه، عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: (من أَخَذَ أَمْوَالَ الناس يُرِيدُ أَدَاءَهَا، أَدَّى الله عنه، وَمَنْ أَخَذَ يُرِيدُ إِتْلَافَهَا، أَتْلَفَهُ الله)(*)، فهذا الحديث النبوي الشريف، يحرك وجدان المدين، ويحفز عقله؛ ليعزم على أداء ما عليه من ديون، بعيداً عن المماطلة والتسويف، ما دام لديه يقين بأن له من الله عوناً على قضاء ديونه، وقد وعد سبحانه المتقين بأن يجعل لهم مخرجاً، ويرزقهم من حيث لا يحتسبون، وينسجم مع هذا الوعد، ويتماشى مع فحواه أداء الله عمن أخذ أموال الناس، وهو يريد أداءها، حسب الوعد المشار إليه في الحديث آنف الذكر عن الرسول، صلى الله وسلم عليه، وعلى آله الطاهرين، وأزواجه أمهات المؤمنين، وعلى أصحابه الغر الميامين، وعلى من تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

* صحيح البخاري، كتاب في الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس، باب من أخذ أموال الناس يريد أداءها أو إتلافها.

محمد، صلى الله عليه وسلم
يحذر من المماطلة في أداء الديون
الحلقة الرابعة والأخيرة

عن عبد اللَّهِ بن عَمْرِو بن الْعَاصِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، قال: (يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلُّ ذَنْبٍ إلا الدَّيْنَ)(*)

وقفت الحلقة السابقة عند قضايا ذات صلة بالتنفير من المماطلة بأداء الديون المستحقة على المدينين، فركزت على وعيد آكلي حقوق الناس بالباطل، ومن فعل ذلك في الدنيا، سيكون منه الأداء في الآخرة، حيث الحساب على عظيم الأمور وصغيرها، حتى الحيوانات يقتص لبعضها من بعض يومئذ، وقد حث النبي، صلى الله عليه وسلم، من كانت له مَظْلَمَةٌ لأخيه من عِرْضِهِ أو شَيْءٍ، أن يَتَحَلَّلْهُ منه الْيَوْمَ، قبل أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ، ولا دِرْهَمٌ، ويسند هذا تحذير للمسوفين والمماطلين من حالة الإفلاس، التي سيواجهونها يوم القيامة، وتأكيداً على حق الدائن في استيفاء دينه، أمر الله عز وجل بتسديد ديون الميت من رأسمال تركته.

ديون الشهيد:

من موجبات العناية بتسديد الديون المستحقة، بقاء انشغال ذمم المدينين بها يوم القيامة، فسبق التذكير بالكف عن الصلاة على الميت المدين، وفي الحديث الشريف أعلاه صورة أخرى للتنفير من المماطلة في أداء الديون، إذ إن الشهيد صاحب المنزلة الرفيعة في الآخرة، التي بسببها تمنى صلى الله عليه وسلم، أن يقتل في سبيل الله، ويعود للحياة مرات ومرات، إلا أن الشهيد يغفر له يوم القيامة كل ذنب سوى الدين، وورد في رواية أخرى، قوله عليه الصلاة

* صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب من قُتل في سبيل الله كُفّرت خطاياه إلا الدّين.

والسلام: (الْقَتْلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُكَفِّرُ كُلَّ شَيْءٍ إلا الدَّيْنَ)[1]، فلولا فظاعة المماطلة في أداء الديون ما جُعِلَ الدين سبباً لإبقاء حق الدائنين في ذمة الشهداء، الذين تكفل الله بالعفو عن ذنوبهم جميعها إلا الدين، وفصلت رواية صحيحة أخرى خبر بقاء الديون في ذمم الشهداء، فعن أبي قَتَادَةَ يحدث عن رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم: (أَنَّهُ قام فِيهِمْ، فذكر لهم أَنَّ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالْإِيمَانَ بِاللَّهِ، أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ، فَقَامَ رَجُلٌ، فقال: يا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إن قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، تُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فقال له رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم: نعم إن قُتِلْتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ، ثُمَّ قال رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم: كَيْفَ قُلْتَ؟ قال: أَرَأَيْتَ إن قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فقال رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم: نعم، وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ، إلا الدَّيْنَ، فإن جِبْرِيلَ، عليه السَّلَام، قال لي ذلك)[2]، فديون العباد تحول دون تمتع الشهداء بالعفو العام.

الاستعانة بالدعاء على قضاء الديون:

مما يعبر عن الإشعار بخطورة الدين، وآثاره الوخيمة على المدينين في الدنيا والآخرة، الاستعاذة بالله منه، فعن عَائِشَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، كان يَدْعُو في الصَّلَاةِ: (اللهم إني أَعُوذُ بِكَ من عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ من فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ من فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَفِتْنَةِ الْمَمَاتِ، اللهم إني أَعُوذُ بِكَ من الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ، فقال له قَائِلٌ: ما أَكْثَرَ ما تَسْتَعِيذُ من الْمَغْرَمِ! فقال: إِنَّ الرَّجُلَ إذا غَرِمَ حَدَّثَ فَكَذَبَ، وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ)[3]

والدين من أنواع المغرم المستعاذ منه، يقول العيني: قوله: (والمغرم)؛ أي ومن المغرم؛ أي الغرامة، وهي ما يلزمك أداؤه، كالدين والدية.[4]، والغارم المدين حين يعد بالأداء مرات تلو مرات، ولا يحصل منه الوفاء، وبذا يكذب ويخلف.

---

1. صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب من قُتل في سبيل الله كُفّرت خطاياه إلا الدّين.
2. التخريج نفسه.
3. صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب الدعاء قبل السلام.
4. عمدة القاري، 23/ 5.

وتكررت الروايات المؤكدة على الاستعاذة من المأثم والمغرم، فعن عَائِشَةَ، رضي الله عنها، أَنَّ النبي، صلى الله عليه وسلم، كان يقول: (اللهم إِنِي أَعُوذُ بِكَ مِن الْكَسَلِ وَالْهَرَمِ، وَالْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ النَّارِ، وَعَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْغِنَى، وَأَعُوذُ بِكَ من فِتْنَةِ الْفَقْرِ...)[1]، فالاستعاذة من الديون، جاءت في سياق الاستعاذة من أمور عظيمة، كعذاب القبر وفتنته، والنار وفتنتها.

وقد تَمثل السلف الصالح ذلك، فطلبوا العون من الله جل في علاه؛ ليقضي عنهم الديون، فعن سُهَيْلٍ، قال: (كان أبو صَالِحٍ يَأْمُرُنَا إذا أَرَادَ أَحَدُنَا أَنْ يَنَامَ أَنْ يَضْطَجِعَ على شقه الْأَيْمَنِ، ثُمَّ يقول: اللهم رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَرَبَّ الأرض، وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كل شَيْءٍ، فَالِقَ الحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ، وَالفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ من شَرِّ كل شَيْءٍ أنت آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، اللهم أنت الْأَوَّلُ، فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ، فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ، فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ، فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا من الْفَقْرِ)[2]

عسى أن يدفع التحذير الذي تمَّ التذكير به من المماطلة في أداء الديون المستحقة على المدينين، إلى المسارعة في قضاء الديون، والإحجام عن الاستدانة إلا لحاجات ماسة، فالدين يدفع الخطايا والذنوب، وهو هَمّ في الليل، وذلٌ في النهار، ومطل القادر على الأداء ظلم، حسب ما صرح به خاتم النبيين محمد، صلى الله وسلم، وعلى آله الطاهرين، وأزواجه أمهات المؤمنين، وعلى أصحابه الغر الميامين، وعلى من تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

1. صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب التعوذ من المأثم والمغرم.

2. صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع.

محمد، صلى الله عليه وسلم
يشجع على إنظار المعسر
الحلقة الأولى

عـن عبـد اللَّـهِ بـن أبي قَتَـادَةَ: (أَنَّ أَبَـا قَتَـادَةَ طَلَـبَ غَرِيمًـا لـه، فَتَـوَارَى عنـه، ثُـمَّ وَجَـدَهُ، فقـال: إني مُعْسِرٌ، فقـال: آللَّـهِ؟ قـال: آللَّـهِ، قـال: فَـإِنِّي سـمعت رَسُـولَ اللَّـهِ، صـلى اللـه عليـه وسـلم، يقـول: مـن سَرَّهُ أَنْ يُنْجِيَـهُ اللـه مـن كُـرَبِ يَـوْمِ الْقِيَامَـةِ، فَلْيُنَفِّـسْ عـن مُعْـسِرٍ، أو يَضَـعْ عنـه)[*]

النـاس في مسـتوى المعيشـة والقـدرات الماليـة درجـات، فمنهـم الغـني، ومنهـم الفقـير، ومنهـم مسـتور الحـال، وعـادة مـا يحتـاج بعـض النـاس إلى مسـاعدة آخريـن، وهنـا يحـدث الإقـراض والاقـتراض، والإسـلام أجـاز القـرض الحسـن الـذي يلـتزم المقـترض فيـه بـأداء مـا اقـترض، دون زيـادة عليـه، مـن بـاب أن كل قـرض جـر نفعـاً فهـو ربـا محـرم، وأطـول آيـة في القـرآن هـي الآيـة 282 مـن سـورة البقـرة، والـتي تناولـت إجـراءات تتعلـق بالديـن، وتوثيقـه.

نجاة المُمْهل من كرب يوم القيامة:

الحديـث الشريـف أعـلاه، يتعلـق بجانـب أخـلاقي وديـني ومعـاشي متصـل بطـرفي الاسـتدانة، فالمديـن يأخـذ ليسـد للدائـن حقـه، وسـبق التذكـير بواجـب المديـن تجـاه السـداد، فحرمـت عليـه المماطلـة، واعتبرتهـا ظلمـاً إن صـدرت مـن قـادر عـلى الوفـاء والسـداد، وفي المقابـل؛ فـإن الدائـن مدعـو إلى التنفيـس عـن المعـسر بتأجيـل مطالبتـه بالديـن المسـتحق عليـه، ويبلـغ منزلـة أبلـغ وأرفـع حـين يعفـو عنـه، ويتنـازل عـن الحـق الواجـب لـه عليـه، حِسـبة للـه تعـالى، وقـد بـدأ عليـه الصـلاة والسـلام، خطابـه التشـجيعي بقولـه: (مـن سَرَّهُ أَنْ يُنْجِيَـهُ اللـه مـن كُـرَبِ يَـوْمِ الْقِيَامَـةِ) وأي عاقـل يؤمـن بمـا سـيكون يـوم القيامـة يفـوت فرصـة الحصـول عـلى النجـاة مـن كـرب يـوم القيامـة؟! الـذي

* صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب فضل إنظار المعسر.

من أهواله الأولى صعق المخلوقات، ثم بعثهم للحشر والحساب، كما جاء في قوله عز وجل: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاء اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ}[1]، ويصف الله حال الناس في هذا اليوم العظيم، وهم يواجهون أهواله فيقول تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ}[2]

وفي السنة النبوية أخبار عديدة عن أهوال يوم القيامة، فرسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، يقول: (تُحْشَرُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا، قالت عَائِشَةُ: فقلت: يا رَسُولَ اللَّهِ؛ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ؟! فقال: الْأَمْرُ أَشَدُّ من أَنْ يُهِمَّهُمْ ذَاكِ)[3]

الذين تفرج كربهم يوم القيامة:

سالكو درب تفريج عموم كروب المكروبين في الدنيا، يفرج الله كربهم يوم القيامة، فرسُول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، قال: (الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، ولا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كان في حَاجَةِ أَخِيهِ، كان الله في حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عن مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ الله عنه كُرْبَةً من كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ الله يوم الْقِيَامَةِ)[4]، واستخدم في هذا الحديث لفظ (فرج) للتعبير عن أداء مهمة جليلة للمعسر، وفي رواية أخرى استخدم لفظ (نفس) مضافاً إليه تخصيص التيسير عن المعسر بالذكر، فقال صلى الله عليه وسلم: (من نَفَّسَ عن مُؤْمِنٍ كُرْبَةً من كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ الله عنه كُرْبَةً من كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ على مُعْسِرٍ، يَسَّرَ الله عليه في الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ الله في الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ في عَوْنِ الْعَبْدِ ما كان الْعَبْدُ في عَوْنِ أَخِيهِ...)[5]

---

1. الزمر: 68.
2. الحج:1 - 2.
3. صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب كيف الحشر.
4. صحيح البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه.
5. صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر.

يقول النووي بأن هذا الحديث عظيم، جامع لأنواع من العلوم والقواعد والآداب، ومعنى نفس الكربة أزالها، وفيه فضل قضاء حوائج المسلمين، ونفعهم بما تيسر من علم أو مال أو معاونة، أو إشارة بمصلحة، أو نصيحة وغير ذلك، وفضل الستر على المسلمين، وفضل إنظار المعسر.[1]

الدعوة القرآنية لإمهال المعسر:

يتماشى الحث على إمهال المعسرين الوارد في الأحاديث الشريفة آنفة الذكر، مع التوجيه القرآني في قوله تعالى: {وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ}[2]، ومما يدعو إلى التدبر، وإمعان النظر أن هذه الآية القرآنية توسطت الآيات التي حرمت الربا، وشنت حرباً عليه، وبَيْن آية الدين، فبدلاً من اللجوء إلى زيادة أعباء المدين المعسر بفرض زيادات ربوية عليه عند عجزه عن السداد، فإن الله عز وجل حثَّ على إمهال المعسر، وعبرت الآية الكريمة عن التجاوز عن الدين المستحق عند عجز المدين عن سداده بالتصدق، إضافة إلى وعد بالجزاء بالخير لمن يفعل هذا التصدق، والحديث المذكور ينسجم تماماً مع هذا المضمون، لهذه الآية القرآنية الكريمة.

سائلين الله العلي القدير أن يفرج كرب المكروبين، وأن يجزي أصحاب الأيادي البيضاء العافين، منظري المعسرين والعافين عنهم، خير الجزاء، الذي نرجو أن نوفق لمتابعة الحديث عنه في الحلقة القادمة، في ضوء ما جاء في سنة نبينا الهادي محمد، صلى الله عليه وسلم، وعلى آله الطاهرين، وأزواجه أمهات المؤمنين، وأصحابه الغر الميامين، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

---

1. صحيح مسلم بشرح النووي، 17 /21.

2. البقرة: 280.

محمد، صلى الله عليه وسلم
يشجع على إنظار المعسر
الحلقة الثانية والأخيرة

عـن أبي هُرَيْـرَةَ، أَنَّ رَسُـولَ اللَّـهِ، صـلى اللـه عليـه وسـلم ، قـال: (**كان رَجُـلٌ يُدَايِـنُ النـاس، فَـكَانَ يقـول لِفَتَـاهُ: إذا أَتَيْـتَ مُعْـسِرًا، فَتَجَـاوَزْ عنـه، لَعَـلَّ اللَّـهَ يَتَجَـاوَزُ عَنَّـا، فَلَقِـيَ اللَّـهَ، فَتَجَـاوَزَ عنـه**)(*)

تـم الوقـوف في الحلقـة السـابقة عنـد نجـاة الميسريـن عـلى المعسريـن مـن كـرب يـوم القيامـة، الـذي تكـون فيـه أهـوال عظيمـة، وكـرب شـديد ينتـاب النـاس، حسـب الـوارد بالخصـوص في القـرآن الكريـم والسـنة النبويـة المطهـرة، وإذا حظـي منفـس كـرب النـاس بمنحـة تفـرج كربـه يـوم القيامـة، فـإن إمهـال المعـسر أو العفـو عنـه، حالـة مهمـة، وخاصـة مـن حـالات التنفيـس العـام للكـروب الـتي يحصـل مـن يفعلهـا عـلى هـذه المنحـة الربانيـة الكريمـة، فالـذي يـسره أن يفـوز بالنجـاة مـن كـرب يـوم القيامـة، فعليـه بأمـر يقـدر عليـه في دنيـاه إن كان مـن أصحـاب اليـد العليـا، الـتي تقـرض أصحـاب الحاجـات والمعوزيـن مـن النـاس، وذلـك بالتجـاوز عـن المديـن الـذي اسـتدان ليقـضي، لكنـه عجـز عـن الوفـاء، لعـسر انتابـه، فإمهالـه حـتى تتيـسر أمـوره فضيلـة، والأفضـل منـه العفـو عنـه ومسـامحته، ممـا يفتـح لـه بـاب فـرج يفرحـه، ويقلـل همـه، ويحـل أزمتـه، واللـه في المقابـل يجـازي صاحـب هـذا الكـرم بكـرم أكـبر، حيـث وعـد المتجـاوز عـن حقـه حسـبة للـه تعـالى بـأن يفـرج عنـه كـرب يـوم القيامـة، الـتي سـتكون مذهلـة وصعبـة.

---

* صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب فضل إنظار المعسر.

منهج الميسرين للناس:

المعسر هو الذي تضطره الظروف لمكابدة العيش، والوقوع في أنفاق الضيق والحاجة، والتيسير يخالف التعسير، فمن كان له عند أناس حق واجب السداد، وعجزوا عن الالتزام بواجبهم نحوه، لأسباب قاهرة، لأن الرياح تجري أحياناً على غير ما تشتهي السفن، فبعض الناس يخططون لأداء واجبات لزمتهم، ويجدولون برامجهم وحساباتهم، لكنهم يصدمون بعقبات تحول دون ذلك، وما أكثر تلك العقبات، وما أكثر صورها وأشكالها، وهنا تأتي المكارم من أصحاب الجود والأخلاق النبيلة، الذين حين يدركون أن هناك عجزاً حقيقياً أعاق الملتزم لهم بدينه، يمهلونه إلى ميسرة، وتلك مكرمة حث على التحلي بها القرآن الكريم ونبيه الكريم، عليه الصلاة والسلام، وأخذ بها الخيرون من السلف الصالح، الذين كان منهم الرجل المشار إليه في الحديث الشريف أعلاه، والذي كان يأمر فتاه ومحصل ديونه وجابيها بأن يتجاوز عن المعسرين، حرصاً منه على أن ينال من الله مكرمة التجاوز عن ذنوبه، ومَن من الناس بلا ذنوب إلا من عصم الله؟! فحقق الله لهذا المتجاوز أمنيته وتجاوز عنه.

وهناك روايات صحيحة عديدة تعاضد مضمون هذا الخبر الصحيح، منها ما رواه حُذَيْفَة، عن النبي، عليه الصلاة والسلام: (أَنَّ رَجُلًا مَاتَ، فَدَخَلَ الْجَنَّةَ، فَقِيلَ له: ما كُنْتَ تَعْمَلُ؟ قال: فَإِمَّا ذَكَرَ وَإِمَّا ذُكِّرَ- فقال: إني كنت أُبَايِعُ الناس، فَكُنْتُ أُنْظِرُ الْمُعْسِرَ، وَأَتَجَوَّزُ فِي السِّكَّةِ، أو في النَّقْدِ، فَغُفِرَ له، فقال أبو مَسْعُودٍ: (وأنا سَمِعْتُهُ من رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم)[1]

إنظار المعسر:

عن رِبْعِيِّ بن حِرَاشٍ، أَنَّ حُذَيْفَةَ حَدَّثَهُمْ، قال: قال رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم: (تَلَقَّتْ الْمَلَائِكَةُ رُوحَ رَجُلٍ مِمَّنْ كان قَبْلَكُمْ، فَقَالُوا: أَعَمِلْتَ من الْخَيْرِ شيئا؟ قال: لَا، قالوا: تَذَكَّرْ، قال: كنت أُدَايِنُ الناس، فَآمُرُ فِتْيَانِي أَنْ يُنْظِرُوا الْمُعْسِرَ، وَيَتَجَوَّزُوا عن الْمُوسِرِ، قال: قال الله عز وجل: تَجَوَّزُوا عنه)[2]

1. صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب فضل إنظار المعسر.

2. التخريج نفسه.

وعن عبد اللَّهِ بن أبي قَتَادَةَ: (أَنَّ أَبَا قَتَادَةَ طَلَبَ غَرِيمًا له، فَتَوَارَى عنه، ثُمَّ وَجَدَهُ، فقال: (إني مُعْسِرٌ، فقال: آللَّهِ؟! قال: آللَّهِ، قال: فَإِنِّي سمعت رَسُولَ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، يقول: من سَرَّهُ أَنْ يُنْجِيَهُ الله من كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَلْيُنَفِّسْ عن مُعْسِرٍ، أو يَضَعْ عنه) [1]

العمل على تجنب الوقوع في الإعسار:

انطلاقاً من منهج الإسلام المتسم بالتوازن في تشريعه وأحكامه، فإنه إلى جانب نهيه عن المماطلة والتسويف في أداء الديون، شجع الدائنين على التجاوز عن المدينين أو إنظارهم إلى وقت يسر، وأيضاً هنا أمر بتجنب دواعي الإعسار قدر الإمكان، فحث على العمل، وبين أن أطيب الكسب هو الذي يكون من ثمار عمل اليد، فعن أبي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه، يقول: قال رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم: (لَأَنْ يَحْتَطِبَ أحدكم حُزْمَةً على ظَهْرِهِ، خَيْرٌ له من أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا، فَيُعْطِيَهُ أو يَمْنَعَهُ)[2]

وحث على تجنب الإسراف والتبذير، قال تعالى: {...وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ}[3]، وقال سبحانه: {...وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ}[4]، وقال عز وجل: {وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيراً} [5]

وحثَّ الإسلام على السماحة في القضاء والاقتضاء، فقال صلى الله عليه وسلم: (رَحِمَ الله رَجُلًا سَمْحًا إذا بَاعَ، وإذا اشْتَرَى، وإذا اقْتَضَى)[6]

فرج الله عنا وعن مفرجي كرب المكروبين، كرب يوم الدين، ويسر الله للمعسرين ما يفرج عنهم إعسارهم، ويحفظ ماء وجوههم، وصلى الله وسلم، على نبينا الهادي محمد، وعلى آله الطاهرين، وأزواجه أمهات المؤمنين، وأصحابه الغر الميامين، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

---

1. صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب فضل إنظار المعسر.
2. صحيح البخاري، كتاب المساقاة، باب بيع الحطب والكلأ.
3. الأنعام: 141.
4. الأعراف:31
5. الإسراء: 26.
6. صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع، ومن طلب حقاً فليطلبه في عفاف.

الفصل الثالث/ السيرة النبوية

الرسول الأسوة محمد، صلى الله عليه وسلم		
.1	من فيح مؤاخاته بين المهاجرين والأنصار - الحلقة الأولى	68
.2	من فيح مؤاخاته بين المهاجرين والأنصار - الحلقة الثانية	69
.3	من فيح مؤاخاته بين المهاجرين والأنصار - الحلقة الثالثة والأخيرة	72
.4	يقيم في المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم - الحلقة الأولى	75
.5	يقيم في المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم - الحلقة الثانية والأخيرة	78

محمد، صلى الله عليه وسلم
من فيح مؤاخاته بين المهاجرين والأنصار
الحلقة الأولى

عن إِبْرَاهِيم بن سَعْدٍ، عن أبيه عن جَدِّهِ، قال: (لَمَّا قَدِمُوا المَدِينَةَ، آخَى رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، بين عبد الرحمن بن عَوْفٍ، وَسَعْدِ بن الرَّبِيعِ، قال لِعَبْدِ الرحمن: إني أَكْثَرُ الأَنْصَارِ مَالاً، فَأَقْسِمُ مَالِي نِصْفَيْنِ، وَلِي امْرَأَتَانِ، فَانْظُرْ أَعْجَبَهُمَا إِلَيْكَ فَسَمِّهَا لِي أُطَلِّقْهَا، فإذا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا فَتَزَوَّجْهَا، قال: بَارَكَ الله لك في أَهْلِكَ وَمَالِكَ، أَيْنَ سُوقُكُمْ؟ فَدَلُّوهُ على سُوقِ بَنِي قَيْنُقَاعَ، فما انْقَلَبَ إلا وَمَعَهُ فَضْلٌ من أَقِطٍ وَسَمْن، ثُمَّ تَابَعَ الْغُدُوَّ، ثُمَّ جاء يَوْمًا وَبِهِ أَثَرُ صُفْرَةٍ، فقال النبي، صلى الله عليه وسلم، مَهْيَمْ؟ قال: تَزَوَّجْتُ، قال: كَمْ سُقْتَ إِلَيْهَا؟ قال: نَوَاةً من ذَهَبٍ، أو وَزْنَ نَوَاةٍ من ذَهَبٍ ـ شَكَّ إِبْرَاهِيمُ)[1]، ومعنى (مَهْيَمْ) أي ما حالك، وما شأنك، وما الخبر؟ وقوله: (نَوَاةً) هي خمسة دراهم.[2]

أبرز أعمال ما بعد الهجرة:

الرسول، صلى الله عليه وسلم، بعد أن هاجر والمسلمين إلى المدينة المنورة، وصارت لهم دولة، اجتمع على نصرة دين الله فيها المهاجرون والأنصار، بقيادته صلى الله عليه وسلم، التي امتازت بالحكمة، وحسن التدبير، والمثابرة، برعاية الله تعالى وحفظه وتوفيقه، وقد حصن عليه الصلاة والسلام، دولته بتقوية الأواصر بين أبنائها، وبناء مسجد على التقوى؛ ليكون معقل عزها، وتوثيق الصلة بين الله وعباده، وأبرم معاهدات مع غير المسلمين من ساكني المدينة، لضمان عيشهم الكريم، واحترامهم لنظام دولته، وضبط العلاقة بينهم وبين المسلمين، وفيما يأتي وقفة مع أحد هذه الأعمال العظيمة.

1. صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب إخاء النبي، صلى الله عليه وسلم، بين المهاجرين والأنصار.
2. عمدة القاري: 16 /256.

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار:

الحديث أعلاه يشير إلى صورة الإخاء الذي تم بين المهاجرين والأنصار، والذي وطدت من خلاله العلاقة بينهما، والذين تَكوَّنَ من اندماجهم مجتمع المدينة الصلب، الذي أشار رب البرية سبحانه إلى فضله في تآلف قلوب فئاته وأفراده، فقال عز وجل: {وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفَت بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}[1]، فتوطيد الأواصر بين أبناء المجتمع المسلم، ركيزة مهمة للمحافظة عليه، وتقويته، ليصمد أمام أعاصير مستهدفيه، والطامعين في إخضاعه لابتزازهم وجبروتهم، ولتكون لديه القدرة على القيام بواجبه تجاه دينه، ووجوده، ومقدساته، والذب عن حياضه، والانتصار للمستضعفين أينما وجدوا، ولم تتم المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار مجاملة لموقف، أو رفعاً لعتب، وإنما انطلقت من قناعات إيمانية، وفي إطار معايير شرعية، مؤداها الأمل في نيل الثواب، وتحقيق المنعة والعزة، وخضوعاً لأمر الله سبحانه، ورسوله، صلى الله عليه وسلم، حيث أُمروا بالطاعة المطلقة لهما في المنشط والمكره، والعسر واليسر، وأمام أمرهما تُلغى الخيارات، ويرفض الخضوع للأهواء، والله عز وجل وضح بجلاء لا يقبل التأويل لزوم الأخذ بمبدأ طاعته فيما يأمر، فقال سبحانه: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِيناً}[2]

فالمؤاخاة انطلقت من هذه المبادئ والقيم، فكانت قوية ووطيدة، وصل الأمر بأطرافها كما في الحديث أن يقدم أحد طرفيها شطر ماله لأخيه، بل ويبدي استعداداً لترك إحدى أزواجه؛ ليتزوجها أخوه، وفق الضوابط الشرعية بالخصوص، وفي المقابل؛ وُجِدَ الطرف العفيف غير الطامع بالذي بين يدي أخيه، وإنما يأخذ منه بقدر الحاجة الماسة دون توسع، فقدر لأخيه عرضه الكريم، وطلب أن يدله على السوق، ليمارس فيه نشاطه وجهده بحثاً عن الرزق، دون اتكال على متبرع، بسخاوة وجود، فذهب إلى السوق، وغاب أياماً، ثم عاد منجزاً وكاسباً، ومتزوجاً.

---

1. الأنفال: 63.
2. الأحزاب: 36.

الثناء القرآني على المهاجرين والأنصار:

أثنى الله عز وجل في قرآنه الكريم على طرفي المؤاخاة الرئيسين، وهما المهاجرون والأنصار، وذلك في آيات قرآنية عديدة، منها آيتان متتاليتان من سورة الحشر، في الأولى منهما، أثنى على المهاجرين ووصفهم بالصادقين، بعد الإشارة إلى بعض صفاتهم وأعمالهم، فقال تعالى: {لِلْفُقَرَاء الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ}[1]

وفي الآية التي تلتها مدح الأنصار، لحبهم المهاجرين، واحتضانهم إياهم، وإيثارهم بالخير، فقال تعالى: {وَالَّذِينَ تَبَوَّءوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}[2]

ويجمع الفريقين قاسم مشترك أعظم، أنهم ينتصرون للدين، ويتعاونون على ذلك، كل بطريقته، والإمكانات المتاحة لديه، مما أهلهم لنيل رضاه سبحانه، مصداقاً لقوله سبحانه: {وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}[3]

راجين أن ييسر الله في حلقة لاحقة متابعة الوقوف عند مزيد من فيح المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، رضي الله عنهم وأرضاهم، ومن تبعهم بإحسان، وصلى الله وسلم وبارك، على مبلغهم الدين، وعلى آله الطاهرين، وأزواجه أمهات المؤمنين، وأصحابه الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

---

1. الحشر:8.
2. الحشر:9.
3. التوبة:100.

محمد، صلى الله عليه وسلم
من فيح مؤاخاته بين المهاجرين والأنصار
الحلقة الثانية

عـن أبي هُرَيْـرَةَ، رضي اللـه عنـه، عـن النـبي، صـلى اللـه عليـه وسـلم، قـال: (لـو أَنَّ الْأَنْصَـارَ سَـلَكُوا وَادِيًـا أو شِـعْبًا، لَسَـلَكْتُ فِي وَادِي الْأَنْصَـارِ، وَلَـوْلَا الْهِجْـرَةُ لَكُنْـتُ امْـرَأً مـن الْأَنْصَـارِ، فقـال أبـو هُرَيْـرَةَ: مـا ظَلَـمَ بِـأَبِي وَأُمِّـي؛ آوَوْهُ وَنَـصَرُوهُ ـ أو كَلِمَـةً أُخْـرَى ـ)[1]

مكانة المهاجرين والأنصار:

مـن تقديـره صـلى اللـه عليـه وسـلم، للأنصـار، وهـو المهاجـر مـع مـن هاجـروا إليهـم مـن المسـلمين انتصـاراً للديـن، تمنيـه أن يكـون امـرأً منهـم، كمـا في حديـث أبي هريـرة، رضي اللـه عنـه أعـلاه، الـذي يتوافـق مـع المعـاني الـتي ختمـت بهـا الحلقـة السـابقة، بشـأن الثنـاء القـرآني عـلى المهاجريـن والأنصـار، الذيـن جمعهـم قاسـم مشـترك أعظـم، أنهـم ينتـصرون للديـن، ويتعاونـون عـلى ذلـك، كل بطريقتـه، والإمكانـات المتاحـة لديـه، ممـا أهلهـم لنيـل رضـاه وغفرانـه سـبحانه، مصداقـاً لقولـه عـز وجـل: {وَالسَّـابِقُونَ الأَوَّلُـونَ مِـنَ الْمُهَاجِرِيـنَ وَالأَنصَـارِ وَالَّذِيـنَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـانٍ رَّضِيَ اللّـهُ عَنْهُـمْ وَرَضُـواْ عَنْـهُ وَأَعَـدَّ لَهُـمْ جَنَّـاتٍ تَجْـرِي تَحْتَهَـا الأَنْهَـارُ خَالِدِيـنَ فِيهَـا أَبَـداً ذَلِـكَ الْفَـوْزُ الْعَظِيـمُ}[2]

جاء في التفسير، أن في قوله تعالى: {وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ} خمسة أقوال:

أحدها: أنهم الذين صلوا إلى القبلتين مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم.

والثاني: أنهم الذين بايعوا رسـول الله، صلى الله عليه وسـلم، بيعة الرضوان، وهي الحديبية.

والثالث: أنهم أهل بدر.

1. صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب قول النبي، صلى الله عليه وسلم: (لولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار.
2. التوبة:100.

والرابع: أنهم أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، جميعهم، حصل لهم السبق بصحبته.

والخامس: أنهم السابقون بالموت والشهادة، سبقوا إلى ثواب الله تعالى.[1]

فالمهاجرون والأنصار من أصحاب السبق بالخير، وتصدروا بمجموعهم سلم الخيرية، بالمقارنة مع من عقبهم من المسلمين، فعن عبد اللَّهِ، رضي الله عنه، عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: (خَيْرُ النَاس قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ، تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ) [2]

من شواهد الإقرار بفضل الأنصار:

حديث أبي هريرة أعلاه، يشير إلى عمق التقدير الذي كان الرسول، صلى الله عليه وسلم، يكنه للأنصار، الذين كان منهم الإيواء والنصرة، وبعد تحقق الانتصارات المتعاقبة للمسلمين على أعدائهم، حدث إشكال لدى بعض الأنصار لما أعطى الرسول، صلى الله عليه وسلم، من غنائم هوازن، ولم يعطِ الأنصار، فطمأن جمعهم بقوله: (لو أَنَّ الأَنْصَارَ سَلَكُوا وَادِيًا أو شِعْبًا، لَسَلَكْتُ فِي وَادِي الْأَنْصَارِ، وَلَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً من الْأَنْصَارِ...)

ومن الروايات الصحيحة التي تضمنت مزيداً من التفصيل لهذه الواقعة المعبرة، تلك التي رواها البخاري في صحيحه، عن عبد اللَّهِ بن زَيْدِ بن عَاصِمٍ، قال: (لَمَّا أَفَاءَ الله على رَسُولِهِ، صلى الله عليه وسلم، يوم حُنَيْنٍ، قَسَمَ في النَاس في الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ، ولم يُعْطِ الأَنْصَارَ شيئاً، فَكَأَنَّهُمْ وَجَدُوا إِذْ لم يُصِبْهُمْ ما أَصَابَ النَاس، فَخَطَبَهُمْ، فقال: يا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُم الله بِي؟ وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُم الله بِي؟ وكنتم عالة فَأَغْنَاكُم الله بِي ـ كُلَّمَا قال شيئاً قالوا: الله وَرَسُولُهُ أَمَنُّ ـ قال: ما يَمْنَعُكُمْ أَنْ تُجِيبُوا رَسُولَ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، قال: كُلَّمَا قال شيئاً قالوا: الله وَرَسُولُهُ أَمَنُّ، قال: لو شِئْتُمْ قُلْتُمْ جِئْتَنَا كَذَا وَكَذَا، أَتَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَاس بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ، وَتَذْهَبُونَ بِالنَّبِيِّ، صلى الله

1. زاد المسير، 3/ 490.

2. صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أُشهد.

عليه وسلم، إلى رِحَالِكُمْ؟ لَوْلا الهِجْرَةُ لَكُنْتُ امرأً من الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ الناس وَادِيًا وَشِعْبًا، لَسَلَكْتُ وَادِيَ الْأَنْصَارِ وَشِعْبَهَا، الْأَنْصَارُ شِعَارٌ، وَالنَّاسُ دِثَارٌ، إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أُثْرَةً، فَاصْبِرُوا حتى تَلْقَوْنِي على الْحَوْضِ) [1]

وفي اقتباس من رواية صحيحة تفصيلية أخرى لهذه الواقعة، عن أَنَس بن مَالِكٍ، رضي الله عنه، أن رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، لما حُدث بِمَقَالَة نَاس من الأَنْصَارِ بعد توزيعه ما أَفَاءَ الله عليه من أَمْوَالِ هَوَازِنَ، (...جَمَعَهُمْ في قُبَّةٍ من آدم، ولم يَدْعُ مَعَهُمْ غَيْرَهُمْ، فلما اجْتَمَعُوا قام النبي، صلى الله عليه وسلم، فقال: ما حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكُمْ؟ فقال فُقَهَاءُ الأَنْصَارِ: أَمَّا رُؤَسَاؤُنَا يا رَسُولَ اللَّهِ، فلم يَقُولُوا شيئاً، وَأَمَّا نَاسٌ مِنَّا حَدِيثَةٌ أَسْنَانُهُمْ، فَقَالُوا: يَغْفِرُ الله لِرَسُولِ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، يُعْطِي قريشاً وَيَتْرُكُنَا، وَسُيُوفُنَا تَقْطُرُ من دِمَائِهِمْ، فقال النبي، صلى الله عليه وسلم، فَإِنِّي أُعْطِي رِجَالًا حَدِيثِي عَهْدٍ بِكُفْرٍ؛ أَتَأَلَّفُهُمْ، أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ الناس بِالأَمْوَالِ، وَتَذْهَبُونَ بِالنَّبِيِّ، صلى الله عليه وسلم، إلى رِحَالِكُمْ؟ فَوَ اللَّهِ لَمَا تَنْقَلِبُونَ بِهِ خَيْرٌ مِمَّا يَنْقَلِبُونَ بِهِ، قالوا: يا رَسُولَ اللَّهِ، قد رَضِينَا، فقال لهم النبي، صلى الله عليه وسلم: سَتَجِدُونَ أُثْرَةً شَدِيدَةً، فَاصْبِرُوا حتى تَلْقَوْا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، صلى الله عليه وسلم، فَإِنِّي على الْحَوْضِ) [2]، فهذان الشاهدان الصحيحان يدلان على ما كان للأنصار من تقدير واعتزاز.

آملين في الحلقة التالية متابعة استلهام الدروس والعبر من فيح المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، رضي الله عنهم وأرضاهم، ومن تبعهم بإحسان، وصلى الله وسلم وبارك، على مبلغهم الدين، وعلى آله الطاهرين، وأزواجه أمهات المؤمنين، وأصحابه الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

1. صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الطائف.

2. التخريج نفسه.

الرسول الأسوة ﷺ

محمد، صلى الله عليه وسلم

من فيح مؤاخاته بين المهاجرين والأنصار

الحلقة الثالثة والأخيرة

عن أبي هُرَيْرَةَ، عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: (إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فإن الظَّنَّ أَكْذَبُ الحديث، ولا تَحَسَّسُوا، ولا تَجَسَّسُوا، ولا تَحَاسَدُوا، ولا تَدَابَرُوا، ولا تَبَاغَضُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا)[1]

تعرضت الحلقة السابقة إلى تقدير سبق المهاجرين والأنصار، وبيان مكانتهم الرفيعة في الإسلام، فالله تعالى أثنى على هذا السبق، والرسول، صلى الله عليه وسلم، عبر عن تقديره واعتزازه بالأنصار، معرباً عن اعتزازه بأن يكون منهم، ويسلك شعبهم ووادیهم، فهنيئاً للأنصار هذا العلو، وطوبى لهم وللمهاجرين سبقهم لنصرة الإسلام، والذب عن حياضه، وتصدرهم سلم الخير من بين المسلمين.

وكونوا عباد الله إخوانًا:

يتماشى الأمر النبوي في الحديث أعلاه مع الإقرار الإلهي بأن المؤمنين إخوة، حيث يقول عز وجل: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}[2]، والأخوة هنا أوسع من نطاق أخوة القرابة والنسب والرضاع، وإنما هي أخوة تنطلق من الإيمان، وتتأكد بالعمل بمقتضاه، وما دام المؤمنون إخوة، وهم بشر يتوقع منهم الاختلاف، وأن يحدث بينهم الشقاق والنزاع، ومن الأمر الإلهي الوارد في الآية الكريمة، يتبين أن سلبية المواقف حيال نزاع الإخوة مرفوضة، فلا يقبل من المسلمين الاكتفاء بمشاهدة النزاع بين بعض أطراف المسلمين، أو سماع الأخبار عنه، دون أن يحركوا ساكناً لمعالجته، والتخلص من أضراره.

1. صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر.
2. الحجرات: 10.

رفض العصبية المنتنة:

المهاجـرون والأنصـار مثلـوا شريحتـين رئيسـتين، تكّـون منهمـا المجتمـع المسـلم الأول، ورغـم تضحيـات الفريقـين انتصـاراً للديـن، والـذب عـن دولـة الإسـلام والمسـلمين، إلا أنهـم يبقـون بـشراً، يتوقـع وقوعهـم في أخطـاء وذنـوب، سـواء عـلى مسـتوى أفرادهـم أو جماعاتهـم، وحـتى في علاقاتهـم مـع بعضهـم بعضـاً، ووجـود الانتمـاءات المختلفـة في المجتمـع، يتيـح المجـال أحيانـاً للوقـوع في مزالـق الشـيطان، الـذي يعمـل وحزبـه عـلى توسـيع الـشرخ بـين المختلفـين، لإضعافهـم، والتمكـن مـن السـيطرة عليهـم، وعـلى مواقفهـم بسـهولة ويـسر، وهـذا مـا كاد يكـون بـين المهاجريـن والأنصـار حـتى والرسـول، صـلى اللـه عليـه وسـلم، بـين ظهرانيهـم، فعـن جَابِـرَ بـن عبـد اللَّـهِ، رضي اللـه عنهمـا، قـال: (كنـا في غَـزَاةٍ، قـال -سُـفْيَانُ: مَـرَّةً في جَيْـشٍ- فَكَسَـعَ رَجُـلٌ مـن الْمُهَاجِرِيـنَ رَجُـلًا مـن الْأَنْصَـارِ، فقـال الأَنْصَـارِيُّ: يـا لَلْأَنْصَـارِ، وقـال المُهَاجِـرِيُّ: يـا لَلْمُهَاجِرِيـنَ، فَسَـمِعَ ذلـك رسـول اللَّـهِ، صـلى اللـه عليـه وسـلم، فقـال: مـا بَـالُ دَعْـوَى الجاهليـة؟! قالـوا: يـا رَسُـولَ اللَّـهِ؛ كَسَـعَ رَجُـلٌ مـن الْمُهَاجِرِيـنَ رَجُـلًا مـن الأَنْصَـارِ، فقـال: دَعُوهَـا، فَإِنَّهَـا مُنْتِنَـةٌ، فَسَـمِعَ بِذَلِـكَ عبـد اللَّـهِ بـن أُبَيٍّ، فقـال: فَعَلُوهَـا أَمَـا واللـه {لَـئِنْ رَجَعْنَـا إلى المَدِينَـةِ لَيُخْرِجَـنَّ الأَعَـزُّ منهـا الأَذَلَّ} فَبَلَـغَ النـبي، صـلى الله عليـه وسـلم، فَقَـامَ عُمَـرُ، فقـال: يـا رَسُـولَ اللَّـهِ؛ دَعْـنِي أَضْرِبْ عُنُـقَ هـذا الْمُنَافِـقِ، فقـال النـبي، صـلى اللـه عليـه وسـلم: دَعْـهُ، لَا يَتَحَـدَّثُ النـاس أَنَّ مُحَمَّـدًا يَقْتُـلُ أَصْحَابَـهُ، وَكَانَـتْ الأَنْصَـارُ أَكْـثَرَ من المُهَاجِرِيـنَ حـين قَدِمُـوا المَدِينَـةَ، ثُـمَّ إِنَّ الْمُهَاجِرِيـنَ كَـثُرُوا بَعْـدُ)[1]

فالرسـول، صـلى اللـه عليـه وسـلم، حسـم الـرد بـأن الانتصـار للحميـة والفئويـة دعـوى جاهليـة منتنـة، واللـه تعـالى حـذر مـن تداعيـات الـنزاع والشـقاق بـين المسـلمين، حيـث تضعـف بـه شـوكتهم، ويفشـلهم جميعـاً، فقـال جـل شـأنه: {وَأَطِيعُـواْ اللّـهَ وَرَسُـولَهُ وَلاَ تَنَازَعُـواْ فَتَفْشَـلُواْ وَتَذْهَـبَ رِيحُكُـمْ وَاصْـبِرُواْ إِنَّ اللّـهَ مَـعَ الصَّابِرِيـنَ}[2]، واجتمـاع هـذا التحذيـر مـع الحـث عـلى بنـاء العلاقـات بـين أفـراد المجتمـع وفئاتـه عـلى أسـاس مـن الحـب، والإيمـان، والإيثـار، وبخاصـة حـين

1. صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، سورة المنافقين، باب قوله: (سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم إن الله لا يهدي القوم الفاسقين)(المنافقون: 6).

2. الأنفال: 46.

تكـون لجميعهـم قضيـة مشـتركة، ومصـير واحـد، كمـا كان في حالـة المهاجريـن والأنصـار، حيـث كانـت التضحيـات، وكان الإيـواء، فنتجـت عـن ذلـك الانتصـارات الـتي تعاقبـت متواليـة، حـتى أعـز اللـه دينـه، وجـاء الحـق، وزهـق الباطـل، وجـاء نـصر اللـه والفتـح، ويـسّر اللـه للمسـلمين ونبيهـم، صـلى اللـه عليـه وسـلم، الفتـح المبـين.

هل من معتبر؟

الناظـر في نجـاح الأمـس، وانتصـارات البارحـة، مقارنـة مـع خـوار اليـوم، بمـا فيـه مـن حالـة الانهـزام الـتي طالـت البـلاد والعبـاد، ودُنسـت في ظلهـا المقدسـات، يجـد بالفحـص، والتدبـر، وتشـخيص الحالـة، أن مـن أبـرز فشـل الآن، بالمقارنـة مـع نجـاح الأمـس، التخـلي عـن منظومـة المبـادئ والقيـم والأحـكام، الـتي رُفـع مقـام الأولـين لمـا أخـذوا بهـا، وتشرذمـت مواقـف الآخريـن لمـا تخلـوا عنهـا، فأصبـح المسـلمون شـيعاً، كل حـزب بمـا لديهـم فرحـون، لا تؤلـم بعضهـم جـراح إخوانهـم، ولـم يعـودوا كمـا أحـب لهـم نبيهـم، صـلى اللـه عليـه وسـلم، كالبنيـان يشـد بعضـه بعضـاً، وكالجسـد الـذي يتداعـى للسـهر والحمـى، إذا اشـتكى منـه عضـو، حسـب قولـه صـلى اللـه وسـلم : (مَثَـلُ الْمُؤْمِنِـينَ فِي تَوَادِّهِـمْ، وَتَرَاحُمِهِـمْ، وَتَعَاطُفِهِـمْ، مَثَـلُ الْجَسَـدِ إذا اشْـتَكَى منـه عُضْـوٌ تَدَاعَـى لـه سَـائِرُ الجَسَـدِ بِالسَّـهَرِ وَالْحُمَّـى)[1]، وقولـه: (إِنَّ الْمُؤْمِـنَ لِلْمُؤْمِـنِ كَالْبُنْيَـانِ يَشُـدُّ بَعْضُـهُ بَعْضًـا وَشَـبَّكَ أَصَابِعَـهُ)[2]

هدانـا اللـه والمسـلمين كافـة لصراطـه المسـتقيم، ودينـه القويـم، وألـف بـين قلوبنـا، وصرف الشـقاق والـنزاع مـن بيننـا، راجـين أن ينفـع اللـه المتدبريـن بهـذه الشـواهد، ذات الصلـة بفيـح المؤاخـاة بـين المهاجريـن والأنصـار، رضي اللـه عنهـم وأرضاهـم، ومـن تبعهـم بإحسـان، وصـلى اللـه وسـلم وبـارك، عـلى مبلغهـم الديـن، وعـلى آلـه الطاهريـن، وأزواجـه أمهـات المؤمنـين، وأصحابـه الغـر الميامـين، ومـن تبعهـم بإحسـان إلى يـوم الديـن.

1. صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم.

2. صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره.

الرسول الأسوة ﷺ

محمد، صلى الله عليه وسلم

يقيم في المسجد الذي أُسس على التقوى من أول يوم

الحلقة الأولى

يرغب الله نبيه محمداً، صلى الله عليه وسلم، بأن يقوم في المسجد الذي أُسس على التقوى من أول يوم، فقال تعالى: {لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَداً لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ المُطَّهِّرِينَ}[1]

الآية الكريمة تتضمن نهياً عن الإقامة في مسجد، وترغيباً بالإقامة في مسجد آخر، فقد نهى الله نبيه الكريم، صلى الله عليه وسلم، عن الإقامة في مسجد الضرار، الذي تم ذكره في الآية الكريمة السابقة لهذه، فقال تعالى: {وَالَّذِينَ اتَّخَذُواْ مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ المُؤْمِنِينَ وَإِرْصَاداً لِّمَنْ حَارَبَ اللّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفَنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى وَاللّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ}[2]

النهي عن الإقامة في مسجد الضرار:

جاء في أضواء البيان، أن مسجد الضرار كان بمنطقة قباء، وطلبوا من رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أن يصلي لهم فيه تبركاً في ظاهر الأمر، وتقريراً لوجوده، يتذرعون بذلك، ولكن الله كشف عن حقيقتهم.

وجاءت الآية بمقارنة بين المسجدين، فقال تعالى له: {لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ}

---

1. التوبة: 108.
2. التوبة: 107.

وجاءت بعد ذلك مباشرة مقارنة أخرى أعم من الأولى، في قوله تعالى: {أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىَ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ* لاَ يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْاْ رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلاَّ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}[1]

وبهذا يكون السبب في نزول الآية، هو المقارنة بين مبدأين متغايرين، وأن الأولية في الآية في قوله: {مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ} أولية نسبية؛ أي بالنسبة إلى كل مسجد في أول.[2]

أول مسجد في تاريخ الإسلام:

لأهمية المسجد في الإسلام، تصدرت إقامته أوائل أعمال النبي، عليه الصلاة والسلام، بعد هجرته من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، حيث أسس مسجد قباء، وأقام فيه ما يقارب عشرة أيام، قبل أن تحط رحاله في موضع إقامته الدائمة في المدينة المنورة، وحين حصلت شرع في إقامة المسجد النبوي، فعن عُرْوَة بن الزُّبَيْرِ: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، في طريق هجرته من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، لَبِثَ في بَنِي عَمْرِو بن عَوْفٍ بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، وَأُسِّسَ المَسْجِدُ الذي أُسِّسَ على التَّقْوَى، وَصَلَّى فيه رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، ثُمَّ رَكِبَ رَاحِلَتَهُ، فَسَارَ يَمْشِي معه الناس، حتى بَرَكَتْ عِنْدَ مَسْجِدِ الرَّسُولِ، صلى الله عليه وسلم، بِالْمَدِينَةِ، وهو يُصَلِّي فيه يَوْمَئِذٍ رِجَالٌ من المُسْلِمِينَ، وكان مِرْبَدًا لِلتَّمْرِ لِسُهَيْلٍ وَسَهْلٍ، غُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ، في حَجْرِ أَسْعَدَ بن زُرَارَةَ، فقال رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، حين بَرَكَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ، هذا إن شَاءَ الله الْمَنْزِلُ، ثُمَّ دَعَا رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، الغُلَامَيْنِ، فَسَاوَمَهُمَا بِالْمِرْبَدِ، لِيَتَّخِذَهُ مَسْجِدًا، فَقَالا لا بَلْ نَهَبُهُ لك يا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَبَى رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُمَا هِبَةً، حتى ابْتَاعَهُ مِنْهُمَا، ثُمَّ بَنَاهُ مَسْجِدًا، وَطَفِقَ رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، يَنْقُلُ مَعَهُم اللَّبِنَ في بُنْيَانِهِ، وَيَقُولُ وهو يَنْقُلُ اللَّبِنَ:

1. التوبة: 109 - 110.
2. أضواء البيان، 8/ 323.

هذا الحِمَالُ لا حِمَالَ خَيْبَرْ هذا أَبَرُّ رَبَّنَا وَأَطْهَرْ

وَيَقُولُ: اللهم إِنَّ الأَجْرَ أَجْرُ الآخرة فَارْحَم الأَنْصَارَ وَالمُهَاجِرَه

فَتَمَثَّلَ بِشِعْرِ رَجُلٍ من الْمُسْلِمِينَ لم يُسَمَّ لي، قال ابن شِهَابٍ: ولم يَبْلُغْنَا في الأَحَادِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، تَمَثَّلَ بِبَيْتِ شِعْرٍ تَامٍّ غير هذا البَيْتِ).[1]

المسجد الذي أُسس على التقوى من أول يوم:

ورد الاختلاف بين الروايات في تحديد المقصود بالمسجد الذي أُسس على التقوى، هل هو المسجد النبوي؟ أم مسجد قباء؟ فبخلاف حديث عُرْوَة بن الزُّبَيْرِ الوارد ذكره أعلاه، أورد مسلم في صحيحه الحديث المثبت نصه أعلاه تحت بَاب: بَيَانِ أَنَّ المَسْجِدَ الذي أُسِّسَ على التَّقْوَى هو مَسْجِدُ النبي، صلى الله عليه وسلم، بِالْمَدِينَةِ، ومن تعقيبات ابن حجر على هذا الخلاف وأبعاده، إشارته بأن الجمهور على أن المراد به مسجد قباء، وقوله بعد ذلك: والحق أن كلاً منهما أُسس على التقوى، وقوله تعالى في بقية الآية: {فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ} يؤيد كون المراد مسجد قباء، وعلى هذا، فالسر في جوابه صلى الله عليه وسلم، بأن المسجد الذي أُسس على التقوى مسجده، رفع توهم أن ذلك خاص بمسجد قباء، والله أعلم، قال الداودي وغيره: ليس هذا اختلافاً؛ لأن كلاً منهما أُسس على التقوى.[2]

راجين أن ييسر الله متابعة الوقوف عند بعض مغازي ونفحات الإقامة في المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم، حسب التوجيهات الربانية للنبي، صلى الله عليه وسلم، وعلى آله الطاهرين، وأزواجه أمهات المؤمنين، وأصحابه الغر الميامين، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

1. صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي، صلى الله عليه وسلم، وأصحابه إلى المدينة.

2. فتح الباري 7 /245 بتصرف.

محمد، صلى الله عليه وسلم
يقيم في المسجد الذي أُسس على التقوى من أول يوم
الحلقة الثانية والأخيرة

عن أبي سَلَمَةَ بن عبد الرحمن، قال: (مَرَّ بِي عبد الرحمن بن أبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قال: قلت له: كَيْفَ سَمِعْتَ أَبَاكَ يَذْكُرُ فِي المَسْجِدِ الذي أُسِّسَ على التَّقْوَى، قال: قال أبي: (دَخَلْتُ على رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، فِي بَيْتِ بَعْضِ نِسَائِهِ، فقلت: يا رَسُولَ اللَّهِ؛ أَيُّ المَسْجِدَيْنِ الذي أُسِّسَ على التَّقْوَى، قال: فَأَخَذَ كَفًّا من حَصْبَاءَ، فَضَرَبَ بِهِ الأَرْضَ، ثُمَّ قال: هو مَسْجِدُكُمْ هذا، لِمَسْجِدِ المَدِينَةِ، قال: فقلت: أَشْهَدُ أَنِّي سمعت أَبَاكَ هَكَذَا يَذْكُرُهُ)[1]

ورد في الحلقة السابقة ذكر الترغيب الرباني للرسول، صلى الله عليه وسلم، بأن يقوم في المسجد الذي أُسس على التقوى من أول يوم، والذي جاء في سياق آيات كريمة، نهى فيها عليه الصلاة والسلام عن الإقامة في مسجد الضرار، والفرق شاسع بين الثرى والثريا، فمسجد الضرار أقيم لتحقيق أهداف شريرة، بخلاف الذي أسس على التقوى، والذي اختلف في تحديده بناء على الروايات الواردة بالخصوص.

فضل المسجد النبوي ومسجد قباء:

في فضل المسجدين وردت الأدلة والآثار الصحيحة، فالأدلة على فضل المسجد النبوي كثيرة، فمن ذلك أنه من المساجد التي تشد إليها الرحال، فعن أبي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه، عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: (لا تُشَدُّ الرِّحَالُ إلا إلى ثَلاثَةِ مَسَاجِدَ، المَسْجِدِ الحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ، صلى الله عليه وسلم، وَمَسْجِدِ الأَقْصَى)[2]

1. صحيح مسلم، كتاب الحج، باب بيان أن المسجد الذي أسس على التقوى هو مسجد النبي، صلى الله عليه وسلم، بالمدينة.

2. صحيح البخاري، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة

والصلاة فيه يتضاعف ثوابها عن الصلاة فيما سواه غير المسجد الحرام، فالنبي، صلى الله عليه وسلم، قال: (صَلاةٌ فِي مَسْجِدِي هذا خَيْرٌ من أَلْفِ صَلاةٍ فِيمَا سِوَاهُ، إلا المَسْجِدَ الحَرَامَ)[1]

ومما ورد بشأن مسجد قباء، عن ابن عُمَرَ، رضي الله عنهما، قال: (كان النبي، صلى الله عليه وسلم، يَأْتِي مَسْجِدَ قُبَاءٍ كُلَّ سَبْتٍ مَاشِيًا وَرَاكِبًا، وكان عبد اللَّهِ، بن عمر، رضي الله عنهما، يَفْعَلُهُ)[2]

فهذه من أبرز فضائل هذين المسجدين حسب الوارد في السنة النبوية المطهرة، مما يستحث المسلمين للاهتمام بهما، واستذكار تاريخهما ومنزلتهما في الإسلام، ودورهما في الدعوة إليه، وبخاصة في بدايتها.

أهمية المساجد ودورها:

صحيح أن لبعض المساجد مزايا عن غيرها، وعلى رأس المساجد المميزة بالفضل المسجد الحرام في مكة المكرمة، ويليه في الفضل المسجد النبوي في المدينة المنورة، ثم المسجد الأقصى في بيت المقدس، والمساجد الأخرى لها تاريخ وعراقة وفضل عام تشترك فيه جميعاً، والمساجد المقامة لله وذكره وتسبيحه سبحانه، ينبغي أن تجنب كل ألوان الشرك وأشكاله، بحيث لا يُدعى فيها إلا لله عز وجل دون سواه، حسب أمره سبحانه، إذ يقول جل من قال: {وَأَنَّ المَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً}[3]

رجال المسجد الذي أُسس على التقوى من أول يوم:

المسجد الذي أُسس على التقوى من أول يوم بشهادة رب العالمين، أُشيد بطهارة رجاله، فقال تعالى: {...فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ}[4]، والمقصود بالطهارة هنا حسب ما جاء في معظم التفاسير، هي الطهارة الحسية من النجاسة بالماء، فقد

1. صحيح البخاري، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة.
2. صحيح البخاري، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، باب من أتى مسجد قباء كل سبت.
3. الجن: 18.
4. التوبة:108.

كانوا يستنجون بالماء، ونزلت في الأنصار على قول من قال إن المسجد الذي أسس على التقوى هو مسجد المدينة، ونزلت في بني عمرو بن عوف خاصة، على قول من قال إن المسجد الذي أسس على التقوى هو مسجد قباء[1]، ولا يمنع هذا أن يراد بالطهارة هنا أيضاً إضافة لما ذكر الخلو من الشرك والنفاق والذنوب، لتجتمع بذلك الطهارة البدنية والقلبية والسلوكية في رجال المسجد الذي أُسس على التقوى من أول يوم.[2]

ووردت الإشادة برجال المساجد في مواضع قرآنية أخرى، فيقول عز وجل: {فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ* رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ* لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ}[3]

والمساجد بيوت الله التي أمر الله ببنائها وإعمارها، وأن يذكر فيها اسمه، وحصر الله إعمارها بالمؤمنين، فقال تعالى: {إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللّهَ فَعَسَى أُوْلَـئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ}[4]

مما يشير إلى أهمية مواصفات رجال المساجد، وأنه ينبغي العمل دائماً على تحليهم بالإيمان والقيم والأخلاق، ليكونوا كما يحب لهم ربهم، متطهرين، حتى يشملهم بحبه ورضاه سبحانه، ويكونوا من أصحاب القلوب المعلقة في المساجد الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، راجين أن نكون منهم، وأن ينفع الله بما تمت الإشارة إليه من عبق نفحات الأمر بالإقامة في المسجد الذي أُسس على التقوى من أول يوم، حسب الأمر الرباني الموجه إلى النبي، صلى الله عليه وسلم، وعلى آله الطاهرين، وأزواجه أمهات المؤمنين، وأصحابه الغر الميامين، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

---

1. التسهيل لعلوم التنزيل، 2 /85.

لمزيد من التفصيل يمكن مراجعة التفسير الكبير، 16 /155 - 156.

3. النور: 36 - 38.

4. التوبة:18.

الفصل الرابع/ المسرى والأسرى

الرسول الأسوة محمد، صلى الله عليه وسلم		
.1	وعنايته بالمسرى والأسرى - الحلقة الأولى	82
.2	وعنايته بالمسرى والأسرى - الحلقة الثانية والأخيرة	85
.3	يُبقي المسجد الأقصى المبارك في وجدان المسلمين وبؤرة اهتمامهم - الحلقة الأولى	88
.4	يُبقي المسجد الأقصى المبارك في وجدان المسلمين وبؤرة اهتمامهم - الحلقة الثانية	91
.5	يُبقي المسجد الأقصى المبارك في وجدان المسلمين وبؤرة اهتمامهم - الحلقة الثالثة والأخيرة	94
.6	يؤكد على مكانة المسجد الأقصى المبارك في الإسلام	97

محمد، صلى الله عليه وسلم
وعنايته بالمسرى والأسرى
الحلقة الأولى

عن أبي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه، عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: (لا تُشَدُّ الرِّحَالُ إلا إلى ثَلاثَةِ مَسَاجِدَ؛ المَسْجِدِ الحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ، صلى الله عليه وسلم، وَمَسْجِدِ الأَقْصَى)[1]

زيادة على الأمر بشد الرحال إلى المسجد الأقصى المبارك، بالاقتران مع الحث على شد الرحال إلى صِنْوَيه؛ المسجد الحرام في مكة المكرمة، والمسجد النبوي الشريف في المدينة المنورة، فهذا الحديث الشريف يدل بما لا يدع مجالاً للشك على أهمية هذه المساجد الثلاثة في دين الإسلام، وعباداته، وتاريخه، ومقدساته، فهي المساجد الأعظم في الإسلام، قبلة الإسلام الأولى وتاليها، ومنطلق دعوته، ومهد دولته الأولى، وطرفا مسرى نبيه، صلى الله عليه وسلم، مصداقاً لقوله عز وجل: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ}[2]

المراد بالرحال وشدها إلى هذه المساجد:

الرسول، صلى الله عليه وسلم، حصر في هذا الحديث الشريف، تشريع شد الرحال بقصد التعبد، ونيل الفضل، ومضاعفة المثوبة في هذه المساجد الثلاثة، دون سواها من المساجد، مهما بلغت عظمتها.

1. صحيح البخاري، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة.
2. الإسراء: 1.

جاء في عمدة القاري أن قوله: (لا تُشَدُّ الرِّحَالُ) على صيغة المجهول، بلفظ النفي، بمعنى النهي، أي: لا تشدوا الرحال، ونكتة العدول عن النهي إلى النفي لإظهار الرغبة في وقوعه، أو لحمل السامع على الترك أبلغ حمل، بألطف وجه، وقال الطبري: النفي أبلغ من صريح النهي، كأنه قال: لا يستقيم أن يقصد بالزيارة إلا هذه البقاع؛ لاختصاصها بما اختصت به.

وفي رواية لمسلم، عن الزُّهْرِيِّ بهذا الإسناد، غير أَنَّهُ قال: (تُشَدُّ الرِّحَالُ إلى ثَلاثَةِ مَسَاجِدَ)[1]، فذكره من غير حصر، وليس في هذه الرواية منع شد الرحال لغيرها.

ثم التعبير بشد الرحال خرج مخرج الغالب في ركوب المسافر، وإلا فلا فرق بين ركوب الرواحل والخيل والحافلات والطائرات والمشي في هذا المعنى، ويدل عليه قوله في رواية صحيحة أخرى عن أَبِي هُرَيْرَةَ، يُخْبِرُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، قال: (إنما يُسَافَرُ إلى ثَلاثَةِ مَسَاجِدَ؛ مَسْجِدِ الْكَعْبَةِ، وَمَسْجِدِي، وَمَسْجِدِ إِيلِيَاءَ)(2)

والرحال جمع رحل، وهو للبعير، كالسرج للفرس، وهو أصغر من القتب، وشد الرحل كناية عن السفر؛ لأنه لازم للسفر، وتقدير الكلام لا تشد الرحال إلى موضع، أو مكان، إلا إلى هذه الثلاثة.[3]

تعريف مجمل بالمساجد الثلاثة:

في عمدة القاري أيضاً، أن قوله: (المَسْجِدِ الحَرَامِ) أي المحرم، وقوله: (وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ) الألف واللام فيه للعهد، عن سيدنا محمد، صلى الله عليه وسلم، فإن قيل: ما نكتة العدول عن قوله: (وَمَسْجِدِي) بالإضافة إليه، أجيب بأن: الإشارة إلى التعظيم، على أنه يجوز أن يكون هذا من تصرف بعض الرواة، والدليل عليه قوله في حديث أبي سعيد: (...ولا تُشَدُّ الرِّحَالُ إلا إلى ثَلاثَةِ مَسَاجِدَ: مَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِي، وَمَسْجِدِ الأَقْصَى)[4]

---

1. صحيح مسلم، كتاب الحج، باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد
2. التخريج نفسه.
3. عمدة القاري 7 /252 - 253، بتصرف.
4. صحيح البخاري، كتاب جزاء الصيد، باب حج النساء.

وقوله: (وَمَسْجِدِ الأَقْصَى) بإضافة الموصوف إلى الصفة، وفيه خلاف، فجوزه الكوفيون، كما في قوله تعالى:{وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الأَمْر...}(القصص:44)، وأوله البصريون بإضمار المكان؛ أي بجانب المكان الغربي، ومسجد البلد الحرام، ومسجد المكان الأقصى، وسمي المسجد الأقصى لبعده عن المسجد الحرام، إما في المسافة، أو في الزمان، وقد ورد في الحديث أنه كان بينهما أربعون سنة، فعن أبي ذَرٍّ، قال: قلت: (يا رَسُولَ اللَّهِ؛ أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ في الأرض أَوَّلُ؟ قال: المَسْجِدُ الحَرَامُ، قلت: ثُمَّ أَيٌّ؟ قال: المَسْجِدُ الأَقْصَى، قلت: كَمْ بَيْنَهُمَا؟ قال: أَرْبَعُونَ سَنَةً)[1]

وقال الزمخشري: المسجد الأقصى بيت المقدس؛ لأنه لم يكن حينئذ وراءه مسجد، وقيل: هو أقصى بالنسبة إلى مسجد المدينة؛ لأنه بعيد من مكة، وبيت المقدس أبعد منه، وقيل: لأنه أقصى موضع من الأرض ارتفاعاً وقرباً إلى السماء، يقال: قصى المكان، يقصو قصواً بعد، فهو قصي، ويقال: فلان بالمكان الأقصى، والناحية القصوى.

ومما يستفاد من هذا الحديث أن فيه فضيلة هذه المساجد، ومزيتها على غيرها، لكونها مساجد الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام؛ لأن المسجد الحرام قبلة المسلمين، وإليه حجهم، ومسجد الرسول، صلى الله عليه وسلم، أسس على التقوى، والمسجد الأقصى مسرى النبي، صلى الله عليه وسلم، وقبلة المسلمين الأولى، وفيه أن الرحال لا تشد إلى غير هذه الثلاثة، لكن اختلفوا على أي وجه؟ فقال النووي: معناه لا فضيلة في شد الرحال إلى مسجد ما غير هذه الثلاثة، ونقله عن جمهور العلماء، وقال ابن بطال هذا الحديث إنما هو عند العلماء فيمن نذر على نفسه الصلاة في مسجد من سائر المساجد غير الثلاثة المذكورة.[2]

فهذه ملامح للعناية النبوية بالمسجد الأقصى المبارك، آملين أن ييسر الله متابعة الحديث عن العناية بالمسرى والأسرى، حسب ما جاء في سنة الرسول، صلى الله عليه وسلم، وبارك عليه وعلى آله الطاهرين، وأزواجه أجمعين، وعلى أصحابه الغر الميامين، وعلى من تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

1. صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

2. عمدة القاري، 7 /252 - 253، بتصرف.

محمد، صلى الله عليه وسلم
وعنايته بالمسرى والأسرى
الحلقة الثانية والأخيرة

عن أبي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ، رضي الله عنه، عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: (أَطْعِمُوا الجَائِعَ، وَعُودُوا المَرِيضَ، وَفُكُّوا العَانِيَ، قال سُفْيَانُ: وَالعَانِي الأَسِيرُ)(*)

تعرضت الحلقة السابقة إلى جانب من العناية بالمسرى، حيث تم بيان المراد بالرحال وشدها إلى المساجد الثلاثة، كما ذكر تعريف مجمل للمساجد الثلاثة، وفيما يخص المسجد الأقصى، فسُمِي بهذا الاسم لبعده عن المسجد الحرام، إما في المسافة، أو في الزمان، ويحسن بالمسلمين التيقن بما يدفع كل تشكيك بحقيقة قصد المسجد الأقصى المبارك، الموجود في بيت المقدس، في آية الإسراء القرآنية، التي ربطت بينه وبين المسجد الحرام، دون أن يلقوا بالاً لمروجي الأفكار المشبوهة، التي تحاول زعزعة إيمانهم بالمكانة العقائدية، التي يحتلها المسجد الأقصى لديهم.

استصراخ المسرى والأسرى:

في ظل العداء الظالم، والاستهداف الواضح للمسرى والأسرى، يتقاطع الحديث عنهما في مشتركات عدة، فهما أسيران، وحق على المسلمين نصرتهما، وأداء الواجب لهما، وإذا كان الحث على شد الرحال إلى المسجد الأقصى المبارك يندرج في سياق الانتصار العملي والواقعي له، فالأسير الفلسطيني الذي يكابد المشاق، ويواجه الصعاب، تلزمه نصرة عملية لتخفيف آلامه ومعاناته، وفي الحديث الشريف أعلاه، حث واضح على العمل لإطلاق سراح الأسرى، فالعاني الذي يأمر عليه الصلاة والسلام بفكه هو الأسير، الذي من حقه على أمته ألا تنساه، وأن تعمل بكل السبل المتاحة على إنقاذه من قيد الأسر، فهو يقبع وراء

* صحيح البخاري، كتاب الأطعمة، باب منه.

قضبان سجّانيه، ليس لجريمة ارتكبها، وإنما لأنه رفع الهامة منتصراً لكرامة أمته، وحقوقها المشروعة، والدفاع عن حياضها، والذود عن مقدساتها، التي يدنسها الظالمون صباح مساء، دون رادع أو حسيب.

وإذا كان الله سبحانه، قد أنكر التقاعس عن نصرة المستضعفين، فقال تعالى: {وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيراً}(*)، فكيف إذا كان المستنصر والمستصرخ المسرى والأسرى؟! بما لهما من مكانة، وحق على عامة المسلمين وخاصتهم، فهما يكابدان من الغاصبين المحتلين الظالمين، وتبث مكابدتهما شاشات العرض على اختلاف أشكالها وأحجامها، فمن فاته الجلوس أمام التلفاز، فبين يديه هاتفه الذي يأتيه بمستجدات الأخبار أولاً بأول، فكيف إذاً سيعذر المتقاعسون عن نصرتهما بما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، سائلين الله العلي القدير أن يجعل للمسرى والأسرى من لدنه ولياً ونصيراً.

وحق لمطالعي تاريخ عزة أمة الإسلام، وصفحات تاريخها المجيد، أن يتساءلوا عن معتصم للأسرى والمسرى، كالمعتصم بالله لما وصلته صيحة امرأة، فلبى النداء، وانتصر للمستغيثة من ظالميها، ولما يشتد الخناق بالمسرى والأسرى، وتبث أخبارهم على الهواء لشتى بقاع الدنيا، يلجأ المطالعون للمشهدين إلى إعادة ترداد قول الشاعر:

رب وا معتصماه انطلقت ملء أفواه الصبايا اليتم

قد لامست أسماعهم لكنها ما لامست نخوة المعتصم

وإعادة استذكار هذا الشعر لا يكون دافعه التسلي، ولا تقريع الناس وتأنيبهم، وإنما يهدف إلى استنهاض الهمم، لتجاوز التقصير، واستلهام العبر من مواقف من وجب التأسي بشجاعتهم، وكرامتهم، ويقظتهم، وحسن أدائهم لواجبهم، وبخاصة تجاه أسمى القضايا.

* النساء: 75.

يوم الأسير الفلسطيني:

يوافق السابع عشر من نيسان يوم الأسير الفلسطيني، الذي حق له أن يُذْكر ويؤازر في أيام العام كلها، وأشكال مؤازرة الأسير مجالاتها كثيرة، فمعاضدة أسرة الأسير، والعناية بذويه، ولو بالزيارة المؤنسة، وإدامة الدعاء له بالحرية، وحفظ حقوقه، وتجنب التعدي عليها، بأي شكل من الأشكال، كل ذلك وما شابهه يعتبر من أضعف الإيمان، الذي يستطيعه عامة الناس وخاصتهم، ويندرج أداء هذا المستوى من المعاضدة للأسير في إطار الحث القرآني العام، الذي أمر الله سبحانه من خلاله بالتعاون على البر والتقوى، فقال تعالى: {...وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}[1]

كما أن تجاهل حقوق الأسرى، والنكوص عن أداء واجب مؤازرتهم، يندرج في إطار الخذلان المنهي عنه، فعن أبي هُرَيْرَةَ قال: قال رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم: (لا تَحَاسَدُوا، ولا تَنَاجَشُوا، ولا تَبَاغَضُوا، ولا تَدَابَرُوا، ولا يَبِعْ بَعْضُكُمْ على بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ، لا يَظْلِمُهُ، ولا يَخْذُلُهُ، ولا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى ها هنا -وَيُشِيرُ إلى صَدْرِهِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ- بِحَسْبِ امْرِئٍ من الشَّرِّ، أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ المُسْلِمَ، كُلُّ المُسْلِمِ على الْمُسْلِمِ حَرَامٌ؛ دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ)[2]

يذكر النووي عن العلماء في قوله: (ولا يَخْذُلُهُ)، قولهم: الخذل ترك الإعانة، والنصر، ومعناه إذا استعان به في دفع ظالم ونحوه، لزمه إعانته إذا أمكنه، ولم يكن له عذر شرعي.[3]

سائلين الله العلي القدير، أن يحفظ مسرانا وأسرانا، من كل كيد، وأن ييسر لنا وللمسلمين العمل على إنقاذهما وتحريرهما لنرضيه، ورسوله الكريم محمد، صلى الله عليه وسلم، وعلى آله الطاهرين، وأزواجه أجمعين، وعلى أصحابه الغر الميامين، وعلى من تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

---

1. المائدة: 2.
2. صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله.
3. صحيح مسلم بشرح النووي 16 /120.

الرسول الأسوة ﷺ

محمد، صلى الله عليه وسلم

يُبقي المسجد الأقصى في وجدان المسلمين، وبؤرة اهتمامهم

الحلقة الأولى

عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: (لا تُشَدُّ الرِّحَالُ إلا إلى ثَلاثَةِ مَسَاجِدَ؛ المَسْجِدِ الحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ، صلى الله عليه وسلم، وَمَسْجِدِ الأَقْصَى)[*]

تَوافق يوم الأربعاء 21 آب 2019م، مع الذكرى الخمسين لحادثة إحراق المسجد الأقصى المبارك، التي نفذها المجرم الحاقد، اليهودي الأسترالي دينيس مايكل روهان، فقد مضى نصف قرن على وقوع هذه الجريمة النكراء، وما زال المسجد الأقصى يئن ويعاني، وكثير من المسلمين غافلون عنه، وفي سبات عن الذود عن حياضه.

تذكير بحادثة إحراق المسجد الأقصى:

بعد احتلال القدس بنحو أقل من ثلاثة أعوام، أقدم حاقد وعنصري وإرهابي شرير على إحراق المسجد الأقصى المبارك، وفي كل عام يتم التذكير بهذا الحدث البشع، الذي أتت النيران التي أُشعلت فيه على إحراق منبر صلاح الدين الأيوبي، وحسب تقرير نشرته وكالة وفا الرسمية، فقد هدد الحريق قبة المسجد الأثرية المصنوعة من الفضة الخالصة، ومن ضمن المعالم التي أتت عليها النيران، مسجد عمر، ويمثل ذكرى دخول عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، إلى مدينة القدس وفتحها، إضافة إلى تخريب محراب زكريا المجاور لمسجد عمر، ومقام الأربعين المجاور لمحراب زكريا، وثلاثة أروقة من أصل سبعة أروقة ممتدة من الجنوب إلى الشمال مع الأعمدة والأقواس والزخرفة، وجزء من السقف الذي سقط على الأرض خلال الحريق، وعمودين مع القوس الحجري الكبير بينهما تحت قبة المسجد، و74 نافذة خشبية، وغيرها.

* صحيح البخاري، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة.

كما تضررت أجزاء من القبة الداخلية المزخرفة، والجدران الجنوبية، وتحطمت 48 نافدة في المسجد مصنوعة من الجبص والزجاج الملون، واحترقت الكثير من الزخارف. واستطاع أبناء شعبنا آنذاك إنقاذ ما تبقى في المسجد الأقصى قبل أن تجهز عليه النيران، بعد أن هرعت مركبات الإطفاء من مدن الخليل، وبيت لحم ومناطق مختلفة من الضفة والبلديات العربية لإنقاذ الأقصى، رغم محاولات سلطات الاحتلال الإسرائيلي منعها من ذلك، وقطعها المياه عن المنطقة المحيطة بالمسجد في يوم الحريق نفسه، وتأخرت مركبات الإطفاء التابعة لما يسمى ببلدية الاحتلال في القدس بالمجيء؛ لإطفاء الحريق.

وأثار إحراق المسجد الأقصى من قبل المتطرف "مايكل"، ردود فعل كبيرة عند العرب والمسلمين، حيث أدى في اليوم التالي للحريق آلاف المسلمين صلاة الجمعة في الساحة الخارجية للمسجد الأقصى، واشتعلت المظاهرات في المدينة المقدسة، وكان من تداعيات الحريق عقد أول مؤتمر قمة إسلامي في الرباط بالمغرب، وإنشاء منظمة المؤتمر الإسلامي التي تضم في عضويتها الدول الإسلامية جميعها، والتي صارت تسمى الآن منظمة التعاون الإسلامي.

ومن بين ردود الفعل، قرار مجلس الأمن الدولي رقم 271 لعام 1969 بتاريخ 15 سبتمبر، والذي أدان إسرائيل لحرق المسجد الأقصى في يوم 21 أغسطس من سنة 1969، ودعا إلى إلغاء الإجراءات التي من شأنها تغيير وضع القدس، والتقيد بنصوص اتفاقيات جنيف والقانون الدولي الذي ينظم الاحتلال العسكري.

سلطات الاحتلال وبعد إلقائها القبض على الجاني، وجدت له مبرراً وهو "الجنون"، ليسافر إلى مسقط رأسه أستراليا، بعد أن مكث فترة قصيرة في مستشفى للأمراض النفسية قرب عكا.

وتولت لجنة إعمار المسجد الأقصى في أوقاف القدس، وبإشراف وزارة الأوقاف الأردنية ومتابعتها، إزالة آثار الحريق الذي تعرض له المسجد الأقصى وترميمه، وإعادة صنع منبر صلاح الدين الأيوبي، من خلال فريقها الفني المتكامل، الذي بدأ عمله مطلع 1970.

ومنذ ذلك الوقت وقبله، تعمل سلطات الاحتلال جاهدة بشتى الوسائل والطرق لتهويد المدينة المقدسة، وخاصة المسجد الأقصى المبارك، الذي يعتبر أولى القبلتين، وثالث المسجدين الشريفين، في محاولة بائسة منها لإقناع العالم أن القدس ليست عربية.[*]

مكانة المسجد الأقصى المبارك في الإسلام:

يأتي الحديث المذكور سابقاً، والمتضمن تشريع شد الرحال إلى المسجد الأقصى المبارك إلى جانب أعظم مسجدين في الإسلام، وهما المسجد الحرام في مكة المكرمة، والمسجد النبوي الشريف في المدينة المنورة، دون سواها من المساجد، صغيرها وكبيرها، ليدل على أهمية المسجد الأقصى المبارك في الإسلام، وعبادة المسلمين ووجدانهم وتاريخهم، فهو يحتل مكانة مرموقة في العقيدة الإسلامية، مما يعني ضرورة العناية به، والحرص على تحريره من يد غاصبيه، والرفض القاطع لكل محاولات التقليل من أهميته، أو التهاون بحق المسلمين التليد فيه، وتتضافر مؤكدات دينية كثيرة في بيان مكانة المسجد الأقصى المبارك في ديننا الحنيف، وتراثنا الإسلامي، وتاريخنا الناصع، يحسن التذكير ببعضها بمناسبة استذكار حادثة حرقه، والتي لم تقف الانتهاكات عندها، بل هي تتكرر يوماً بعد يوم، من خلال اقتحامه وتدنيسه، وتضيق الخناق عليه، وعلى المرابطين في أكنافه، والمحتشدين فيه للصلاة، والاعتكاف، والإعمار، آملين أن ييسر الله الوقوف عند أبرز مؤكدات أهمية المسجد الأقصى المبارك ومكانته لاحقاً، بدءاً من المعاني المتضمنة في حديث شد الرحال إليه والمسجدين الحرام والنبوي، على ساكنه أفضل الصلاة والسلام، وعلى آله الطاهرين، وأزواجه أمهات المؤمنين، وعلى أصحابه الغر الميامين، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

* وكالة وفا، 43 عاماً على حريق المسجد الأقصى، نشر في 18 /8 /2012، بتصرف.

محمد، صلى الله عليه وسلم

يُبقي المسجد الأقصى في وجدان المسلمين، وبؤرة اهتمامهم

الحلقة الثانية

عـن أَبي ذَرٍّ، رضي اللـه عنـه، قـال: (قلـت: يـا رَسُـولَ اللَّـهِ؛ أَيُّ مَسْـجِدٍ وُضِـعَ فِي الأرض أَوَّلَ؟ قـال: المَسْـجِدُ الحَـرَامُ. قـال: قلـت: ثُـمَّ أَيٌّ؟ قـال: المَسْـجِدُ الأَقْـصَى، قلـت: كَـمْ كان بَيْنَهُمَـا؟ قـال: أَرْبَعُـونَ سَـنَةً، ثُـمَّ أَيْنَمَـا أَدْرَكَتْـكَ الصَّـلاةُ بَعْـدُ فَصَلِّـهْ، فـإن الفَضْـلَ فيـه)[*]

تـم التذكـير في الحلقـة السـابقة بحادثـة إحـراق المسـجد الأقـصى المبـارك، الـتي مـضى عـلى اقترافهـا خمسـون عامـاً، ومـا زال هـذا المسـجد العظيـم يتعـرض للتدنيـس، والاقتحامـات، والاسـتهداف اليومـي بالـشر، ويحـكى عـن خطـط جهنميـة لتقسـيمه زمانيـاً ومكانيـاً، تمهيـداً لهدمـه، وإقامـة الهيـكل المزعـوم مكانـه، أو محـل بعـض مكوناتـه، وقـد بينـت الحلقـة السـابقة بعـض تفاصيـل حـادث الحريـق، والأضرار الماديـة الـتي نتجـت عنـه، مـن خـلال الاستشـهاد بتقريـر صحفـي توثيقـي حـول الحادثـة المشـؤومة، وشرع في الحلقـة السـابقة بلفـت الانتبـاه إلى مكانـة المسـجد الأقـصى المبـارك في عقيـدة المسـلمين ووجدانهـم، الـتي يحسـن التذكـير ببعـض جوانبهـا في الذكـرى الخمسـين لإحراقـه، وبخاصـة مـع بـروز صيحـات تتقاطـع مـع أفـكار محتـلي القـدس، ومغتصبـي حـق المسـلمين في المسـجد الأقـصى المبـارك، ممـا يسـتدعي التذكـير ببعـض الحقائـق الدينيـة الدامغـة الـتي تعاضـد مبـدأ لـزوم حمايـة المسـجد الأقـصى، والـذود عـن حياضـه، وضرورة تحريـره مـن غاصبيـه، وفيمـا يـأتي عـرض مجمـل لبعـض تلـك الحقائـق.

شد الرحال إلى المسجد الأقصى المبارك:

في حديث أبي هريرة، رضي الله عنه، المثبت نصه في صدر الحلقة السـابقة، ثلاثة أمور رئيسـة: أولاهـا: الحـث عـلى شـد الرحـال إلى المسـاجد المذكـورة فيـه، ومـن ضمنها المسـجد الأقـصى المبارك.

* صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب منه.

وثانيها: حصر شد الرحال التعبدي بهذه المساجد، دون سواها من مساجد الدنيا، يدل على عظمتها، وتميزها عن غيرها من المساجد، على الرغم من القداسة التي تحظى بها المساجد في الإسلام بشكل عام، فالذي يبني مسجداً لله، له جزاء عظيم عند رب العالمين، فالنبي، صلى الله عليه وسلم، يقول: (مَنْ بَنَى مَسْجِدًا لِلَّهِ، بَنَى اللهُ لَهُ فِي الجَنَّةِ مِثْلَهُ) (*)

وثالثها: الربط الوثيق بين المساجد المذكورة فيما بينها، حيث يتساءل المتدبر بحديث حصر شد الرحال بهذه المساجد الثلاثة دون سواها من مساجد الخليقة، على ما لبعضها من مكانة وتاريخ وسعة وعظمة، فشد الرحال منحصر في المسجد الحرام، والمسجد النبوي، والمسجد الأقصى، مما يعني أن بين هذه المساجد الثلاثة قواسم مشتركة عظيمة، تتعدى صفة المسجدية، على ما لها من أحكام فقهية، ومكانة دينية، وحث عام على رعايتها وإعمارها، والتجمع فيها لإقامة الصلاة والشعائر التعبدية، فالمساجد الثلاثة فاقت هذه المعاني بميزة تشريع شد الرحال إليها طلباً لمزيد من المثوبة؛ أي إنها تُقصد بالسفر إليها لنيل الأجر، وتحصيل الثواب، بينما المساجد الأخرى لا يختلف بعضها عن بعض من هذه الناحية، واشتراك المساجد الثلاثة بهذه الميزة، يوحي بعمق الصلة بينها، ويسمح بأن يفتى بتجريم من يفرط بأي منها، وأن الذي يفرط بأيها يكون كالمفرط بها جميعاً، وللتوضيح أكثر، فإن تعرض المسجد الأقصى للأسر، والتدنيس، والتهديد بمحوه عن الوجود، ينبغي لمسلمي الدنيا على مختلف قدراتهم ومسؤولياتهم أن يرفضوه، ويمنعوه بكل ما أوتوا من قوة، وإلا فالخطب جلل، والتهاون الذي يبديه بعض المسلمين تجاهه، سيسري لا قدر الله إلى صنويه، وذاك شر لا يتمناه مسلم، ولا يقبل بحدوثه.

ثاني مسجد وضع في الأرض:

في حديث أبي ذر، رضي الله عنه، المثبت نصه أعلاه، تأكيد آخر على المكانة التاريخية والدينية، التي يحتلها المسجد الأقصى المبارك في الإسلام، فهو ثاني مكان وضع في الأرض لعبادة الله، ولم يسبقه في ذلك سوى المسجد الحرام في مكة المكرمة، الذي أكد الله تعالى

* صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل بناء المساجد والحث عليها.

أسبقيته هذه، فقال عز وجل: {إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ} [1]

قال الطيبي: لفظ الحديث موافق للفظ الآية، والوضع غير، والبناء غير، ومعنى وضع الله جعله متعبداً. [2]

ويقول الرازي: إنَّ الآية تدل على الأولية في الفضل والشرف. [3]

مما يدحض الدعايات المغرضة لمسوقي نظرية المحتلين الغاصبين والمدنسين للمسجد الأقصى المبارك، في زعم حق اليهود التاريخي في مكانه أو محيطه، فتلك نظرية واهية، تفتقر إلى الأدلة الصحيحة، وحديث السبق التاريخي للمسجد الأقصى المبارك في الوجود على وجه الأرض، يُبطل ما عداه من النظريات الخاطئة، التي تعارض هذا السبق، وأنه تلا المسجد الحرام في ذلك، يقول ابن حجر: قوله: (المسجد الأقصى) يعني مسجد بيت المقدس، قيل له الأقصى لبعد المسافة بينه وبين الكعبة، وقيل لأنه لم يكن وراءه موضع عبادة، وقيل لبعده عن الأقذار والخبائث، والمقدس المطهر عن ذلك. [4]

سائلين الله العلي القدير أن يحمي المسجد الأقصى المبارك من كل سوء وتدنيس وشر، وأن يهدي المسلمين جميعاً لحبه، والذود عنه، وأن يمكنهم من شد الرحال إليه، استجابة لتوجيهات نبينا محمد، صلى الله وسلم، وبارك عليه، وعلى آله الطاهرين، وأزواجه أمهات المؤمنين، وعلى أصحابه الغر الميامين، وعلى من تبعه ووالاه بإحسان إلى يوم الدين.

---

1. آل عمران: 96.
2. فيض القدير 3 /83.
3. التفسير الكبير، 8/ 127.
4. فتح الباري، 6/ 408.

الرسول الأسوة ﷺ

محمد، صلى الله عليه وسلم

يُبقي المسجد الأقصى في وجدان المسلمين وبؤرة اهتمامهم

الحلقة الثالثة والأخيرة

عن جَابِر بن عبد اللَّهِ، رضي الله عنهما، قال: سمعت النبي، صلى الله عليه وسلم، يقول: (لَمَّا كذبتني قُرَيْشٌ، قُمْتُ في الْحِجْرِ، فَجَلَّى الله لي بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَطَفِقْتُ أُخْبِرُهُمْ عن آيَاتِهِ، وأنا أَنْظُرُ إليه)(*)

ركزت الحلقة السابقة في سياق إبراز مكانة المسجد الأقصى المبارك في الإسلام على قضية شد الرحال إليه، من خلال حصر شد الرحال التعبدي بالمساجد الثلاثة وهو واحد منها، والربط الوثيق بينها، وفي ذات السياق تم الوقوف عند كون المسجد الأقصى المبارك ثاني مسجد وضع في الأرض لعبادة الله، مع ما تحمله هذه الدلالة من أهمية وجودية، وأسبقية تاريخية، تدعم حق المسلمين فيه.

الإسراء إلى المسجد الأقصى المبارك:

تُظهر حادثة الإسراء عمق الربط الذي تم بين المسجد الأكبر والأعظم والأقدم في تاريخ البشرية، وبين المسجد الأقصى المبارك في تلك الرحلة الدينية والتاريخية، حيث شكل المسجد الأقصى أحد طرفي الرحلة مكانياً، بينما كان الطرف الآخر هو المسجد الحرام في مكة المكرمة، الذي لا يختلف مسلمان على عظم قدره، وفي الحديث أعلاه دحض واضح لأباطيل الزاعمين أن المقصود بالمسجد الأقصى الذي تم إليه الإسراء بالنبي، صلى الله عليه وسلم، هو مسجد وهمي موجود في جزء من أنحاء الجزيرة العربية، وأنه ليس مسجد بيت المقدس، فذلك زعم باطل، ويخدم نظريات مشبوهة، تهدف إلى زعزعة إيمان المسلمين بمكانة المسجد

* صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، سورة بني إسرائيل، باب قوله: (أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام)(الإسراء: 1)

الأقصى المبارك، حتى يتم التهاون فيه، والاستهانة بما يجري له من تدنيس ومحاولات اقتلاعه من الوجود، وهدمه ومحوه، والرسول، صلى الله عليه وسلم، في حديثه السابق يبطل هذه المزاعم الهاوية، فبعد تكذيب قريش، لحادثة الإسراء، قام في الحِجر، وصار يرد على ما يطرحون عليه من أسئلة لاختبار صدقه، بشأن ذهابه إلى بيت المقدس وعودته في الليلة ذاتها، فَجَلَّى الله له بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَطَفِقْ يُخْبِرُهُمْ عن آيَاتِهِ، وهو يَنْظُرُ إليه، مما يعني أن رحلة الإسراء أفصحت بجلاء عن عمق الصلة المتجذرة بين المسجدين؛ الحرام في مكة المكرمة، والمسجد الأقصى المبارك في القدس، جاء في عمدة القاري، أن قوله: (لما كذبني قريش) وفي رواية الأكثرين: (لما كذبتني) بالتأنيث، وقوله: (في الحِجر) بكسر الحاء، وهو تحت ميزاب الكعبة، وقوله: (فجلى الله) أي كشف الله تعالى، وقوله: (فطفقت) من أفعال المقاربة، بمعنى شرعت وأخذت، (أخبرهم) من الإخبار، وقوله: (عن آياته) أي علاماته، والذي سأل النبي، صلى الله عليه وسلم، أن يصف لهم بيت المقدس هو المطعم بن عدي، وكان في القوم من سافر إلى بيت المقدس، ورأى المسجد، فقيل له: (وهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَنْعَتَ لَنَا الْمَسْجِدَ؟... فَقَالَ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَذَهَبْتُ أَنْعَتُ، فَمَا زِلْتُ أَنْعَتُ حَتَّى الْتَبَسَ عَلَيَّ بَعْضُ النَّعْتِ، قَالَ: فَجِيءَ بِالْمَسْجِدِ، وَأَنَا أَنْظُرُ...، فَنَعَتُّهُ... فَقَالَ الْقَوْمُ: أَمَّا النَّعْتُ فَوَاللهِ لَقَدْ أَصَابَ)[1][2]

فهذا الحديث الشريف يؤيد اليقين بالمكان الذي يقع فيه المسجد الأقصى المبارك، وهو بيت المقدس، دون سواه.

المسجد الأقصى في عقيدة المسلمين وعبادتهم:

حادثة الإسراء من خلال الأحاديث الصحيحة الدالة عليها، أو المخبرة عنها، أو التي تصفها، كالحديث الشريف الذي بين أيدينا أعلاه، وحديث ابن عَبَّاسٍ، رضي الله عنهما، في قَوْلِهِ تَعَالَى: {وما جَعَلْنَا الرُّؤْيَا التي أَرَيْنَاكَ إلا فِتْنَةً لِلنَّاسِ} قال: هِيَ رُؤْيَا عَيْنٍ، أُرِيَهَا رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ إلى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، قال: {وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ في الْقُرْآنِ}

1. مسند أحمد، ومن مسند بني هاشم، مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، عن النبي، صلى الله عليه وسلم، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.
2. عمدة القاري: 19/ 23.

قال: هِيَ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ)[1] وما رواه أبو هُرَيْرَةَ، قال: (أُتِيَ رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ بِإِيلِيَاءَ بِقَدَحَيْنِ من خَمْرٍ وَلَبَنٍ، فَنَظَرَ إِلَيْهِمَا، فَأَخَذَ اللَّبَنَ، قال جِبْرِيلُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الذي هَدَاكَ لِلْفِطْرَةِ، لو أَخَذْتَ الْخَمْرَ غَوَتْ أُمَّتُكَ)[2].

فهي أدلة شرعية دامغة تتضافر لتؤكد أن المسجد الأقصى المبارك موجود في بيت المقدس، ولا وجود لمكان مسمى به في الدنيا جميعها سواه، وإيلياء اسم من أسمائها القديمة، وهذه الأحاديث الشريفة تتضافر مع السورة القرآنية المسماة بالإسراء، والمفتتحة بالإخبار عنه في قوله عز وجل: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ}[3]، ويتلوها المسلمون تعبداً في صلاتهم وغيرها، كل هذه الأدلة الشرعية تعزز مكانة المسجد الأقصى وبيت المقدس في قلوب المسلمين ووجدانهم، بما لا يبرر لصغارهم وكبارهم، ولعامتهم وخاصتهم، التفريط بالقدس والمسجد الأقصى فحسب، بل إن من القبح الديني والإثم البالغ أن يتخلى بعضهم عن نصرة المسجد الأقصى والقدس التي تحتضنه، وهما يرزحان تحت نير الاحتلال الغاشم.

سائلين الله العلي القدير أن يهدي المسلمين لحماية مسجدهم الأقصى، والعمل على تحريره، وشد الرحال إليه، والمرابطة فيه، لينالوا بركة ذلك وثوابه، حسب ما وعدهم رسولهم الأعظم، صلى الله عليه وسلم، وعلى آله الطاهرين، وأزواجه أمهات المؤمنين، وأصحابه الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

---

1. صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب المعراج.
2. صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، سورة بني إسرائيل، باب قوله: (أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام)(الإسراء: 1).
3. الإسراء:1.

الرسول الأسوة ﷺ

محمد، صلى الله عليه وسلم

يؤكد على مكانة المسجد الأقصى المبارك في الإسلام

عـن أبي ذَرٍّ، قال:(قلـت: يـا رَسُـولَ اللَّـهِ؛ أَيُّ مَسْـجِدٍ وُضِـعَ فِي الأرض أَوَّلُ؟ قـال: المَسْـجِدُ الحَـرَامُ، قلـت: ثُـمَّ أَيٌّ؟ قـال: الْمَسْـجِدُ الْأَقْـصَى، قلـت: كَـمْ بَيْنَهُمَـا؟ قـال: أَرْبَعُـونَ سَـنَةً، وَأَيْنَمَـا أَدْرَكَتْـكَ الصَّـلاةُ فَصَـلِّ، فَهُـوَ مَسْـجِدٌ)[*]

المـرة تلـو المـرة دون ملـل ولا كلـل، تبغـي مواصلـة تذكـير العالمـين إنسـهم وجنهـم، عربهـم وعجمهـم، مؤمنهـم وكافرهـم، الصديـق والعـدو، بمكانـة المسـجد الأقـصى المبـارك في عقيـدة الإسـلام وتاريخـه وتراثـه وشريعتـه وقلـوب أتباعـه، الذيـن بقـوا عـلى العهـد مـع ربهـم، مسـتقيمون عـلى دينـه، متمسـكون بسـنة نبيـه، محمـد بـن عبـد اللـه، خاتـم النبيـين والمرسـلين، صـلى اللـه عليـه وسـلم، دون أن تلـين لهـم قنـاة، أو يتزعـزع لهـم قلـب، أو تفـتر لهـم عزيمـة، حيـال التمسـك بالمسـجد الأقـصى المبـارك، رغـم أنـف المكيديـن لـه بالـشر، والمتربصـين بهـم وإياه الدوائـر، ممـن يريـدون إقامـة معابدهـم عـلى أنقاضـه، وأضحـوا يعلنـون عـن خططهـم العدوانيـة نحـوه جهـاراً نهـاراً، غـير آبهـين بأحـد، ولا معتبريـن للسـلم العالمـي أي اعتبـار، ومتجاهلـين الحقائـق التاريخيـة، كالـتي يخـبر عنهـا الرسـول، صـلى اللـه عليـه وسـلم، في حديثـه أعـلاه، فالمسـجد الأقـصى المبـارك لحـق المسـجد الحـرام، الـذي كان أول مسـجد وضـع في الأرض لعبـادة اللـه، ثـم بعـد أربعـين عامـاً وضـع المسـجد الأقـصى المبـارك في الأرض ليعبـد اللـه فيـه.

أُسري به إليه:

مـن أبـرز جوانـب المكانـة المرموقـة للمسـجد الأقـصى المبـارك أنـه أسري بالنـبي محمـد، صـلى اللـه عليـه وسـلم، إليـه مـن المسـجد الحـرام في مكـة المكرمـة، والقـرآن الكريـم سـاق خـبر

*صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

هـذه الحادثـة العظيمـة في فاتحـة السـورة المسـماة بهـا، فقـال عـز وجل:{سُـبْحَانَ الَّـذِي أَسْرَى بِعَبْـدِهِ لَيْـلاً مـنَ الْمَسْـجِدِ الْحَـرَامِ إِلَى الْمَسْـجِدِ الأَقْـصَى الَّـذِي بَارَكْنَـا حَوْلَـهُ لِنُرِيَـهُ مِـنْ آيَاتِنَـا إِنَّـهُ هُـوَ السَّـمِيعُ البَصِـيرُ} (*)، وعـادة مـا يتكـرر التنويـه عنـد الحديـث عنهـا إلى مغـزى اختيـار المسـجد الأقـصى المبـارك وجهـة لـلإسراء، فـإذا كان الأمـر متعلقـاً بالمعـراج، فـكان يمكـن حصولـه مـن مكـة مبـاشرة، دون القيـام برحلـة الإسراء، الـتي تمـت بفعـل اللـه وقدرتـه وإرادتـه سـبحانه، ولـم تكـن بفعـل النـبي، صـلى اللـه عليـه وسـلم.

فالمسـجد الأقـصى المبـارك، سُـطر اسـمه الواضـح في صـدارة سـورة قرآنيـة، وارتبـط بحادثـة ذات قـدر عظيـم في عقيـدة الإسـلام، ومـا وجـد المشـككون والمروجـون للأراجيـف الباطلـة، سـوى زعـم كاذب أن المقصـود بالمسـجد الأقـصى غـير الـذي في القـدس، ليخدمـوا بذلـك تطلعات السـاعين لحـرف أنظـار المسـلمين وقلوبهـم عـن مسـجدهم العريـق، الـذي لـه مكانـة متجـذرة في عقيدتهـم ونفوسـهم وقلوبهـم، ومـا درى هـؤلاء وأولئـك أن كيدهـم سـيرتد إلى نحورهـم، وسـيعلم الذيـن ظلمـوا أي منقلـب ينقلبـون.

القبلة الأولى:

لـو لـم تكـن للمسـجد الأقـصى المبـارك ميـزة سـوى أنـه كان قبلـة لصـلاة المسـلمين، لكفاهـا دلالـة عـلى أهميتـه في ديـن الإسـلام، فالصـلاة عمـود الديـن، واختيـار قبلتهـا نحـو المسـجد الأقـصى فيـه مـن مـؤشرات الأهميـة مـا فيـه، وقـد تحـدث القـرآن الكريـم عـن القبلتـين، وأخـبرت عنهمـا السـنة النبويـة المطهـرة، فعـن البَرَاءِ: (أَنَّ النـبي، صـلى اللـه عليـه وسـلم، كان أَوَّلَ مـا قَـدِمَ المَدِينَـةَ نَـزَلَ عـلى أَجْـدَادِهِ، أو قـال: أَخْوَالِـهِ مـن الأَنْصَـارِ، وَأَنَّـهُ صـلى قِبَـلَ بَيْـتِ المَقْـدِسِ سِـتَّةَ عَـشَرَ شَـهْرًا، أو سَـبْعَةَ عَـشَرَ شَـهْرًا، وكان يُعْجِبُـهُ أَنْ تَكُـونَ قِبْلَتُـهُ قِبَـلَ الْبَيْـتِ، وَأَنَّـهُ صـلى أَوَّلَ صَـلاةٍ صَلاهَـا، صَـلاةَ الْعَـصْرِ، وَصَـلَّى معـه قَـوْمٌ، فَخَـرَجَ رَجُـلٌ مِمَّـنْ صـلى معـه، فَمَـرَّ عـلى أَهْـلِ مَسْـجِدٍ، وَهُـمْ رَاكِعُـونَ، فقـال: أَشْـهَدُ بِاللَّـهِ لقـد صَلَّيْـتُ مـع رسـول اللَّـهِ، صـلى اللـه عليـه وسـلم، قِبَـلَ مَكَّـةَ، فَـدَارُوا كما هُـمْ قِبَـلَ الْبَيْـتِ، وَكَانَـتْ الْيَهُـودُ قـد أَعْجَبَهُـمْ، إِذْ كان يُصَـلِّي قِبَـلَ بَيْـتِ المَقْـدِسِ، وَأَهْـلُ الْكِتَـابِ،

* الإسراء: 1.

فلما وَلَّى وَجْهَهُ قِبَلَ الْبَيْتِ، أَنْكَرُوا ذلك، قال زُهَيْرٌ: حدثنا أبو إِسْحَاقَ عن البَرَاءِ في حَدِيثِهِ هذا، أَنَّهُ مَاتَ على الْقِبْلَةِ قبل أَنْ تُحَوَّلَ رِجَالٌ، وَقُتِلُوا، فلم نَدْرِ ما نَقُولُ فِيهِمْ، فَأَنْزَلَ الله تَعَالَى: {وما كان الله لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ})[1]

أحد المساجد الثلاثة التي تشد الرحال إليها:

لم يكتف النبي، صلى الله عليه وسلم، بالتنبيه الذهني إلى أهمية المسجد الأقصى المبارك، بل حثَّ المسلمين، وشجعهم للتقرب إلى ربهم، بأداء ممارسة عملية تدعم الإقرار بأهمية المسجد الأقصى المبارك، وذلك من خلال الحثّ على شد الرحال إليه، وربطه بأعظم مسجدين في الإسلام، في حصر شد الرحال إليه وإياهما بقصد التعبد لله، والتقرب إليه سبحانه، فعن أبي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه، عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: (لا تُشَدُّ الرِّحَالُ إلا إلى ثَلاثَةِ مَسَاجِدَ؛ المَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ، صلى الله عليه وسلم، وَمَسْجِدِ الأَقْصَى)[2]

فهذا تذكير يسّر الله إليه بمكانة المسجد الأقصى المبارك في دين الإسلام العظيم، ليعلمها القاصي والداني، وليدركوا أن التنكر لها يعني فتح أبواب شر عظيم، ونار جحيم، والذي نرجوه الآن وفي كل حين أن يحفظ الله المسجد الأقصى، والمرابطين في جنباته وأكنافه، والشادين الرحال إليه؛ استجابة لحث نبيهم الكريم محمد، صلى الله عليه وسلم، وعلى آله الطاهرين، وأزواجه أمهات المؤمنين، وأصحابه الغر الميامين، وعلى من تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

1. صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب الصلاة من الإيمان.

2. صحيح البخاري، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة.

الفصل الخامس/ أخلاق وقيم

الرسول الأسوة محمد، صلى الله عليه وسلم		
.1	حثّ على الصبر عند مواجهة الأعداء - الحلقة الأولى	102
.2	حثّ على الصبر عند مواجهة الأعداء - الحلقة الثانية	105
.3	حثّ على الصبر عند مواجهة الأعداء - الحلقة الثالثة	108
.4	حثّ على الصبر عند مواجهة الأعداء - الحلقة الرابعة	111
.5	حثّ على الصبر عند مواجهة الأعداء - الحلقة الخامسة	114
.6	حثّ على الصبر عند مواجهة الأعداء - الحلقة السادسة والأخيرة	117
.7	ينفر من الحرص على تولي الإمارة - الحلقة الأولى	120
.8	ينفر من الحرص على تولي الإمارة - الحلقة الثانية	123
.9	ينفر من الحرص على تولي الإمارة - الحلقة الثالثة والأخيرة	126
.10	يوصي بالأم وبرها - الحلقة الأولى	129
.11	يوصي بالأم وبرها - الحلقة الثانية	132
.12	يوصي بالأم وبرها - الحلقة الثالثة	135
.13	يوصي بالأم وبرها - الحلقة الرابعة والأخيرة	138
.14	يحذر من آفات اللسان - الحلقة الأولى	141

.15	يحذر من آفات اللسان - الحلقة الثانية	144
.16	يحذر من آفات اللسان - الحلقة الثالثة	147
.17	يحذر من آفات اللسان - الحلقة الرابعة	150
.18	يحذر من آفات اللسان - الحلقة الخامسة	153
.19	يحذر من آفات اللسان - الحلقة السادسة والأخيرة	156
.20	لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً	159
.21	يتحلى بالأدب الجم - الحلقة الأولى	162
.22	يتحلى بالأدب الجم - الحلقة الثانية والأخيرة	165
.23	أمره الله أن ينبه بأن الخبيث والطيب لا يستويان الحلقة الأولى	168
.24	أمره الله أن ينبه بأن الخبيث والطيّب لا يستويان الحلقة الثانية	171
.25	أمره الله أن ينبه بأن الخبيث والطيّب لا يستويان الحلقة الثالثة	174
.26	أمره الله أن ينبه بأن الخبيث والطيّب لا يستويان الحلقة الرابعة	177
.27	أمره الله أن ينبه بأن الخبيث والطيّب لا يستويان الحلقة الخامسة	180
.28	أمره الله أن ينبه بأن الخبيث والطيّب لا يستويان الحلقة السادسة والأخيرة	183

الرسول الأسوة ﷺ

محمد، صلى الله عليه وسلم

حثّ على الصبر عند مواجهة الأعداء

الحلقة الأولى

جاء عن رَسُول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، أنه: (فِي بَعْضِ أَيَّامِهِ التي لَقِيَ فيها العَدُوَّ، انْتَظَرَ حتى مَالَت الشَّمْسُ، ثُمَّ قام في الناس، فقال: أَيُّهَا الناس لا تَمَنَّوْا لِقَاءَ العَدُوِّ، وَسَلُوا اللَّهَ العَافِيَةَ، فإذا لَقِيتُمُوهُمْ، فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الجَنَّةَ تَحْتَ ظِلالِ السُّيُوفِ، ثُمَّ قال: اللهمَّ مُنْزِلَ الكِتَابِ، وَمُجْرِيَ السَّحَابِ، وَهَازِمَ الأَحْزَابِ، اهْزِمْهُمْ وَانْصُرْنَا عليهم). [1]

ينهى الرسول، صلى الله عليه وسلم، في حديثه هذا عن تمني لقاء العدو، مما يدل على أن الحرب ليست هدفاً في الإسلام، وإنما هي وسيلة قاسية يلجأ إليها عند تعذر نجاعة غيرها من الوسائل، فإذا ما تحتمت، فلا بدَّ من الصبر على تداعياتها، والله جلَّ في علاه وعد المقاتلين في سبيله النصر، فقال تعالى:{أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ} [2]

حكمة النهي عن تمني لقاء العدو، وسؤال العافية:

من علل النهي عن تمني لقاء العدو ما بيَّنه العيني، أنه لما فيه من الإعجاب، والاتكال على القوة؛ ولأن الناس يختلفون في الصبر على البلاء، ألاَ يُرى الذي أثخنته الجراح في بعض المغازي مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فقتل نفسه، وقال الصديق، رضي الله تعالى عنه: لأن أعافَى فأشكر، أحب إليّ من أن أبتلى فأصبر. وروي عن علي، رضي الله تعالى عنه، أنه قال لابنه: يا بني لا تدعوَنَّ أحداً إلى المبارزة، ومن دعاك إليها فاخرج إليه؛ لأنه باغ، والله تعالى قد ضمن نصر من بغي عليه. [3]

1.صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب لا تمنوا لقاء العدو.

2. الحج: 39.

3. عمدة القاري: 14 /274.

ويذكر ابن حجر عن ابن بطال من حِكم النهي، أن المرء لا يعلم ما يؤول إليه الأمر، وهو نظير سؤال العافية من الفتن، وقيل: يحمل النهي على ما إذا وقع الشك في المصلحة، أو حصول الضرر، وإلا فالقتال فضيلة وطاعة، ويؤيد الأول تعقيب النهي بقوله: وسلوا الله العافية [1]، أي اسألوا الله السلامة من المكروهات والبليات، في الدنيا والآخرة.[2]

الصبر عند المواجهة:

النهي عن تمني قتال الأعداء، وسؤال الله العافية، ينتقل المسلم من حالتيهما إلى الإقدام، والجلد، والشجاعة، والاستبسال، حين تتحتم المواجهة، حيث يقول صلى الله عليه وسلم: (فإذا لَقِيتُمُوهُمْ، فَاصْبِرُوا)، فهنا ينتقل المسلم إلى ما قد كان يكره، مصداقاً لقوله تعالى: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ}[3]

وقد حثَّ الله جل في علاه على الاستعانة بالصبر، لأهميته في تحقيق النصر، فقال عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}[4]، فالله مع الصابرين، ومن كان الله معه لن يغلبه أحد، وفي آية قرآنية أخرى سبقت هذه في ترتيب آيات سورة البقرة، قال جل ذكره:{وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الخَاشِعِينَ}.[5]

ويشجع الرسول، صلى الله عليه وسلم، المسلمين في حديثه الشريف أعلاه على الإقدام عند تحتم المواجهة مع الأعداء، فيقول: (وَاعْلَمُوا أَنَّ الجَنَّةَ تَحْتَ ظِلالِ السُّيُوفِ)، ومعناه أن ثواب الله، والسبب الموصل إلى الجنة، يتحققان عند الضرب بالسيوف في سبيل الله، ومشي المجاهدين في سبيل الله، فاحضروا فيه بصدق، واثبتوا[6].

---

1. فتح الباري: 6/ 156.
2. عمدة القاري: 25 /8.
3. البقرة:216.
4. البقرة: 153.
5. البقرة:45.
6. صحيح مسلم بشرح النووي: 12 /46 - 47.

الدعاء بهزيمة الأعداء:

ختم النبي، صلى الله عليه وسلم، حديثه أعلاه بدعائه: (اللهمَّ مُنْزِلَ الكِتَابِ، وَمُجْرِيَ السَّحَابِ، وَهَازِمَ الأَحْزَابِ، اهْزِمْهُمْ وَانْصُرْنَا عليهم) ويبين ابن حجر العسقلاني أن الرسول، صلى الله عليه وسلم، أشار بهذا الدعاء إلى وجوه النصر عليهم، فبالكتاب، إلى قوله تعالى: {قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ}.[1]

وبمجري السحاب، إلى القدرة الظاهرة في تسخير السحاب، حيث يحرك الريح بمشيئة الله تعالى، وحيث يستمر في مكانه مع هبوب الريح، وحيث تمطر تارة، وأخرى لا تمطر، فأشار بحركته إلى إعانة المجاهدين في حركتهم في القتال، وبوقوفه إلى إمساك أيدي الكفار عنهم، وبإنزال المطر، إلى غنيمة ما معهم، حيث يتفق قتلهم وبعدمه إلى هزيمتهم، حيث لا يحصل الظفر بشيء منهم، وكلها أحوال صالحة للمسلمين، وأشار بهازم الأحزاب، إلى التوسل بالنعمة السابقة، وإلى تجريد التوكل، واعتقاد أن الله هو المنفرد بالفعل، وفيه التنبيه على عظم هذه النعم الثلاث، فإن بإنزال الكتاب حصلت النعمة الأخروية، وهي الإسلام، وبإجراء السحاب حصلت النعمة الدنيوية، وهي الرزق، وبهزيمة الأحزاب حصل حفظ النعمتين، وكأنه قال: اللهم كما أنعمت بعظيم النعمتين الأخروية والدنيوية وحفظتهما، فأبقهما.[2]

سائلين الله العلي القدير أن يلهمنا والمؤمنين والمؤمنات الصبر والسلوان، وأن يمنحنا القوة في أبداننا وقلوبنا وأهلنا، وأن ييسر متابعة الحديث عن أبعاد ومحاور تتعلق بالحث على الصبر عند مواجهة الأعداء، حسب ما جاء عن نبينا، صلى الله عليه وسلم، وعلى آله الطاهرين، وأزواجه أجمعين، وعلى من تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

---

1. التوبة:14.

2. فتح الباري: 6/ 157.

محمد، صلى الله عليه وسلم
حثّ على الصبر عند مواجهة الأعداء
الحلقة الثانية

عن أبي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه، قال: (قال رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم: من آمَنَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلاةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ، كان حَقًّا على اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، جَاهَدَ في سَبِيلِ اللَّهِ، أو جَلَسَ في أَرْضِهِ التي وُلِدَ فيها، فَقَالُوا: يا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلا نُبَشِّرُ الناس؟ قال: إِنَّ في الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا الله لِلْمُجَاهِدِينَ في سَبِيلِ اللَّهِ، ما بين الدَّرَجَتَيْنِ كما بين السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فإذا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ؛ فإنه أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الجَنَّةِ، أُرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرحمن، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ)[1]

تعرضت الحلقة السابقة إلى النهي عن تمني لقاء العدو، وحكمة ذلك، وبيان أن المقصود بسؤال الله العافية رجاء السلامة من المكروهات، في الدنيا والآخرة، والحث على الاستعانة بالصبر عند المواجهة، لأهميته في تحقيق النصر، مع التشجيع على الإقدام عند تحتم المواجهة مع الأعداء، وختمت الحلقة ببيان أهمية الاستعانة بالدعاء بهزيمة الأعداء.

حين لا يكون الجهاد فرضاً:

حديث أبي هريرة أعلاه، يبين أن الفوز بالجنة يتم بالإيمان بالله ورسوله، وإقامة الصلاة، وصوم رمضان، حتى لو لم يكن صاحب ذلك قد جاهد في سبيل الله، بدليل قوله صلى الله عليه وسلم: (جَاهَدَ في سَبِيلِ اللَّهِ، أو جَلَسَ في أَرْضِهِ التي وُلِدَ فيها)

وقوله: (أو جَلَسَ في أَرْضِهِ) فيه تأنيس لمن حرم الجهاد في سبيل الله، فإن له بالإيمان بالله، والتزام الفرائض ما يوصله إلى الجنة؛ لأنها هي غاية الطالبين، ومن أجلها تبذل النفوس في الجهاد.[2]

1. صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب درجات المجاهدين في سبيل الله يقال هذه سبيلي وهذا سبيلي.

2. عمدة القاري،14/ 90.

ويتماشى هذا الحديث من هذه الناحية مع الحديث المثبت في صدارة الحلقة السابقة، الذي نُهي فيه عن تمني لقاء العدو، مما يعني أن استحقاق دخول الجنة، يمكن أن ينال دون جهاد، إن لم يكن في حق صاحبه فرضاً، وعلى هذا الغرار أيضاً يرد حديث عبد اللَّهِ بن عَمْرٍو، ابن العاص، قال: (أَقْبَلَ رَجُلٌ إلى نَبِيِّ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، فقال: أُبَايِعُكَ على الهِجْرَةِ وَالجِهَادِ، أَبْتَغِي الأَجْرَ من اللَّهِ، قال: فَهَلْ من وَالِدَيْكَ أَحَدٌ حَيٌّ؟ قال: نعم، بَلْ كلاهما، قال: فتبتغي الأَجْرَ من اللَّهِ؟ قال: نعم، قال: فَارْجِعْ إلى وَالِدَيْكَ فَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُمَا) وفي رواية أخرى، قال: (...فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ)[1]

النهي عن تمني لقاء الأعداء لا يقلل من فضل الجهاد ومنزلة المجاهدين:

النهي عن تمني لقاء الأعداء، وبيان أن الجنة تستحق بأعمال البر والإحسان، حتى لو لم يكن بينها الجهاد في سبيل الله، ينبغي للحقيقة الدينية والفقهية التوضيح، بأن ذلك يكون حين يكون الجهاد تطوعاً، أما حين يكون فرضاً لازماً، فلا بد وقتها منه، والصبر عليه، بدليل أن الرسول، صلى الله عليه وسلم، لما نهى عن تمني لقاء الأعداء، أتبع ذلك بقوله: (فإذا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الجَنَّةَ تَحْتَ ظِلالِ السُّيُوفِ) [2]

ففضل الجهاد في سبيل الله عظيم، ومنزلة المجاهدين عند الله رفيعة، ودرجاتهم في الجنة تبلغ مائة درجة، ما بين الدَّرَجَتَيْنِ كما بين السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، كما هو مبين في الحديث الشريف أعلاه، الذي يحث فيه عليه الصلاة والسلام على سؤال الله الفردوس من تلك الدرجات، لما لها من تميز وفضل، وفي حديث صحيح آخر طمأن عليه الصلاة والسلام، أم أحد الشهداء؛ لمنزلة ابنها حارثة، كونه نال الفردوس الأعلى، فعن حُمَيْدٍ، قال: سمعت أَنَسًا، رضي الله عنه، يقول: (أُصِيبَ حَارِثَةُ يوم بَدْرٍ، وهو غُلامٌ، فَجَاءَتْ أُمُّهُ إلى النبي، صلى الله عليه وسلم، فقالت: يا رَسُولَ اللَّهِ، قد عَرَفْتَ مَنْزِلَةَ حَارِثَةَ مِنِّي، فَإِنْ يَكُنْ في الْجَنَّةِ أَصْبِرْ

1. صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب بر الوالدين وأنهما أحق به.

2. صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب كان النبي، صلى الله عليه وسلم، إذا لم يقاتل أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس.

وَأَحْتَسِبْ، وَإِنْ تك الأُخْرَى، تَرَى ما أَصْنَعُ، فقال: وَيْحَكِ؛ أو هبلت، أو - جنة وَاحِدَةٌ هِيَ؟! إِنَّهَا جِنَانٌ كَثِيرَةٌ، وَإِنَّهُ فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ) [1]

والقرآن الكريم ذكر الفردوس في آيتين منه، إحداهما بينت مستحقيها، فقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً} [2]، والأخرى بينت أن أهل الفردوس يخلدون فيها، فقال عز وجل: {الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [3]

والآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة التي تبين فضل الجهاد في سبيل الله، ومنازل الشهداء عند الله كثيرة، منها قوله صلى الله عليه وسلم: (لَقَابُ قَوْسٍ فِي الْجَنَّةِ، خَيْرٌ مِمَّا تَطْلُعُ عليه الشَّمْسُ وَتَغْرُبُ، وقال: لَغَدْوَةٌ أو رَوْحَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، خَيْرٌ مِمَّا تَطْلُعُ عليه الشَّمْسُ وَتَغْرُبُ) [4]

وعن سَمُرَةَ، قال النبي، صلى الله عليه وسلم: (رأيت اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ، أَتَيَانِي، فَصَعِدَا بِي الشَّجَرَةَ، فَأَدْخَلانِي دَارًا، هِيَ أَحْسَنُ وَأَفْضَلُ، لم أَرَ قَطُّ أَحْسَنَ منها، قالا: أَمَّا هذه الدَّارُ، فَدَارُ الشُّهَدَاءِ) [5]

فهنيئاً للشهداء دارهم وعزهم، وللشهداء تكريمهم ومنازلهم في الدنيا والآخرة، راجين أن يتقبل الله الشهداء في عليين، وأن يلهم أهلهم الصبر والسلوان، وأن ييسر متابعة الحديث عن الصبر عند مواجهة الأعداء، حسب ما جاء عن نبينا، صلى الله عليه وسلم، وعلى آله الطاهرين وأزواجه أجمعين، وعلى من تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

---

1. صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب فضل من شهد بدراً.
2. الكهف:107.
3. (المؤمنون:11)
4. صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الغدوة والروحة في سبيل الله وقاب قوس أحدكم من الجنة.
5. صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب درجات المجاهدين في سبيل الله يقال هذه سبيلي وهذا سبيلي.

محمد، صلى الله عليه وسلم
حثّ على الصبر عند مواجهة الأعداء
الحلقة الثالثة

عن أبي مُوسَى، رضي الله عنه، قال: (خَرَجْنَا مع النبي، صلى الله عليه وسلم، في غزوة، وَنَحْنُ سِتَّةُ نَفَرٍ، بَيْنَنَا بَعِيرٌ نَعْتَقِبُهُ، فَنَقِبَتْ أَقْدَامُنَا، وَنَقِبَتْ قَدَمَايَ، وَسَقَطَتْ أَظْفَارِي، وَكُنَّا نَلُفُّ على أَرْجُلِنَا الخِرَقَ، فَسُمِّيَتْ غَزْوَةَ ذَاتِ الرِّقَاعِ لِمَا كنا نَعْصِبُ من الخِرَقِ على أَرْجُلِنَا، وَحَدَّثَ أبو مُوسَى بهذا، ثُمَّ كَرِهَ ذَاكَ، قال: ما كنت أَصْنَعُ بِأَنْ أَذْكُرَهُ، كَأَنَّهُ كَرِهَ أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ من عَمَلِهِ أَفْشَاهُ)(*)

بينت الحلقة السابقة أن الفوز بالجنة يتم بالإيمان بالله ورسوله، صلى الله عليه وسلم، وإقامة الصلاة، وصوم رمضان، حتى لو لم يكن صاحب ذلك قد جاهد في سبيل الله، مع التأكيد على أن هذا البيان، والنهي عن تمني لقاء الأعداء، لا يقللان من فضل الجهاد، ومنزلة المجاهدين، مع التنبيه إلى ضرورة التفريق بين كون الجهاد تطوعاً أو فرضاً، فحين يكون فرضاً، يكون وقتها لازماً لا بدَّ منه، وكذلك الصبر عليه.

ذات الرقاع:

حديث أبي موسى الأشعري أعلاه يأتي بصورة عملية لصبر السلف الصالح وجَلَدِهم، وهم يؤدون واجباتهم لدينهم، وهذه الصورة تتعلق بغزوة ذات الرقاع، وفي شرح العيني لهذا الحديث الشريف، بيّن أن قوله: (وَنَحْنُ سِتَّةُ نَفَرٍ) الظاهر أنهم كانوا من الأشعريين، وقوله: (نَعْتَقِبُهُ)؛ أي نركبه عقبة، وهي أن يتناوبوا في الركوب، بأن يركب أحدهم قليلاً ثم ينزل، فيركب الآخر، حتى يأتي إلى آخرهم، وقوله: (فَنَقِبَتْ) بفتح النون وكسر القاف، يقال نقب البعير، إذا

*صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة ذات الرقاع.

رقت أخفافه، ونقب الخف إذا تخرق، وذلك لمشيهم حفاة، قد نقبت أقدامهم، وسقطت أظفارهم، وقوله: (لِمَا كنا) أي لأجل ما فعلناه من ذلك، وقوله: (وَحَدَّثَ أبو مُوسَى بهذا) هذا موصول بالإسناد المذكور، وقوله: (ثُمَّ كَرِهَ ذَاكَ)؛ أي أبو موسى كره الحديث عن ذلك؛ لما فيه من تزكية نفسه، وقوله: (كَأَنَّهُ كَرِهَ..إلخ)؛ وذلك لأن كتمان العمل الصالح أفضل من إظهاره، إلاَّ لوجود مصلحة تقتضي ذلك، قال الله تعالى: {...وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاء فَهُوَ خَيْرٌ لكُمْ...}[1]،[2]

فهذا الحديث الشريف يصف معاناة الرسول، صلى الله عليه وسلم، وصحبه الكرام، رضي الله عنهم، خلال إحدى اللقاءات الحربية مع الأعداء، أو الاستعداد لها، وصبرهم على ذلك، واسم تلك الغزوة يدل على مدى الجَلَد، الذي قابل ذاك المستوى من الشدة والقسوة، التي اضطرتهم لعصب الخرق على أرجلهم، بسبب نقب أقدامهم، وسقوط أظفارهم، حيث لم يكن للنفر الستة سوى بعير واحد يعتقبونه.

فالحياة فيها الرخاء والشدة، وفيها الأمن والخوف، وهي لا تدوم على حال، فالأيام دُوَل، مصداقاً لقوله عز وجل: {إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ}[3]، ومما اشتهر من الشعر الدال على هذا المعنى، ما يُنسب لأبي البقاء الرّندي في رثاء الأندلس، بعد سقوط آخر معاقل المسلمين فيها، حيث قال:

لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ نُقْصَانُ ... فَلا يُغَرَّ بِطِيبِ العَيْشِ إِنْسَانُ

هِيَ الأُمُورُ كَمَا شَاهَدْتُهَا دُوَلٌ ... مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ سَاءتْهُ أَزْمَانُ

وهذهِ الدارُ لا تُبْقي على أحدٍ ... ولا يدومُ على حالٍ لها شانُ

فالمطلوب فهم واقعي للأمور، يستند إلى إيمان بالمبادئ، مع التحلي بالقيم، التي من أبرزها الصبر والمصابرة.

---

1. البقرة:271.

2. عمدة القاري: 17/ 196.

3. آل عمران:140.

صلاة الخوف:

رغم أن غزوة ذات الرقاع لم تقع فيها مواجهة عسكرية، إلا أنها شهدت تحسباً شديداً من وقوع تلك المواجهة، وقد ثبت في الحديث الصحيح، ما يدل على أن الرسول، صلى الله عليه وسلم، صلى بالمسلمين الخارجين معه لهذه الغزوة صلاة الخوف، فعن جَابِرٍ، قال: (كنا مع النبي، صلى الله عليه وسلم، بِذَاتِ الرِّقَاعِ، فإذا أَتَيْنَا على شَجَرَةٍ ظَلِيلَةٍ، تَرَكْنَاهَا لِلنَّبِيِّ، صلى الله عليه وسلم، فَجَاءَ رَجُلٌ من الْمُشْرِكِينَ، وَسَيْفُ النبي، صلى الله عليه وسلم، مُعَلَّقٌ بِالشَّجَرَةِ، فَاخْتَرَطَهُ، فقال: تَخَافُنِي؟ قال: لا، قال: فَمَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قال: الله، فَتَهَدَّدَهُ أَصْحَابُ النبي، صلى الله عليه وسلم، وَأُقِيمَت الصَّلاةُ، فَصَلَّى بِطَائِفَةٍ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ تَأَخَّرُوا، وَصَلَّى بِالطَّائِفَةِ الأُخْرَى رَكْعَتَيْنِ، وكان لِلنَّبِيِّ، صلى الله عليه وسلم، أَرْبَعٌ، وَلِلْقَوْمِ رَكْعَتَانِ)[1]

وعن صَالِحِ بن خَوَّاتٍ، (عَمَّنْ شَهِدَ رَسُولَ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، يوم ذَاتِ الرِّقَاعِ، صلى صَلاةَ الْخَوْفِ؛ أَنَّ طَائِفَةً صَفَّتْ معه، وَطَائِفَةٌ وِجَاهَ الْعَدُوِّ، فَصَلَّى بِالَّتِي معه رَكْعَةً، ثُمَّ ثَبَتَ قَائِمًا، وَأَتَمُّوا لأَنْفُسِهِمْ، ثُمَّ انْصَرَفُوا، فَصَفُّوا وِجَاهَ الْعَدُوِّ، وَجَاءَت الطَّائِفَةُ الأُخْرَى، فَصَلَّى بِهِم الرَّكْعَةَ، التي بَقِيَتْ من صَلاتِهِ، ثُمَّ ثَبَتَ جَالِسًا، وَأَتَمُّوا لأَنْفُسِهِمْ، ثُمَّ سَلَّمَ بِهِمْ، قال مالك: وذلك أحسن ما سمعت في صلاة الخوف) [2]

سائلين الله العلي القدير أن يبدل خوفنا أمناً، وأن يلهمنا الصبر والسلوان، وأن ييسر متابعة الحديث عن الصبر عند مواجهة الأعداء، والوقوف عند مزيد من التوضيح لصلاة الخوف، من حيث مشروعيتها في القرآن الكريم، وكيفية أدائها، حسب ما جاء عن نبينا، صلى الله عليه وسلم، وعلى آله الطاهرين، وأزواجه أجمعين، وعلى من تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

1. صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة ذات الرقاع.

2. التخريج نفسه.

محمد، صلى الله عليه وسلم
حثٌّ على الصبر عند مواجهة الأعداء
الحلقة الرابعة

عن سَالِمِ بن عبد اللَّهِ بن عُمَرَ، عن أبيه: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، صلى بِإِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ، وَالطَّائِفَةُ الأُخْرَى مُوَاجِهَةُ العَدُوِّ، ثُمَّ انْصَرَفُوا، فَقَامُوا فِي مَقَامِ أَصْحَابِهِمْ أُولَئِكَ، فَجَاءَ أُولَئِكَ، فَصَلَّى بِهِمْ رَكْعَةً، ثُمَّ سَلَّمَ عليهم، ثُمَّ قام هَؤُلاءِ فَقَضَوْا رَكْعَتَهُمْ، وَقَامَ هَؤُلاءِ فَقَضَوْا رَكْعَتَهُمْ)(*)

وقفت الحلقة السابقة عند حديث شريف أتى بمشهد يتعلق بغزوة ذات الرقاع، التي يشير اسمها إلى صورة واقعية من صور معاناة الرسول، صلى الله عليه وسلم، وصحبه الكرام، رضي الله عنهم، خلال الاستعداد لإحدى اللقاءات الحربية مع الأعداء، وصبرهم على ذلك، مما اضطرهم لعصب الخرق على أرجلهم، بسبب نقب أقدامهم، وسقوط أظفارهم، حيث لم يكن للنفر الستة سوى بعير واحد يعتقبونه، فالحياة فيها الرخاء والشدة، وفيها الأمن والخوف، وهي لا تدوم على حال، فالأيام دول، والمطلوب فهم واقعي للأمور، يستند إلى إيمان بالمبادئ، مع التحلي بالقيم التي من أبرزها الصبر والمصابرة، والرسول، صلى الله عليه وسلم، صلى بالمسلمين الخارجين معه لغزوة ذات الرقاع صلاة الخوف.

مشروعية صلاة الخوف وكيفيتها:

صلاة الخوف ثبتت مشروعيتها في أحاديث عدة، منها حديث ابن عمر المثبت نصه أعلاه، وثبتت كذلك في القرآن الكريم، حيث يقول تعالى: {وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ

* صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة ذات الرقاع.

لَهُمُ الصَّلاَةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَى أَن تَضَعُواْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ اللّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُّهِيناً}[1]

يتضح من هذه الآية القرآنية، ومن الحديث سالف الذكر أن المسلمين الذين يريدون أداء الصلاة المكتوبة خلال تواجدهم في حالة من الخوف، يصلون وراء إمامهم على مرحلتين، بحيث تصلي كلا المجموعتين جماعة وراء الإمام، ويكون ذلك بأن تصلي المجموعة الأولى جزءاً من الصلاة وراء الإمام، ثم تنصرف لمواجهة العدو مكان التي كانت تواجهه، وحينها تأتي التي كانت تواجه العدو لتصلي صلاة مسبوق وراء الإمام، إذ إنها تقضي ما فاتها من ركعات الصلاة بعد أن يسلم الإمام، ثم تعود المجموعة التي انصرفت عن الإمام لتتم صلاتها، وهذا ما يطلق عليه صلاة الخوف. فالنبي، صلى الله عليه وسلم، حسب حديث جابر المثبت في الحلقة السابقة، (...فصَلَّى بِطَائِفَةٍ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ تَأَخَّرُوا، وَصَلَّى بِالطَّائِفَةِ الأُخْرَى رَكْعَتَيْنِ، وكان لِلنَّبِيِّ، صلى الله عليه وسلم، أَرْبَعٌ، وَلِلْقَوْمِ رَكْعَتَانِ)[2]

وحسب حديث صَالِحِ بن خَوَّاتٍ، المثبت في الحلقة السابقة كذلك، فإن (رَسُولَ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، يوم ذَاتِ الرِّقَاعِ، صلى صَلاَةَ الْخَوْفِ، أن طائفة صفت معه، وَطَائِفَةٌ وِجَاهَ الْعَدُوِّ، فَصَلَّى بِالَّتِي معه رَكْعَةً، ثُمَّ ثَبَتَ قَائِمًا، وَأَتَمُّوا لأَنْفُسِهِمْ، ثُمَّ انْصَرَفُوا فَصَفُّوا وِجَاهَ الْعَدُوِّ، وَجَاءَت الطَّائِفَةُ الأُخْرَى، فَصَلَّى بِهِم الرَّكْعَةَ التي بَقِيَتْ من صَلاتِهِ، ثُمَّ ثَبَتَ جَالِسًا، وَأَتَمُّوا لأَنْفُسِهِمْ، ثُمَّ سَلَّمَ بِهِمْ، قال مالك: وذلك أحسن ما سمعت في صلاة الخوف)[3]

---

1. النساء:102.

2. صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة ذات الرقاع.

3. التخريج نفسه.

تنبيهات:

* من الأحاديث الواردة في صلاة الخوف يظهر أن الرسول، صلى الله عليه وسلم، أداها إماماً، وتعددت كيفيات أدائها، ويبدو أن ذلك يعود لاختلاف حال المسلمين عند أدائهم للصلاة خلال خوفهم، فكان لدرجة الخوف، وموضع المسلمين من القبلة، أو انحرافهم عنها خلال مواجهة العدو، تعلق بالأسباب التي أدت إلى اختلاف كيفية أداء صلاة الخوف، وهذا الاختلاف لا يؤثر في صحة الكيفية التي تؤدى بها الصلاة، ما دام أصلها مشروعاً، والمجال هنا لا يتيح عرض مزيد من صور صلاة الخوف المبينة في المراجع الفقهية.

* يجدر التنبيه إلى أنه على الرغم من أن الخوف الذي يستدعي اللجوء إلى أداء صلاة الخوف، يكون غالباً خلال المواجهات العسكرية في المعارك الحربية، لكن الخوف الذي يستدعي اللجوء إلى أداء صلاة الخوف ليس شرطاً أن يكون في حالات الحرب، إذ قد ينشأ من خوف حيوان، أو إنسان، دون أن يكون المرء في حالة حرب.

من الأمور التي ينبغي الالتفات إليها بالنسبة إلى صلاة الخوف، أنها تُشعر بأهمية صلاة الجماعة وراء الإمام، وفضل الحرص عليها، إذ لولا ذلك لما كان لصلاة الخوف حاجة، إضافة إلى أهمية العناية بالصلاة، والحرص على أدائها في أصعب الظروف، فالصلاة عمود الدين، وهذا يعني التحذير من التهاون في أدائها، أو التقليل من أهميتها، كما يحدث من قبل بعض المسلمين، الذين حذرهم القرآن الكريم من التغافل عن أداء الصلاة، فقال عز وجل: {فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ}(*)

سائلين الله العلي القدير أن يوفقنا لنكون من مقيمي الصلاة، والمحافظين عليها، والدائمين على ذلك، وأن يبدل خوفنا أمناً، وأن يلهمنا الصبر والسلوان، وأن ييسر متابعة الحديث عن الصبر عند مواجهة الأعداء، تأسياً بنبينا محمد، صلى الله عليه وسلم، وعلى آله الطاهرين، وأزواجه أجمعين، وعلى من تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

---

* الماعون:4 - 5.

محمد، صلى الله عليه وسلم
حثّ على الصبر عند مواجهة الأعداء
الحلقة الخامسة

عن أبي مَالِكٍ الأَشْعَرِيِّ، قال: قال رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم: (الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ، وَالحَمْدُ لِلَّهِ، تَمْلأُ المِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَالحَمْدُ لِلَّهِ، تَمْلآَنِ أو تَمْلأُ ما بين السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، وَالصَّلاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لك أو عَلَيْكَ، كُلُّ النَاس يَغْدُو، فَبَايِعٌ نَفْسَهُ، فَمُعْتِقُهَا، أو مُوبِقُهَا)[1]

الحلقة السابقة تعرضت لبيان مشروعية صلاة الخوف وكيفيتها، حيث تمت الإشارة إلى أن صلاة الخوف أداها الرسول، صلى الله عليه وسلم، إماماً، وتعددت كيفيات أدائها، وكانت درجة الخوف، وموضع المسلمين من القبلة، أو انحرافهم عنها خلال مواجهة العدو، من الأسباب التي أدت إلى اختلاف كيفية أداء صلاة الخوف، التي ليس شرطاً أن تؤدى في حالات الحرب، إذ قد ينشأ الخوف من حيوان، أو إنسان، دون أن يكون المرء في حالة حرب، وصلاة الخوف تُشعر بأهمية صلاة الجماعة وراء الإمام، وفضل الحرص عليها، إذ لولا ذلك لما كانت لصلاة الخوف حاجة، إضافة إلى إشعارها بأهمية العناية بالصلاة، والحرص على أدائها في أصعب الظروف، فالصلاة عمود الدين، وهذا يعني التحذير من التهاون بها، أو السهو عنها.

الصَّبْرُ ضِيَاءٌ:

حديث أبي مالك الأشعري، المثبت نصه أعلاه، يذكر النووي أنه أصل من أصول الإسلام، وقد اشتمل على مهمات من قواعد الإسلام[2]، وفيه يذكر الرسول، صلى الله عليه وسلم، أموراً دينية مقرونة بفضائلها، وكان من تلك الأمور الصبر، الذي وصفه بأنه ضياء،

1. صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء

2 صحيح مسلم بشرح النووي: 3 /100.

ومعناه كما في شرح النووي على صحيح مسلم، أن الصبر المحبوب في الشرع هو الصبر على طاعة الله تعالى، والصبر عن معصيته، والصبر أيضاً على النائبات، وأنواع المكاره في الدنيا، والمراد أن الصبر محمود، ولا يزال صاحبه مستضيئاً مهتدياً مستمراً على الصواب، قال إبراهيم الخواص: الصبر هو الثبات على الكتاب والسنة، وقال ابن عطاء: الصبر الوقوف مع البلاء بحسن الأدب، وقال الأستاذ أبو علي الدقاق: حقيقة الصبر أن لا يعترض على المقدور، فأما إظهار البلاء لا على وجه الشكوى، فلا ينافي الصبر، قال الله تعالى في أيوب، عليه السلام:{إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ العَبْدُ...}[1]، مع أنه قال: {أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ}[2]، والله أعلم.[3]

والصبر عند مواجهة الأعداء لا شك أنه مشمول في وصف الضياء، إذ إنه من لوازم النجاح في تلك المواجهة التي تتحتم في أحيان كثيرة.

الصبر والنصر:

الصبر من أبرز عوامل النصر على الأعداء، فالله أكد أنه مع الصابرين في سياق بيانه سبحانه لأسباب مهمة أخرى للنصر، مثل الثبات عند مواجهة الأعداء، والحرص على ذكر الله وطاعته، وطاعة رسوله، صلى الله عليه وسلم، وتجنب التنازع والبطر والرياء، فقال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيراً لعَلَّكُمْ تُفْلحُونَ* وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ* وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَراً وَرِئَاء النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَاللّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ}[4]

ففي هذه الآية الكريمة ذكر الله تعالى أن الصبر من عوامل النصر، وصاحب كتاب الفروسية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، يذكر أن الله تعالى أمر المجاهدين في هذه الآيات بخمسة أشياء، ما اجتمعت في فئة قط إلا نصرت، وإن قلت وكثر عدوها، أحدها الثبات، والثاني كثرة ذكره سبحانه وتعالى، والثالث طاعته وطاعة رسوله، صلى الله عليه وسلم، والرابع اتفاق

1. ص:44.
2. الأنبياء: 83.
3. صحيح مسلم بشرح النووي 3 /101 - 102.
4. الأنفال:45 - 47.

الكلمة، وعدم التنازع الذي يوجب الفشل والوهن، وهو جند يقوي به المتنازعون عدوهم عليهم، فإنهم في اجتماعهم كالحزمة من السهام، لا يستطيع أحد كسرها، فإذا فرقها وصار كل منهم وحده كسرها كلها، والخامس ملاك ذلك كله، وقوامه وأساسه، وهو الصبر.

فهذه خمسة أشياء تبنى عليها قبة النصر، ومتى زالت أو بعضها زال من النصر، بحسب ما نقص منها، وإذا اجتمعت قوى بعضها بعضاً، وصار لها أثر عظيم في النصر، ولما اجتمعت في الصحابة لم تقم لهم أمة من الأمم، وفتحوا الدنيا، ودانت لهم العباد والبلاد، ولما تفرقت فيمن بعدهم وضعفت، آل الأمر إلى ما آل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، والله المستعان، وعليه التوكل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.(*)

وعقب القرطبي على أمر الله بالصبر في هذه الآيات الكريمة، فقال عن الصبر: وهو محمود في كل المواطن، وخاصة موطن الحرب، كما قال: {إذا لقيتم فئة فاثبتوا}.

فالصبر ضياء، يلزم القوي والضعيف، ويلزم الذي يُبتلى بالنعم والنقم، حتى يبقى محافظاً على طاعة الله، لا يغفل عنها، ويحتسب ما يصيبه في سبيلها، فإذا ما تحقق له الصبر انتصر في نهاية المطاف.

سائلين الله العلي القدير أن يوفقنا لنكون من الصابرين، وأن ينصرنا، وأن ييسر ختم الحديث عن الصبر عند مواجهة الأعداء، حسب ما جاء عن نبينا، صلى الله عليه وسلم، وعلى آله الطاهرين، وأزواجه أجمعين، وعلى من تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

---

* الفروسية، 1 /505 - 506.

محمد، صلى الله عليه وسلم
حثّ على الصبر عند مواجهة الأعداء
الحلقة السادسة والأخيرة

عن أبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، رضي الله عنه: (إِنَّ نَاسًا من الأَنْصَارِ، سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ، فَأَعْطَاهُمْ، ثمَّ سألوه فأعطاهم، حتى نَفِدَ ما عِنْدَهُ، فقال: ما يَكُونُ عِنْدِي من خَيْرٍ، فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ الله، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ الله، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ الله، وما أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا، وَأَوْسَعَ من الصَّبْرِ) (*)

تعرضت الحلقة السابقة لبيان بعض ميزات الصَّبْر، فهو محمود في كل المواطن، وخاصة موطن الحرب، وهو ضِيَاءٌ، فلا يزال صاحبه مستضيئاً مهتدياً مستمراً على الصواب، والصبر عند مواجهة الأعداء، لا شك أنه مشمول في وصف الضياء، إذ إنه من أبرز عوامل النصر في تلك المواجهة، التي تتحتم في أحيان كثيرة، والله أكد أنه مع الصابرين في سياق بيانه سبحانه لأسباب مهمة أخرى للنصر، مثل الثبات عند مواجهة الأعداء، والحرص على ذكر الله، وطاعته وطاعة رسوله، صلى الله عليه وسلم، وتجنب التنازع والبطر والرياء.

التصبر:

في حديث أبي سعيد الخدري أعلاه، تشجيع على التَصَبُر، إذ وعد الرسول، صلى الله عليه وسلم، من يَتَصَبّر بأن يُصَبره الله تعالى، ومعنى التصبر أن يعالج المرء نفسه على ترك السؤال، ويصبر إلى أن يحصل له الرزق، وقوله: (يُصَبِّرْهُ الله)؛ أي يقويه، ويمكنه من نفسه، حتى تنقاد له، ويذعن لتحمل الشدة، فعند ذلك يكون الله معه، فيظفره بمطلوبه، وإنما جعل الصبر خير العطاء؛ لأنه حبس النفس عن فعل ما تحبه، وإلزامها بفعل ما تكره في

* صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة.

العاجل، مما لو فعله أو تركه لتأذى به في الآجل، فالصبر جامع لمكارم الأخلاق.[1]

فمن يتحلى بالصبر ويؤثره، يعنه الله عليه، ويوفقه له، وما أعطي أحد عطاء هو خير وأوسع من الصبر.

ويبين العيني في عمدة القاري، أن في هذا الحديث الحث على الصبر على ضيق العيش، وغيره من مكاره الدنيا، وفيه أن الاستغناء والعفة والصبر بفعل الله تعالى، وفيه جواز السؤال للحاجة، وإن كان الأولى تركه، والصبر حتى يأتيه رزقه بغير مسألة. [2]

الله مع الصابرين:

تعددت الآيات القرآنية الكريمة التي تبين مساندة الله جلَّ في علاه للصابرين، فيقول تعالى: {وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} (3)

وقد تكرر ذكر أنَّ الله مع الصابرين في آيتين من سورة البقرة، هما: (153)، و(249)، وفي آيتين أخريين من سورة الأنفال، هما: الآية سالفة الذكر (46)، والآية (66).

جاء في تفسير السعدي أن الصبرَ مُحتاج إليه العبد، بل يضطر إليه في كل حالة من أحواله، فلهذا أمر الله تعالى به، وأخبر أنه مع الصابرين؛ أي أن الله مع من كان الصبر لهم خُلقاً، وصفة، ومَلكة، بمعونته، وتوفيقه، وتسديده، فهانت عليهم بذلك المشاق والمكاره، وسهل عليهم كل عظيم، وزالت عنهم كل صعوبة، وهذه معية خاصة، تقتضي محبته، ومعونته، ونصره، وقربه، وهذه منقبة عظيمة للصابرين، فلو لم يكن للصابرين فضيلة، إلا أنهم فازوا بهذه المعية من الله، لكفى بها فضلاً وشرفاً، وأما المعية العامة، فهي معية العلم والقدرة، كما في قوله تعالى: {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ}[4]، وهذه عامة للخلق.[5]

---

1. فتح الباري: 11 /304 – 305.
2. عمدة القاري: 9 /49.
3. الأنفال:46.
4. الحديد: 4.
5. تفسير السعدي: 1/ 75.

ويذكر الرازي أن المقصود بقوله تعالى:{وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} أن كمال أمر الجهاد مبني على الصبر، فأمرهم بالصبر، وبين أنه تعالى مع الصابرين، ولا شبهة أن المراد بهذه المعية النصرة والمعونة.[1]

التواصي بالصبر:

الصبر خلق رفيع تضافرت النصوص الشرعية في الحث عليه، وبيان فضله، فكان من ذلك التشجيع على المصابرة والتصبر، إضافة إلى الحث على التحلي بالصبر، وبيان أن الله مع الصابرين، ولا شك أن الصبر عند مواجهة الأعداء، لازم ضروري للظفر بالنصر، مما يستدعي ليس التمرس على اكتساب الصبر، والتحلي به في مواقف البأس والشدة فحسب، بل التواصي به، عملاً بقوله جل شأنه: {ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ}[2]، وقوله تعالى: {إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ}[3]

فالله جل في علاه ذكر التواصي بالصبر في سياق الثناء على فاعليه، والإشادة بمقامهم، فالتواصي بالصبر يكون بتبادل المؤمنين النصح بالتحلي به، ومنه قولهم لبعض في حالات شد الأعصاب والانفعال: صبرك صبرك، وإن الله مع الصابرين، فالصبر سلاح لا يقل أهمية عن سنان الحروب وسيوفها، إذ ماذا ستصنع العُدد للمرتجفين خوفاً من خلق مثلهم ؟!

وبهذه الإشارات للتَصَبّر، وأن الله مع الصابرين، والتواصي بالصبر، نختم الحديث عن موضوع الحث على الصبر عند مواجهة الأعداء، الذي تم التطرق إليه في الحلقات الخمس السابقة وهذه.

سائلين الله العلي القدير أن يلهمنا والمؤمنين والمؤمنات الصبر والسلوان، على خطى ودرب أولي العزم من الرسل، وخاتمهم نبينا محمد، صلى الله عليه وسلم، وعلى آله الطاهرين، وأزواجه أجمعين، وعلى من تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

---

1. التفسير الكبير: 15 /138.
2. البلد: 17.
3. العصر: 3.

محمد، صلى الله عليه وسلم
يُنفر من الحرص على تولي الإمارة
الحلقة الأولى

عن أبي هُرَيْرَةَ، عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: (إِنَّكُمْ سَتَحْرِصُونَ على الإِمَارَةِ، وَسَتَكُونُ نَدَامَةً يوم القِيَامَةِ، فَنِعْمَ المُرْضِعَةُ، وَبِئْسَت الفَاطِمَةُ)[1]

يشكل هذا الحديث النبوي الشريف نبراساً للموقف الشرعي من الحرص على حمل المسؤولية وتوليها، حيث يلهث كثير من الناس إلى المناصب، ويصل التنافس الشديد عليها بينهم حد التكالب والاقتتال، والمقصود بالإمارة المسؤولية على مختلف مستوياتها، والتي أعلاها المسؤولية العامة عن تصريف شؤون البلاد والعباد، ثم المسؤوليات الأخرى، التي تتعدد وتتنوع وتتوزع، مصداقاً لقوله صلى الله عليه وسلم: (كُلُّكُمْ رَاعٍ ومسئول عن رَعِيَّتِهِ، فَالإِمَامُ رَاعٍ، وهو مسئول عن رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ في أَهْلِهِ رَاعٍ، وهو مسئول عن رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ في بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ، وَهِيَ مسئولة عن رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ في مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ، وهو مسئول عن رَعِيَّتِهِ، قال ابن عمر: فَسَمِعْتُ هَؤُلاءِ من رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، وَأَحْسِبُ النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: وَالرَّجُلُ في مَالِ أبيه رَاعٍ، وهو مسئول عن رَعِيَّتِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مسئول عن رَعِيَّتِهِ)[2]

نَدَامَةً يوم الْقِيَامَةِ:

الرسول، صلى الله عليه وسلم، يشير في الحديث أعلاه، إلى ظاهرة الحرص على الإمارة، متبعاً ذلك بالتحذير الشديد من عواقبها، فتنتاب بعض المسؤولين يوم القيامة الندامة، وما أدراكم ما الندامة؟! إنها حالة التحسر التي تنتاب المرء بسبب ما فاته، أو بسبب ما لحقه من

1. صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب ما يكره من الحرص على الإمارة.
2. صحيح البخاري، كتاب في الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس، باب العبد راع في مال سيده، ولا يعمل إلا بإذنه.

خسارة وعذاب، نتيجة الإخفاق في الامتحانات والمواقف والعواقب، جاء في فيض القدير، أن الإمارة ستكون ندامة وحسرة يوم القيامة، لمن لم يعمل فيها بما أمر به الله، ويسلك سبيل المصطفى، صلى الله عليه وسلم، وخلفائه الراشدين، رضي الله عنهم، وهذا أصل في تجنب الولايات، لا سيما لضعيف، أو غير أهل؛ فإنه يندم إذا جوزي بالخزي يوم القيامة، أما من كان أهلاً للإمارة، وعدل فيها، فأجره عظيم، لكنه على خطر عظيم.(*)

نِعْمَ الْمُرْضِعَةُ، وَبِئْسَتْ الْفَاطِمَةُ:

يُشبّه عليه الصلاة والسلام، الإمارة حال استفادة الأمير من امتيازاتها ومنافعها بالمرضعة، التي تدر اللبن، فهي على هذه الحال مرغوبة ومحمودة ومتشغف إليها، وفي المقابل؛ بئس حالها لما تنقطع خيراتها، ويحال بينها وبين متوليها، وحال صاحبها وقتئذ لا يقل بؤساً وضيقاً عن الرضيع لما يحين فطامه عن مص اللبن من ضرع مرضعته، جاء في فتح الباري، عن الداودي: أن نعم المرضعة، في الدنيا، وبئست الفاطمة، أي بعد الموت؛ لأنه يصير إلى المحاسبة على ذلك، فهو كالذي يفطم قبل أن يستغني، فيكون في ذلك هلاكه، وقال غيره: نعم المرضعة لما فيها من حصول الجاه والمال، ونفاذ الكلمة، وتحصيل اللذات الحسية، والوهمية، حال حصولها، وبئست الفاطمة، عند الانفصال عنها بموت أو غيره، وما يترتب عليها من التبعات في الآخرة.

فالذي يناله المتولي من النعماء والسراء، دون ما يناله من البأساء والضراء، إما بالعزل في الدنيا، فيصير خاملاً، وإما بالمؤاخذة في الآخرة، وذلك أشد، نسأل الله العفو، قال القاضي البيضاوي: فلا ينبغي لعاقل أن يفرح بلذة يعقبها حسرات، وقال المهلب: الحرص على الولاية هو السبب في اقتتال الناس عليها، حتى سفكت الدماء، واستبيحت الأموال والفروج، وعظم الفساد في الأرض بذلك، ووجه الندم، أنه قد يُقْتل أو يُعْزل أو يَموت، فيندم على الدخول فيها؛ لأنه يُطالب بالتبعات التي ارتكبها، وقد فاته ما حرص عليه بمفارقته، قال: ويستثنى من ذلك من تعين عليه، كأن يموت الوالي، ولا يوجد بعده من يقوم بالأمر غيره، وإذا لم يدخل في

* فيض القدير: 2 /554.

ذلك يحصل الفساد بضياع الأحوال، والتعبير بالحرص إشارة إلى أن من قام بالأمر عند خشية الضياع يكون كمن أُعطي بغير سؤال، لفقد الحرص غالباً عمن هذا شأنه، وقد يغتفر الحرص في حق من تعين عليه؛ لكونه يصير واجباً عليه، وتولية القضاء على الإمام فرض عين، وعلى القاضي فرض كفاية، إذا كان هناك غيره.[1]

نعم وبئس:

جاء في عمدة القاري، أن نعم وبئس فعلان لا يتصرفان؛ لأنهما أزيلا عن موضوعهما، فنعم منقول من قول: (نعم فلان) إذا أصاب نعمة، وبئس منقول من (بئس) إذا أصاب بؤساً، فنقلا إلى المدح والذم، فشابها الحروف، وقيل: إنهما استعملا للحال، بمعنى الماضي، وفي نعم أربع لغات، بفتح أوله، وكسر ثانيه، وكسرهما، وسكون العين وكسر النون، وفتحها وسكون العين، وقال الطيبي: إنما أتى بالتاء في الفاطمة، والمرضعة، إشارة إلى تصوير تينك الحالتين المتجددتين في الإرضاع والفطام.[2]

فهذه بعض متعلقات التحذير من تولي المسؤوليات لمن لم يكن أهلاً لها، أو لمن يرى فيها سبيلاً لاستجلاب المنافع واستثمار المناصب، فالمسؤولية أمانة، وعاقبة التقصير في أدائها وخيمة، عسى أن يوفق الله تعالى إلى متابعة الحديث عن المسؤولية، والتنفير من توليها لمن لم يكن أهلاً لها، حسب ما وجه إليه نبينا محمد، صلى الله عليه وسلم، وعلى آله الطاهرين، وأزواجه أجمعين، وأصحابه الغر الميامين، وعلى من تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

1. فتح الباري: 13 /126.

2. عمدة القاري: 24 /227.

محمد، صلى الله عليه وسلم
ينفر من الحرص على تولي الإمارة
الحلقة الثانية

عن أبي ذَرٍّ، قال: (قلت: يا رَسُولَ اللَّهِ؛ ألا تَسْتَعْمِلُنِي؟ قال: فَضَرَبَ بيده على مَنْكِبِي، ثُمَّ قال: يا أَبَا ذَرٍّ؛ إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَة، وَإِنَّهَا يوم الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إلا من أَخَذَهَا بِحَقِّهَا، وَأَدَّى الذي عليه فيها)[*]

تعرضت الحلقة السابقة إلى التحذير من الحرص على الإمارة وتوليها من قبل غير المؤهلين لها، والمقصود بالإمارة المسؤولية على مختلف مستوياتها، والتي أعلاها المسؤولية العامة عن تصريف شؤون البلاد والعباد، ثم المسؤوليات الأخرى، التي تتعدد وتتنوع وتتوزع، فعواقب الإمارة الوخيمة تتناب بعض المسؤولين يوم القيامة، من خلال الندامة والخزي اللذين يلحقانهم، بسبب توليها بغير حق، أو الإساءة في تصريفها.

وقد شبه عليه الصلاة والسلام، الإمارة حال استفادة الأمير من امتيازاتها ومنافعها بالمرضعة، وفي المقابل بئس حالها حين تكون فاطمة لما تنقطع خيراتها، ويحال بينها وبين متوليها، فالذي يناله الأمير المسيء من النعماء والسراء دون ما يناله من البأساء والضراء، فلا ينبغي لعاقل أن يفرح بلذة يعقبها حسرات، ويستثنى من ذلك من تعين عليه تولي الإمارة، وأحسن في أداء واجبه تجاهها، فالمسؤولية أمانة، وعاقبة التقصير في أدائها وخيمة.

أهمية هذا الحديث:

الحديث الصحيح أعلاه أصل عظيم في اجتناب الولايات، لا سيما لمن كان فيه ضعف عن القيام بوظائفها، ولكثرة الخطر فيها، حَذّر صلى الله عليه وسلم، منها، وعلماء الأمة،

* صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة.

وامتنع منها خلائق من السلف، وصبروا على الأذى حين امتنعوا عن قبول توليها.[1]

وفي هذا الحديث يتوسع النبي، صلى الله عليه وسلم، في تعليل الإحجام عن الاستجابة لطلب أبي ذر، رضي الله عنه، في أن تسند إليه مسؤولية عامة، فلم يجبه صلى الله عليه وسلم، إلى طلبه، وقرن علة الضعف التي وصف بها صاحبه الجليل أبا ذر، رضي الله عنه، بالتأكيد على أن الإمارة أمانة، وجزاء التقصير في أدائها عاقبته عسيرة يوم القيامة، فللمقصرين بها خزي وندامة، ولا ينجو من هذه العاقبة المخزية سوى من تولاها بحقها، ثم أدى واجبه فيها، فهل من معتبر؟!

الأمير العادل:

الخزي والندامة يلحقان من يتولى الإمارة إن لم يكن أهلاً لها، أو كان أهلاً ولم يعدل فيها، فيخزيه الله تعالى يوم القيامة، ويفضحه، ويندم على ما فرط، وأما من كان أهلاً للولاية، وعدل فيها، فله فضل عظيم، تظاهرت به الأحاديث الصحيحة.[2]

فالإمام العادل من السبعة الذين يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله، فعن أبي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه، عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: (سَبْعَةٌ يُظِلُّهُم الله في ظِلِّهِ يوم لَا ظِلَّ إلا ظِلُّهُ؛ الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ في عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ في الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا في اللَّهِ، اجْتَمَعَا عليه، وَتَفَرَّقَا عليه، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فقال: إني أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَى حتى لا تَعْلَمَ شِمَالُهُ ما تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ)[3]

ضعف أبي ذر:

يلاحظ اللطف والإيجاز الحكيم والدال والحازم في رد الرسول، صلى الله عليه وسلم، على طلب أبي ذر الإمارة في الحديث الشريف أعلاه، فيقول أبو ذر، رضي الله عنه: (فَضَرَبَ بيده على مَنْكِبِي، ثُمَّ قال: يا أَبَا ذَرٍّ؛ إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةُ...)

---

1. صحيح مسلم بشرح النووي: 12 /210 - 211، بتصرف.
2. المصدر السابق.
3. صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد.

فلم يكن أبو ذر، رضي الله عنه، أهلاً لتولي الإمارة، من حيث القدرة على القيام بأعبائها، فضعفه كان السبب لرفض إسناد مسؤولية الإمارة إليه، ويذكر السيوطي أن وجه ضعفه عن ذلك أن الغالب عليه كان الزهد، واحتقار الدنيا، ومن هذه حاله لا يعتني بمصالح الدنيا وأموالها، اللذين بمراعاتهما تنتظم مصالح الدين، ويتم أمره، وقد كان أبو ذر أفرط في الزهد في الدنيا حتى انتهى به الحال إلى أن يفتي بتحريم الجمع للمال، وإن أُخرجت زكاته، وكان يرى أنه الكنز الذي توعد الله عليه في القرآن، فلما علم النبي، صلى الله عليه وسلم، منه هذه الحالة نصحه، ونهاه عن الإمارة، وعن ولاية مال الأيتام، وأكد النصيحة بقوله: (وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنفْسِي).[1][2]

فالإمارة أمانة، وهي جديرة بالحيطة والحذر، والله تعالى نبه إلى أعبائها ومخاطرها، فقال عز وجل: {إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً}[3]، والضعيف معرض للتقصير في حمل أمانة الإمارة، وأداء ما عليه من واجب تجاهها، من هنا لم يكن أبو ذر، رضي الله عنه، أهلاً لتولي الإمارة لضعف استعداده الشخصي لها، رغم تقواه، وورعه، ومنزلته في الإسلام.

عسى أن يوفق الله إلى متابعة الحديث عن المسؤولية والتنفير من توليها، لمن لم يكن أهلاً لها، حسب ما وجه إليه نبينا محمد، صلى الله عليه وسلم، وعلى آله الطاهرين، وأزواجه أجمعين، وعلى أصحابه الغر الميامين، وعلى من تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

---

1. سنن النسائي ، كتاب الوصايا، باب النهي عن الولاية على مال اليتيم، وصححه الألباني.

2. حاشية السيوطي على سنن النسائي: 6 /255 - 256.

3. الأحزاب:72.

محمد، صلى الله عليه وسلم
يُنفر من الحرص على تولي الإمارة
الحلقة الثالثة والأخيرة

عـن أبي ذَرٍّ، أَنَّ رَسُـولَ اللَّـهِ، صـلى اللـه عليـه وسـلم، قـال: (يـا أَبَـا ذَرٍّ؛ إِنِي أَرَاكَ ضَعِيفًـا، وَإِنِّي أُحِـبُّ لـك مـا أُحِـبُّ لِنَفْـسِي، لا تَأَمَّـرَنَّ عـلى اثْنَـيْنِ، ولا تَوَلَّـيَنَّ مَـالَ يَتِيـمٍ) [1]

وقفـت الحلقـة السـابقة عنـد تعليـل الإحجـام عـن الاسـتجابة لطلـب أبي ذر، رضي اللـه عنـه، في أن تسـند إليـه مسـؤولية عامـة، فلـم يجبـه صـلى اللـه عليـه وسـلم، إلى طلبـه؛ لأنـه ضعيـف، والإمـارة أمانـة، والضعيـف معـرض للتقصـير في حمـل أمانـة الإمـارة، وأداء الواجـب تجاهها، ووجـه ضعـف أبي ذر عـن تـولي الإمـارة، أن الغالـب عليـه كان الزهـد، واحتقـار الدنيـا، ومـن هـذا حالـه لا يعتـني بمصالـح الدنيـا وأموالهـا اللذيـن بمراعاتهمـا تنتظـم مصالـح الديـن، ويتـم أمـره، وجـزاء التقصـير في أداء واجـب الإمـارة عاقبتـه وخيمـة يـوم القيامـة، حيـث الخـزي والندامـة، فالإمـارة جديـرة بالحيطـة والحـذر، مـع التنبيـه إلى أن الإمـام العـادل ينجـو مـن الخـزي والندامـة، بـل وعـده الرسـول، صـلى اللـه عليـه وسـلم، أن يكـون مـع السـبعة الذيـن يظلهـم اللـه في ظلـه، يـوم لا ظـل إلا ظلـه.

رفض إسناد المسؤولية لسائلها مع حب الخير له:

في الروايـة الصحيحـة أعـلاه، علـل النـبي، صـلى اللـه عليـه وسـلم، امتناعـه عـن الاسـتجابة لطلـب صاحبـه أبي ذر، رضي اللـه عنـه، في أن يسـتعمله والياً، بضعفـه عـن تحصيـل مصالـح الإمـارة، ودرء مفاسـدها، وقـرن هـذا بالتأكيـد عـلى أنـه يحـب لـه مـا يحـب لنفسـه؛ أي مـن السـلامة عـن الوقـوع في المحـذور. [2]

---

1. صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة.

2. حاشية السندي على سنن النسائي: 6 /255.

قال بعض العلماء: قوله: (أحب لك ما أحب لنفسي) ظاهر في أنه يحب لنفسه عدم الحكم، مع أن الله تعالى أمره بالحكم، وحاشاه أن يكره ما أمره الله به، بل معناه لو كنت ضعيفاً لأحببت عدم الحكم؛ لعجزي عنه حينئذ، فالذي كان لأجل صفة أبي ذر في ضعفه لا الحكم في نفسه، فما زال حاكماً، وأرسل علياً قاضياً ومعاذاً، وغيرهما قضاة إلى الأمصار، وهو منصب الأنبياء أجمعين. [1]

جاء في مرقاة المفاتيح، أن قوله صلى الله عليه وسلم: (يا أَبَا ذَرٍّ؛ إِنِي أَرَاكَ ضَعِيفًا، وَإِنِّي أُحِبُّ لك ما أُحِبُّ لِنَفْسِي...) يعني لو كنت ضعيفاً مثلك لما تحملت هذا الحمل، ولكن الله قوّاني فحملني، ولولا أنه حملني لما حملت، وقوله: (لا تَأَمَّرنَّ)، أي لا تقبلن الإمارة، (على اثنين)؛ أي فضلاً عن أكثر منهما، فإن العدل والتسوية أمر صعب بينهما، (ولا تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ)؛ أي لا تقبلن ولاية مال يتيم، وفي نسخة لمسلم على مال يتيم؛ أي لا تكن والياً عليه؛ لأن خطره عظيم، ووباله جسيم، وهذا مثال الولاية على الواحد.[2]

النهي عن طلب الإمارة:

إلى جانب التنفير من تولي الضعيف الإمارة، فهناك ما ينفر من إسناد المسؤولية لطالبيها، فعن عبد الرحمن بن سَمُرَةَ، قال: قال لي رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم: (يا عَبْدَ الرحمن بن سمرة؛ لا تَسْأَلِ الإِمَارَةَ، فَإِنَّكَ إن أُعْطِيتَهَا عن مَسْأَلَةٍ، وُكِلْتَ إِلَيْهَا، وَإِنْ أُعْطِيتَهَا عن غَيْرِ مَسْأَلَةٍ، أُعِنْتَ عليها)[3]

يقول النووي بأن في هذا الحديث فوائد، منها كراهة سؤال الولاية، سواء ولاية الإمارة، والقضاء والحسبة وغيرها، ومنها بيان أن من سأل الولاية لا يكون معه إعانة من الله تعالى، ولا تكون فيه كفاية لذلك العمل، فينبغي أن لا يولى. [4]

---

1. الذخيرة: 10 /10 - 11.
2. مرقاة المفاتيح: 7 /240.
3. صحيح مسلم، كتاب الأيمان، باب ندب من حلف يميناً فرأى غيرها خيراً منها...
4. صحيح مسلم بشرح النووي: 11/ 116.

وجاء في عمدة القاري، أن قوله (وُكلّت) على صيغة المجهول بالتخفيف، ومعناه صرف إليها، ومن وكل إلى نفسه هلك، ومنه الدعاء: (وَلا تَكلني إلى نفسي)، ويستفاد منه أن طلب ما يتعلق بالحكم مكروه، وإن من حرص على ذلك لا يعان.[1]

فهذا الحديث النبوي الشريف يؤكد على أهمية الاستعانة بالله في تسيير الأعمال جميعها، ومن ذلك المسؤوليات، وأداء الالتزامات تجاهها، وإلا فالخطب صعب، من هنا كان كبار السلف الصالح يتخوفون من عواقبها، فمما يروى أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، لما رفض أن يكون ابنه من الستة المرشحين لخلافته، معللاً ذلك بقوله: (حسب آل الخطاب تحمل رجل منهم الخلافة)[2]، على الرغم أنه عمر، وما أدراكم من عمر؟! إنه الفاروق، الذي يعتز بعدله المسلمون ويفخرون، وكثير من غيرهم.

فالإمارة التي يراد بها هنا المسؤولية بأنواعها، أمانة سيسأل أصحابها عنها يوم القيامة، ضيعوا أم أدوا حقها، فمن ضَيّع خسر، ومن أدى ما عليه فيها، فاز بثواب جزيل، ومنه الذكر الطيب عند الخلق، مع ضرورة الاستفادة من التحذير الوارد بشأن توليها؛ لأن من لم يكن أهلاً لها، يحرم عليه تبوأها، ومن كان أهلاً لها، يحرم عليه التقصير في واجبه نحوها، وينبغي التذكير دائماً أنها نعم المرضعة، وبئست الفاطمة، حسب ما جاء عن نبينا محمد، صلى الله عليه وسلم، وعلى آله الطاهرين، وأزواجه أجمعين، وعلى أصحابه الغر الميامين، وعلى من تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

1. عمدة القاري: 24/ 226.

2. تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك: 1 /5.

محمد، صلى الله عليه وسلم
يوصي بالأم وبرها
الحلقة الأولى

عن أبي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه، قال: (جاء رَجُلٌ إلى رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رَسُولَ اللَّهِ؛ من أَحَقُّ الناس بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قال: أُمُّكَ، قال: ثُمَّ من؟ قال: ثُمَّ أُمُّكَ، قال: ثُمَّ من؟ قال: ثُمَّ أُمُّكَ، قال: ثُمَّ من؟ قال: ثُمَّ أَبُوكَ)[1]

يبرز هذا الحديث النبوي الشريف المكانة التي تحظى بها الأم في الإسلام، من خلال الإجابة عن الأحق بصحبة المرء، فحظيت الأم بثلاث درجات متقدمة على الأب، وفي رواية صحيحة أخرى، جاء الأب في الترتيب بعد تفضيل الأم عليه بثلاث منازل، ثم بعدهما جاء الأقربون الآخرون، فعن أبي هُرَيْرَةَ، قال: (قال رَجُلٌ: يا رَسُولَ اللَّهِ؛ من أَحَقُّ الناس بِحُسْنِ الصُّحْبَةِ؟ قال: أُمُّكَ، ثُمَّ أُمُّكَ، ثُمَّ أُمُّكَ، ثُمَّ أَبُوكَ، ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ)[2]

جاء في شرح النووي على صحيح مسلم، أن الصحابة هنا بفتح الصاد بمعنى الصحبة، وفيه الحثّ على بر الأقارب، وأن الأم أحقهم بذلك، ثم بعدها الأب، ثم الأقرب فالأقرب، قال العلماء: وسبب تقديم الأم كثرة تعبها عليه، وشفقتها وخدمتها، ومعاناة المشاق في حمله، ثم وضعه، ثم إرضاعه، ثم تربيته وخدمته وتمريضه، وغير ذلك، ونقل الحارث المحاسبي إجماع العلماء على أن الأم تفضل في البر على الأب، وحكى القاضي عياض خلافاً في ذلك، فقال الجمهور بتفضيلها، وقال بعضهم يكون برهما سواءً، قال: ونسب بعضهم هذا إلى مالك.

والصواب الأول، لصريح هذه الأحاديث في المعنى المذكور، والله أعلم، قال القاضي: وأجمعوا على أن الأم والأب آكد حرمة في البر ممن سواهما، قال: وتردد بعضهم بين الأجداد

1. صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب من أحق الناس بحسن الصحبة.
2. صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب بر الوالدين وأنهما أحق به.

والإخوة، لقوله صلى الله عليه وسلم: (ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ) فيستحب أن تقدم في البر الأم، ثم الأب، ثم الأولاد، ثم الأجداد، والجدات، ثم الإخوة والأخوات، ثم سائر المحارم من ذوي الأرحام؛ كالأعمام، والعمات، والأخوال، والخالات، ويقدم الأقرب فالأقرب، والله أعلم.[1]

ومن المسوغات التي ذكرها القرآن الكريم للتوصية بالوالدين، وبالأخص الأم، معاناتها من الحمل بالولد، فقال تعالى: {وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ}[2]، ويقول عز وجل: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا...}.[3]

فالأم تعاني في الحمل والإرضاع والحضانة والرعاية، ولا تنقطع المعاناة عنها تجاه ابنها حتى تموت، فهي في كد متواصل نحوه.

الإحسان إلى الوالدين:

الوالدان عني الإسلام بالحث على برهما، وقد بلغت هذه العناية ذروتها حين قرن الله الأمر بالإحسان إلى الوالدين بالأمر بوحدانيته سبحانه وتعالى، فقال عز وجل: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً}[4]

يقول صاحب أضواء البيان: أمر جل وعلا في هذه الآية الكريمة بإخلاص العبادة له وحده، وقرن بذلك الأمر بالإحسان إلى الوالدين، وجعل بر الوالدين مقروناً بعبادته وحده جل وعلا، المذكور هنا ذكره في آيات أخر، كقوله تعالى في سورة البقرة: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ...}[5]، وفي سورة النساء، يقول تعالى:{وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ...}[6]

---

1. صحيح مسلم بشرح النووي: 16 /102 - 103.
2. لقمان: 14.
3. الأحقاف:15.
4. الإسراء: 23.
5. البقرة: 83.
6. النساء: 36.

ويقول تعالى في سورة الأنعام: {قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ...}[1]

وبيّن في موضع آخر أن برهما لازم، ولو كانا مشركين داعيين إلى شركهما، فقال تعالى في سورة العنكبوت: {وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}[2]، وقال تعالى في سورة لقمان: {وَإِن جَاهَدَاكَ عَلى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}[3]

وذكره جل وعلا في هذه الآيات بر الوالدين، مقروناً بتوحيده جل وعلا في عبادته، يدل على شدة تأكد وجوب بر الوالدين، وجاءت عن النَّبي، صلى الله عليه وسلم، في ذلك أحاديث كثيرة.

وقوله تعالى في الآيات المذكورة: {وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً} بينه بقوله تعالى: {إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا} لأن هذا من الإحسان إليهما المذكور في الآيات.[4]

وفقنا الله لتوحيده، وبر والدينا، والإحسان إليهما، وحسن صحبتهما، وبخاصة أمهاتنا الكريمات، آملين متابعة الوقوف عند المزيد من جوانب هذا الموضوع في ضوء الآيات القرآنية التي تناولته وأحاديث الرسول، صلى الله عليه وسلم، وعلى آله الطاهرين، وأزواجه أجمعين، وأصحابه الغر الميامين، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

---

1. الأنعام: 151.
2. العنكبوت: 8.
3. لقمان: 15.
4. أضواء البيان: 3 /85.

الرسول الأسوة ﷺ

محمد، صلى الله عليه وسلم
يوصي بالأم وبرها
الحلقة الثانية

عـن أَبِي عَمْـرٍو الشَّـيْبَانِيِّ، قـال: أخبرنـا صَاحِـبُ هـذه الـدَّارِ، وَأَوْمَـأَ بيـده إلى دَارِ عبـد اللَّـهِ، قـال: (سَـأَلْتُ النـبي، صـلى اللـه عليـه وسـلم: أَيُّ الْعَمَـلِ أَحَـبُّ إلى اللَّـهِ؟ قـال: الصَّـلاةُ عـلى وَقْتِهَـا، قـال: ثُـمَّ أَيٌّ؟ قـال: بِـرُّ الْوَالِدَيْـنِ، قـال: ثُـمَّ أَيٌّ؟ قـال: الْجِهَـادُ فِي سَـبِيلِ اللَّـهِ، قـال: حدثـني بِهِـنَّ، وَلَـوْ اسْـتَزَدْتُهُ لَـزَادَنِي)[*]

الحلقـة السـابقة أبـرزت المكانـة الـتي تحظـى بهـا الأم في الإسـلام، مـن خـلال الإجابـة عـن الأحـق بصحبـة المـرء، فحظيـت الأم بثـلاث درجـات متقدمـة عـلى الأب، فالإسـلام حـث عـلى بـر الأقـارب، والأم أحقهـم بذلـك، ثـم بعدهـا الأب، ثـم الأقـرب فالأقـرب، وفـسر بعـض العلمـاء سـبب تقديـم الأم كـثرة تعبهـا، وشـفقتها وخدمتهـا، ومعانـاة المشـاق في حملـه، ثـم وضعـه، ثـم إرضاعـه، ثـم تربيتـه وخدمتـه وتمريضـه، وغـير ذلـك، وقـد بلغـت عنايـة الإسـلام في الحـث عـلى بـر الوالديـن ذروتهـا حـين قـرن اللـه الأمـر بالإحسـان إلى الوالديـن بالأمـر بوحدانيتـه سـبحانه وتعـالى، وذكـر هـذا في آيـات قرآنيـة عـدة، ورد بعضهـا في سـور البقـرة، والنسـاء، والأنعـام، ولقمـان.

فيهما فجاهد:

حديـث أَبِي عَمْـرٍو الشَّـيْبَانِيِّ، المثبـت أعـلاه، يتمـاشى مـع مـا تعرضـت لـه الحلقـة السـابقة من ربـط الحـث عـلى بـر الوالديـن بالأمـر بوحدانيتـه سـبحانه، ففـي هـذا الحديـث الشريـف يجيـب عليـه الصـلاة والسـلام عـن سـؤال حـول العمـل الأحـب إلى اللـه تعـالى، حيـث نـال بـر الوالديـن المنزلـة الثانيـة بعـد الصـلاة عـلى وقتهـا، وسـبق الجهـاد في سـبيل اللـه، ومـن البديهـي أن يكـون المقصـود

* صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب قول الله تعالى: (ووصينا الإنسان بوالديه حسناً) (العنكبوت:8).

بالجهاد هنا الذي لم يتعين فرضاً، وإنما يكون في إطار جهاد فرض الكفاية أو التطوع، ومما يؤكد تقديم بر الوالدين على هذا النوع من الجهاد، ما رواه عبد اللَّهِ بن عَمْرٍو، قال: (قال رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ، صلى الله عليه وسلم: أُجَاهِدُ؟ قال: لك أَبَوَانِ؟ قال: نعم، قال: فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ) [1]

ومعنى ففيهما فجاهد، أي إن كان لك أبوان فأبلغ جهدك في برهما والإحسان إليهما، فإن ذلك يقوم لك مقام قتال العدو.[2]

توضيح منزلة بر الوالدين فيما يحبه الله تعالى:

بالنسبة إلى ترتيب منازل الأعمال في سلم درجات الأفضلية في ضوء الوارد في الأحاديث الشريفة، جاء في عمدة القاري توضيح لذلك، ونقل عن القفال في كيفية الجمع، وجهان:

أحدهما، أنه جرى على اختلاف الأحوال والأشخاص، والآخر، أن لفظة (من) مرادة، بأن المراد من أفضل الأعمال كذا، كما يقال فلان أعقل الناس، أي من أعقلهم، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: (خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ)[3]

ومعلوم أنه لا يصير بذلك خير الناس، فرد العيني بأنه بالجواب الأول أجاب القاضي عياض، فقال: أعلم كل قوم بما لهم إليه حاجة، وترك ما لم تدعهم إليه حاجة، أو ترك ما تقدم علم السائل إليه، أو علمه بما لم يكمله من دعائم الإسلام، ولا بلغه عمله، وقد يكون الجهاد للمتأهل له في حقه أولى من الصلاة وغيرها، وقد يكون له أبوان لو تركهما لضاعا، فيكون برهما أفضل، لقوله عليه الصلاة والسلام: (ففيهما فجاهد)، وقد يكون الجهاد أفضل من سائر الأعمال، عند استيلاء الكفار على بلاد المسلمين، قال العيني: الحاصل أن اختلاف الأجوبة في هذه الأحاديث لاختلاف الأحوال، ولهذا سقط ذكر الصلاة والزكاة والصيام في الحديث المذكور أعلاه، ولا شك أن الثلاث مقدمات على الحج والجهاد، ويقال: إنه قد يقال خير الأشياء كذا، ولا يراد أنه خير من جميع الوجوه في جميع الأحوال، والأشخاص، بل في حال

1. صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب لا يجاهد إلا بإذن الأبوين.
2. فتح الباري:10/ 403.
3. سنن ابن ماجة، كتاب النكاح، باب حسن معاشرة النساء، وصححه الألباني.

دون حال، فإن قيل: كيف قدم الجهاد على الحج، مع أن الحج من أركان الإسلام، والجهاد فرض كفاية؟ يقال: إنما قدمه للاحتياج إليه أول الإسلام، ومحاربة الأعداء، ويقال: إن الجهاد قد يتعين كسائر فروض الكفاية، وإذا لم يتعين لم يقع إلاَّ فرض كفاية، وأما الحج؛ فالواجب منه حجة واحدة، وما زاد نفل، فإن قابلت واجب الحج بمتعيّن الجهاد، كان الجهاد أفضل لهذا الحديث، ولأنه شارك الحج في الفرضية، وزاد بكونه نفعاً متعدياً إلى سائر الأمة، وبكونه ذباً عن بيضة الإسلام، وقد قيل: (ثم) هاهنا للترتيب في الذكر، كقوله تعالى: {ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا...}[1]، وقيل: (ثم) لا تقتضي ترتيباً، فإن قابلت نفل الحج بغير متعيّن الجهاد، كان الجهاد أفضل، لما أنه يقع فرض كفاية، وهو أفضل من النفل بلا شك، وقال صاحب كتاب (الغياثي): فرض الكفاية عندي أفضل من فرض العين، من حيث إن فعله مسقط للحرج عن الأمة بأسرها، وبتركه يعصي المتمكنون منه كلهم، ولا شك في عظم وقع ما هذه صفته، والله أعلم[2]، يظهر مما سبق أن للوالدين في الإسلام مكانة رفيعة تندرج في منظومة عقائده وأحكامه التعبدية.

آملين متابعة الوقوف عند المزيد من جوانب هذا الموضوع في ضوء الآيات القرآنية التي تناولته، وأحاديث الرسول، صلى الله عليه وسلم، وعلى آله الطاهرين، وأزواجه أجمعين، وأصحابه الغر الميامين، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

1. البلد: 17.

2. عمدة القاري:1 /189، بتصرف.

محمد، صلى الله عليه وسلم
يوصي بالأم وبرها
الحلقة الثالثة

عن ابن عَبَّاسٍ، رضي الله عنهما، أَنَّ امْرَأَةً من جُهَيْنَةَ، جَاءَتْ إلى النبي، صلى الله عليه وسلم، فقالت: (إِنَّ أُمِّي نَذَرَتْ أَنْ تَحُجَّ، فلم تَحُجَّ حتى مَاتَتْ، أَفَأَحُجُّ عنها؟ قال: نعم، حُجِّي عنها، أَرَأَيْتِ لو كان على أُمِّكِ دَيْنٌ، أَكُنْتِ قاضية؟ اقْضُوا اللَّهَ، فَاللَّهُ أَحَقُّ بِالْوَفَاءِ)(*)

مما وضحته الحلقة السابقة بشأن الحث على بر الوالدين، تقديم هذا البر على الجهاد في سبيل الله، الذي يكون فرض كفاية، ومما يؤكد تقديم بر الوالدين على هذا النوع من الجهاد، ما وجه به الرجل الذي جاء يطلب الإذن بالجهاد، فوجه إلى المجاهدة في والديه، وذلك ببرهما، والإحسان إليهما، فذلك يقوم له مقام قتال العدو، وأجملت الحلقة السابقة أيضاً مبررات نيل بر الوالدين منزلة متقدمة في سلم أحب الأعمال إلى الله تعالى، وبخاصة تقدمه على أعمال عظيمة، مثل الجهاد والحج.

استنباطات من الحديث:

جاء في فتح الباري، أن قوله: (أَرَأَيْتِ...إلخ) فيه مشروعية القياس، وضرب المثل، ليكون أوضح وأوقع في نفس السامع، وأقرب إلى سرعة فهمه، وفيه تشبيه ما اختلف فيه وأشكل، بما اتفق عليه، وفيه أنه يستحب للمفتي التنبيه على وجه الدليل، إذا ترتبت على ذلك مصلحة، وهو أطيب لنفس المستفتي، وأدعى لإذعانه، وفيه أن وفاء الدين المالي عن الميت كان معلوماً ومقرراً، ولهذا حسن الإلحاق به، وفيه إجزاء الحج عن الميت، وفيه أن من مات وعليه حج، وجب على وليه أن يجهز من يحج عنه، من رأس ماله، كما أن عليه قضاء ديونه، فقد أجمعوا على أن دين الآدمي من رأس المال، فكذلك ما شبه به في القضاء، ويلتحق بالحج كل حق ثبت

* صحيح البخاري، كتاب جزاء الصيد، باب الحج والنذور عن الميت والرجل يحج عن المرأة.

في ذمته، من كفارة أو نذر أو زكاة، أو غير ذلك، وفي قوله: (فَاللَّهُ أَحَقُّ بِالْوَفَاءِ) دليل على أنه مقدم على دين الآدمي، وهو أحد أقوال الشافعي، وقيل بالعكس، وقيل هما سواء.[1]

قضاء العبادة عن الوالدين:

الحديث الشريف أعلاه، يبرز لوناً من ألوان بر الأم، ومثلها الأب كذلك، وفيه إجابة إيجابية للسائلة بشأن حجها عن أمها، مع الاستدلال بصورة مقنعة لهذا الجواز، من خلال سؤالها عن قضائها ديون أمها لو وجدت، واستطرد دون أن ينتظر إجابتها في هذه الرواية عن سؤاله، كون الإجابة البديهية ستكون بالإيجاب، فقال: (اقْضُوا اللَّهَ، فَاللَّهُ أَحَقُّ بِالْوَفَاءِ) وفي الرواية التي سألت فيها المرأة عن الصوم نيابة عن أمها الميتة، طرح عليه الصلاة والسلام عليها السؤال نفسه، فأجابت بنعم، فقال لها: (فَصُومِي عن أُمِّكِ) فعن ابن عَبَّاسٍ، رضي الله عنهما، قال: (جَاءَت امْرَأَةٌ إلى رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، فقالت: يا رَسُولَ اللَّهِ، إنَّ أُمِّي مَاتَتْ، وَعَلَيْهَا صَوْمُ نَذْرٍ، أَفَأَصُومُ عنها؟ قال: أَرَأَيْتِ لو كان على أُمِّكِ دَيْنٌ، فَقَضَيْتِيهِ، أَكَانَ يُؤَدِّي ذَلِكِ عنها؟ قالت: نعم، قال: فَصُومِي عن أُمِّكِ)[2]

ولم تقتصر مشروعية قضاء العبادة عن الأم فحسب، بل تشمل الأب كذلك، فعن عبد اللَّهِ بن عَبَّاسٍ، رضي الله عنهما، قال: (كان الْفَضْلُ رَدِيفَ النبي، صلى الله عليه وسلم، فَجَاءَت امْرَأَةٌ من خَثْعَمَ، فَجَعَلَ الْفَضْلُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا، وَتَنْظُرُ إليه، فَجَعَلَ النبي، صلى الله عليه وسلم، يَصْرِفُ وَجْهَ الْفَضْلِ إلى الشِّقِّ الآخَرِ، فقالت: إنَّ فَرِيضَةَ اللَّهِ أَدْرَكَتْ أبي شَيْخًا كَبِيرًا، لا يَثْبُتُ على الرَّاحِلَةِ، أَفَأَحُجُّ عنه؟ قال: نعم، وَذَلِكَ في حَجَّةِ الْوَدَاعِ)[3]

ويعاضد الأحاديث الصحيحة المذكورة آنفاً روايات صحيحة، أسندت لابن عباس، ولغيره من الصحابة، رضي الله عنهم، بصيغ مشابهة، أو مع بعض الاختلاف، لكنها جميعها تحث على أداء بعض العبادات الواجبة التي مات الوالدان أو أحدهما دون أدائها، أو على الأقل تبين مشروعية ذلك.

---

1. فتح الباري: 4/ 66.
2. صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب قضاء الصيام عن الميت.
3. صحيح البخاري، كتاب جزاء الصيد، باب حج المرأة عن الرجل.

ومـن العبـادات الـتي يـشرع أداؤهـا عـن الوالديـن بعـد مماتهمـا، الصدقـة عنهمـا، فعـن عَائِشَـةَ: (أَنَّ رَجُـلاً أتى النبي، صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رَسُـولَ اللَّـهِ؛ إِنَّ أُمِّـيَ افْتُلِتَـتْ نَفْسَـهَا، ولـم تُـوصِ، وَأَظُنُّهَـا لـو تَكَلَّمَـتْ تَصَدَّقَـتْ، أَفَلَهَـا أَجْـرٌ إن تَصَدَّقْـتُ عنهـا؟ قـال: نعـم)[1]

انتفاع الوالدين المتوفيين من دعاء أبنائهما:

ينسـجم مـع فحـوى مـا دلـت عليـه الأحاديـث سـالفة الذكـر، أن الدعـاء للوالديـن مـن أبنائهمـا يبقـى لهمـا ذخـراً بعـد وفاتهمـا، بعـد انقطـاع متعلقـات الدنيـا عنهمـا، فعـن أبي هُرَيْـرَةَ، أَنَّ رَسُـولَ اللَّـهِ، صـلى اللـه عليـه وسـلم، قـال: (إذا مَـاتَ الإِنْسَـانُ انْقَطَـعَ عنـه عَمَلُـهُ، إلا مـن ثَلاثَـةٍ؛ إلا مـن صَدَقَـةٍ جَارِيَـةٍ، أو عِلْـمٍ يُنْتَفَـعُ بِـهِ، أو وَلَـدٍ صَالِـحٍ يَدْعُـو لـه)[2]

فـبر الوالديـن لا ينقطـع مـع موتهمـا، بـل يبقـى مجالـه مفتوحـاً أمـام الأبنـاء، ليتقربـوا بـه إلى اللـه تعـالى بالصـور والكيفيـات المشروعـة والمتاحـة، وعـلى رأس ذلـك الدعـاء لهمـا، والتصـدق عنهمـا، وإحسـان العمـل والسـلوك مـن قبلهـم؛ لينتفـع بمثوبتـه الوالـدان.

آملـين متابعـة الوقـوف عنـد مزيـد مـن جوانـب هـذا الموضـوع، في ضـوء توجيهات الرسـول، صـلى اللـه عليـه وسـلم، وعـلى آلـه الطاهريـن، وأزواجـه أجمعـين، وأصحابـه الغـر الميامـين، ومـن تبعـه بإحسـان إلى يـوم الديـن.

1. صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب وصول ثواب الصدقة عن الميت إليه.

2. صحيح مسلم، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته.

محمد، صلى الله عليه وسلم
يوصي بالأم وبرها
الحلقة الرابعة والأخيرة

عـن أبي هُرَيْـرَةَ، عـن النـبي، صـلى الله عليه وسـلم ، قال: (رَغِـمَ أَنْفُ، ثُـمَّ رَغِمَ أَنْفُ، ثُـمَّ رَغِمَ أَنْـفُ، قِيـلَ: من يا رَسُـولَ اللَّهِ؟ قـال: من أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ، أَحَدَهُمَـا أو كِلَيْهِمَا، فلم يَدْخُل الْجَنَّةَ) [1]

الحلقـة السـابقة ركـزت عـلى جانـب قضـاء العبـادة عـن الوالديـن، ومـن ذلـك الحـج عنهمـا والصـوم والصدقـة، إضافـة إلى الدعـاء لهمـا، حيـث إن مـن أعمـال الإنسـان الـتي لا تنقطـع بعـد مماتـه أن يكـون لـه ولـد صالـح يدعـو لـه، ويشـمل ذلـك الأبويـن، الأب والأم.

فالرسـول، صـلى اللـه عليـه وسـلم ، في الحديـث أعـلاه، يُبكـت الابـن الـذي يضيـع فرصـة دخـول الجنـة بـبر والديـه أو أحدهمـا، ولفـظ (رَغِـمَ) عنـد أهـل اللغـة معنـاه ذل، وقيـل: كـره وخزي، وهـو بفتـح الغـين وكسرهـا، وأصلـه لصـق أنفـه بالرغـام، وهـو تـراب مختلـط برمـل، وقيـل: الرغـم كل مـا أصـاب الأنـف ممـا يؤذيـه، وفيـه الحـث عـلى بـر الوالديـن، وعظـم ثوابـه، ومعنـاه أن برهمـا عنـد كبرهمـا وضعفهمـا بالخدمـة أو النفقـة أو غـير ذلـك، سـبب لدخـول الجنـة، فمـن قـصر في ذلـك فاتـه دخـول الجنـة، وأرغـم اللـه أنفـه. [2]

صلة الأم غير المسلمة:

الحـث عـلى الـبر يشـمل الوالديـن لصفتهمـا هـذه، بغـض النظـر حـتى عـن الاختـلاف في الديـن معهمـا، فعـن أَسْـمَاءَ بِنْـتِ أبي بَكْـرٍ، رضي اللـه عنهمـا، قالـت: (قَدِمَـتْ عَـلَيَّ أُمِّـي، وَهِـيَ مُشْرِكَـةٌ في عَهْـدِ رسـول اللَّـهِ، صـلى اللـه عليـه وسـلم ، فَاسْـتَفْتَيْتُ رَسُـولَ اللَّـهِ، صـلى اللـه عليـه وسـلم ، قلـت: وَهِـيَ رَاغِبَـةٌ، أَفَأَصِـلُ أُمِّـي؟ قـال: نعـم ، صِـلِي أُمَّـكِ) [3]

1. صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب، باب رغم أنف من أدرك أبويه أو أحدهما عند الكبر فلم يدخل الجنة.
2. صحيح مسلم بشرح النووي 16/ 108 - 109.
3. صحيح البخاري، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب الهدية للمشركين.

فالرسول، صلى الله عليه وسلم، أجاب سائلته عن صلة أمها المشركة بالإيجاب، ومما يستفاد منه جواز صلة الرحم الكافرة، كالرحم المسلمة، وفيه مستدل لمن رأى وجوب النفقة للأب الكافر، والأم الكافرة، على الولد المسلم.[1]

ولم تكن قصة أسماء وبر أمها المشركة بالنادرة، ففي هذا السياق يرد التوجيه القرآني إلى بر الوالدين، ليس وهما مشركان فحسب، بل وهما يمارسان ضغوطاً على ابنهما المؤمن؛ ليكفر بالإسلام، فعن مُصْعَبُ بن سَعْدٍ، عن أبيه، (أَنَّهُ نَزَلَتْ فيه آيَاتٌ من القُرْآنِ، قال: حَلَفَت أُمُّ سَعْدٍ أَنْ لا تُكَلِّمَهُ أَبَدًا حتى يَكْفُرَ بِدِينِهِ، ولا تَأْكُلَ ولا تَشْرَبَ، قالت: زَعَمْتَ أَنَّ اللَّهَ وَصَّاكَ بِوَالِدَيْكَ، وأنا أُمُّكَ، وأنا آمُرُكَ بهذا، قال: مَكَثَتْ ثَلَاثًا حتى غُشِيَ عليها من الْجَهْدِ، فَقَامَ ابن لها، يُقَالُ له عُمَارَةُ، فَسَقَاهَا، فَجَعَلَتْ تَدْعُو على سَعْدٍ، فَأَنْزَلَ الله عز وجل في الْقُرْآنِ هذه الآيَةَ: {وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لتشرك بي} وَفِيهَا {وَصَاحِبْهُمَا في الدُّنْيَا مَعْرُوفًا})[2]

التوجيه القرآني لمن يجاهده والداه أو أحدهما ليكفر، وينحرف عن جادة الحق، جاء في موضعين، قرن رفض طاعتهما فيما يريدان، مع التوصية بالإحسان إليهما، فيقول عز وجل: {وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}[3]

وفي سورة لقمان، يقول تعالى: {وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ* وَإِن جَاهَدَاكَ عَلى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}[4]

وضرب أبو هريرة مثلاً رائعاً في بر والدته قبل أن تسلم، فيقول: (كنت أَدْعُو أُمِّي إلى الإِسْلامِ، وَهِيَ مُشْرِكَةٌ، فَدَعَوْتُهَا يَوْمًا، فأسمعتني في رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، ما

1. عمدة القاري: 13 /173.
2. صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، رضي الله تعالى عنهم، باب في فضل سعد بن أبي وقاص، رضي الله عنه.
3. العنكبوت: 8.
4. لقمان:14 - 15.

أَكْرَهُ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، وأنا أَبْكِي، قلت: يا رَسُولَ اللَّهِ، إني كنت أَدْعُو أُمِّي إلى الإِسْلامِ فَتَأْبَى عَلَيَّ، فَدَعَوْتُهَا اليَوْمَ، فأسمعتني فِيكَ ما أَكْرَهُ، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَهْدِيَ أُمَّ أبي هُرَيْرَةَ، فقال رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم: اللهم اهْدِ أُمَّ أبي هُرَيْرَةَ، فَخَرَجْتُ مُسْتَبْشِرًا بِدَعْوَةِ نَبِيِّ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، فلما جِئْتُ فَصِرْتُ إلى الْبَابِ، فإذا هو مُجَافٌ، فَسَمِعَتْ أُمِّي خَشْفَ قَدَمَيَّ، فقالت: مَكَانَكَ يا أَبَا هُرَيْرَةَ، وَسَمِعْتُ خَضْخَضَةَ الْمَاءِ، قال: فَاغْتَسَلَتْ، وَلَبِسَتْ دِرْعَهَا، وَعَجِلَتْ عن خِمَارِهَا، فَفَتَحَتْ الْبَابَ، ثُمَّ قالت: يا أَبَا هُرَيْرَةَ، أشهد أن لا إِلَهَ إلا الله، وأشهد أن مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، قال: فَرَجَعْتُ إلى رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، فَأَتَيْتُهُ، وأنا أَبْكِي من الْفَرَحِ...) (*)

فالإسلام أعطى مساحة واسعة للاهتمام ببر الوالدين، وشن حرباً قاسية على عقوقهما، حتى إنه اعتبر التسبب بسبهما خطيئة، بل كبيرة من الكبائر، وبما أن المجال ضاق بعرض مزيد من جوانب الحث على بر الوالدين، فنكتفي بما تم عرضه، عسى أن تتحقق به الأهداف المرجوة منه، في تحقيق العناية بالوالدين وبرهما حسب ما جاء في القرآن الكريم، وسنة الرسول، صلى الله عليه وسلم، وعلى آله الطاهرين، وأزواجه أجمعين، وأصحابه الغر الميامين، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

* صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل أبي هريرة الدوسي، رضي الله عنه.

الرسول الأسوة ﷺ

محمد، صلى الله عليه وسلم

يحذر من آفات اللسان

الحلقة الأولى

عن أبي هُرَيْرَةَ، عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: (إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ من رِضْوَانِ اللَّهِ، لا يُلْقِي لها بَالًا يرفعه الله بها دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ من سَخَطِ اللَّهِ، لا يُلْقِي لها بَالًا يهوي بها في جَهَنَّمَ)[1]

اللسان يؤدي دوراً غاية في الأهمية للناس، وتواصلهم، وقضاء حاجاتهم، والتعبير عن أفكارهم، وهو كسائر الأعضاء يستخدم للخير والشر، وشتان بين الاستخدامين، والحديث أعلاه يوضح مآل الاستخدامين في الآخرة، فالله يرفع درجات المتكلم ومقامه بما يرضيه سبحانه، بخلاف الذي يستخدم لسانه في سخط الله، فإن جزاء هذا النوع من الاستخدام الارتماء في أحضان جهنم، وبئس المصير.

شرح ألفاظ الحديث الشريف:

جاء في عمدة القاري، أن قوله: (من رِضْوَانِ اللَّهِ)؛ أي مما يرضي الله به، قوله: (لا يُلْقِي) بضم الياء من الإلقاء، أي لا يلتفت إليها خاطره، ولا يعتد بها، ولا يبالي بها، ومعنى البال هنا القلب، قوله: (يرفع الله بها)، وفي رواية الأكثرين (يرفع الله بها دَرَجَاتٍ) وفي رواية (يرفعه الله بها درجات) قوله: (من سَخَطِ اللَّهِ) يعني مما لا يرضى به، قوله: (يهوي) بفتح الياء، وسكون الهاء وكسر الواو، وقال عياض: ينزل فيها ساقطاً، وقد جاء بلفظ يزل بها في النار؛ لأن دركات النار إلى أسفل، فهو نزول سقوط، وقيل: أهوى من قريب، وهوى من بعيد.[2]

1. صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان.

2. عمدة القاري: 23 /72.

أهمية اللسان:

اللسان آية من آيات الله العظيمة، التي تتجلى فيها القدرة الربانية في خلق هذا الجزء المهم من أجزاء الإنسان، والذي يعبر بواسطته عن أفكاره وحاجاته، وينطق بما يريد قوله، وباللغة المتاحة، واللسان الذي ينطق بلغة، يمكن أن ينطق بلغات أخرى إذا أتيح لصاحبه تعلمها، وهو يتحرك بأمر الدماغ بصورة متناهية في السرعة ليؤدي وظيفته، التي يغفل كثيرون عن التدبر في أسرارها العجيبة، وقد ذكر الله اللسان ضمن آياته الباهرة الدالة على عظمة خلقه، فقال جل شأنه: {وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ}[1]

وذكر اللسان في مواضع قرآنية عديدة، وقصد به اللغة التي ينطق بها الخلق، فقال عز وجل: {فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ}[2]، والمقصود بالميسر بلسان النبي، صلى الله عليه وسلم، هنا هو القرآن الكريم، الذي يقول فيه سبحانه كذلك: {وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ العَالَمِينَ* نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ* عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ المُنذِرِينَ* بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ}[3]

وموسى، عليه السلام، سأل الله سبحانه فصاحة اللسان، ليفقه المخاطبون قوله، فقال تعالى عن ذلك: {قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي* وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي* وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي* يَفْقَهُوا قَوْلِي}[4]، وسأل موسى، عليه السلام، كذلك الله أن يسعفه الله بأخيه هارون؛ لأنه أفصح لساناً منه، وعن هذا يقول عز وجل: {وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءاً يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ}[5]

أهمية الكلمة وخطورتها:

جاء في مرقاة المفاتيح أن العبد لا يعرف قدر الكلمة التي يتلفظ بها، ويظنها هينة، قليلة الاعتبار، وهي عند الله عظيمة الاقتدار، والمعنى لا يجد لها عظمة عنده، ولا يلتفت إلى عاقبتها عند ربه، وفيه حث على التدبر والتفكر عند التكلم، فالمتكلم يظن أنه لا يلحقه بأس

1. البلد: 9.
2. الدخان: 58.
3. الشعراء:192 - 195.
4. طه:25 - 28.
5. القصص:34.

وتعب في قول الكلمة أولاً، ولا يحضر باله؛ أي قلبه لما يقوله منها، أو هو من قولهم ليس هذا من بالي، أو مما أباليه، والمعنى أنه يتكلم بكلمة الحق، يظنها قليلة، وهي عند الله جليلة، فيحصل له.[1]

والقرآن الكريم تطرق إلى بيان أهمية الكلمة، حين تستخدم في خدمة الحق والخير، وخطورتها حين تستخدم في الشر والباطل والإثم، ومن نماذج الكلمة الطيبة كلمة التقوى، التي ذكرها الله في قوله عز وجل: {إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً}[2]

وبراءة إبراهيم من الشرك، جعلها كلمة باقية في عقبه، {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاء مِّمَّا تَعْبُدُونَ* إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ* وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}[3]

والرسول، صلى الله عليه وسلم، حدد غاية الجهاد في سبيل الله، بالذي يكون هدفه إعلاء كلمته سبحانه، فقال صلى الله عليه وسلم: (مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ العُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)[4]

أما الكلمة الخبيثة الضالة، فذكر الله من نماذجها في قوله عز وجل: {وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً* مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلا لآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِباً}[5]

فهذه مقدمة عن اللسان، وأنواع الكلمات، التي ينطق بها، عسى أن ييسر الله عز وجل متابعة الوقوف عند جوانب أخرى من متعلقات هذا الموضوع، حسب ما جاء في القرآن الكريم، وفي سنة نبينا الكريم محمد، صلى الله عليه وسلم، وعلى آله الطاهرين، وأزواجه أجمعين، وأصحابه الغر الميامين، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

---

1. مرقاة المفاتيح: 9 /53.
2. الفتح: 26.
3. الزخرف:26 - 28.
4. صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا.
5. الكهف:4 - 5.

محمد، صلى الله عليه وسلم
يحذر من آفات اللسان
الحلقة الثانية

عن أبي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، قال: (إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ ما يَتَبَيَّنُ ما فيها، يهوي بها في النَّارِ أَبْعَدَ ما بين المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ)[1]

تعرضت الحلقة السابقة إلى بيان أهمية اللسان، فهو آية من آيات الله العظيمة، التي تتجلى فيها القدرة الربانية في خلق هذا الجزء المهم من أجزاء الإنسان، والذي يعبر بواسطته عن أفكاره وحاجاته وينطق بما يريد قوله، وباللغة المتاحة، واللسان الذي ينطق بلغة يمكن أن ينطق بلغات أخرى إذا أتيح لصاحبه تعلمها، وهو يتحرك بأمر الدماغ بصورة متناهية في السرعة ليؤدي وظيفته، التي يغفل كثيرون عن التدبر في أسرارها العجيبة.

وعن استخدامات اللسان، ومآل كل منها، بينت الحلقة أن اللسان يؤدي دوراً غاية في الأهمية للناس وتواصلهم وقضاء حاجاتهم، والتعبير عن أفكارهم، وهو كسائر الأعضاء يستخدم للخير والشر، وشتان بين الاستخدامين، وتعرضت الحلقة السابقة أيضاً لأهمية الكلمة وخطورتها، في ضوء ما نبهت إليه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، ومنها حديث أبي هريرة أعلاه، والذي يبين أن كلمة قد يتكلم بها العبد فتهوي به في نار جهنم، أَبْعَدَ ما بين الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، أي هوياً أبعد من البعد الذي بينهما.[2]

المسؤولية عن استخدام الجوارح والحواس:

يتفق التحذير الوارد في الحديث أعلاه بشأن مآلات سوء الكلام، مع التحذيرات الواسعة من سوء استخدام الجوارح والحواس الخاصة بكل إنسان، فالله تعالى يقول: {وَلاَ

1. صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب التكلم بالكلمة يهوي بها في النار.

2. مرقاة المفاتيح: 9/ 54.

تَقْـفُ مَـا لَيْـسَ لَـكَ بِـهِ عِلْـمٌ إِنَّ السَّـمْعَ وَالْبَـصَرَ وَالْفُـؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْـهُ مَسْـؤُولاً}[1]

فهـذه الآيـة الكريمـة تنهـى عـن اتّبـاع الإنسـان مـا ليـس لـه بـه علـم، ويشـمل ذلـك قولـه (رأيـت ولـم يـرَ، وسـمعت ولـم يسـمع، وعلمـت ولـم يعلـم)، ويدخـل فيـه كل قـول بـلا علـم، وأن يعمـل الإنسـان بمـا لا يعلـم، وقـد أشـار جـل وعـلا إلى هـذا المعـنى في آيـات أخـر، كقولـه تعـالى: {إِنَّمَـا يَأْمُرُكُـمْ بِالسُّـوءِ وَالْفَحْشَـاء وَأَن تَقُولُـواْ عَـلَى اللّـهِ مَـا لاَ تَعْلَمُـونَ}[2].[3]

فالمسـلم مطالـب بضبـط جوارحـه لتعمـل في طاعـة اللـه، والبعـد عـن سـخطه، وهـو محاسـب عـلى ذلـك يـوم الديـن، وقـد نبـه سـبحانه إلى ذلـك في آيـات قرآنيـة، منهـا قولـه تعالى:{وَلَقَـدْ خَلَقْنَـا الإِنسَـانَ وَنَعْلَـمُ مَـا تُوَسْـوِسُ بِـهِ نَفْسُـهُ وَنَحْـنُ أَقْـرَبُ إِلَيْـهِ مِـنْ حَبْـلِ الْوَرِيـدِ* إِذْ يَتَلَقَّـى الْمُتَلَقِّيَـانِ عَـنِ الْيَمِـينِ وَعَـنِ الشِّـمَالِ قَعِيـدٌ* مَـا يَلْفِـظُ مِـن قَـوْلٍ إِلا لَدَيْـهِ رَقِيـبٌ عَتِيـدٌ}[4]

وتفسـير قولـه تعـالى: {مَـا يَلْفِـظُ مِـن قَـوْلٍ} أي مـا يرمـى بـه مـن فيـه، مـن خـير أو شر، {إِلا لَدَيْـهِ رَقِيـبٌ}؛ أي ملـك يرقـب قولـه ويكتبـه، فـإن كان خـيراً، فهـو صاحـب اليمـين بعينـه، وإلا فهـو صاحـب الشـمال، ووجـه تغيـير العنـوان غـني عـن البيـان والإفـراد، مـع وقوفهمـا معـاً عـلى مـا صـدر عنـه، لمـا أن كلاً منهمـا رقيـب لمـا فـوض إليـه، لا لمـا فـوض إلى صاحبـه، كمـا ينبـأ عنـه قولـه تعالى:{عَتِيـدٌ} أي معـد مهيئـاً لكتابـة مـا أمـر بـه مـن الخـير أو الـشر.[5]

ليس كل ما يُعلم يقال:

مـن مقتـضى المسـؤولية عـن الجـوارح والحـواس، التقيـد باسـتقاء الأخبـار مـن مصادرهـا الموثوقـة، والتأكـد مـن خلـو النـشر مـن الموانـع والأضرار، فالمعلومـة حـتى لـو كانـت صحيحـة وصادقـة، إلا أن نشرهـا دون مراعـاة للمصالـح العامـة والخاصـة، قـد يـضر بالمجتمـع أو بعـض شرائحـه، مـن هنـا كان النقـد لاذعـاً لمذيعـي الأخبـار خـارج نطـاق الأصـول الشرعيـة الـتي ينبغـي

1. الإسراء: 36.
2. البقرة:169.
3. أضواء البيان: 3/ 145.
4. ق:16 - 18.
5. تفسير أبي السعود: 8/ 129.

أن تُراعى، فقال تعالى: {وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً}[1]

جاء في التفسير، أن المقصود بالفئة المنتقدة في هذه الآية الكريمة هم المنافقون، وقيل: قوم من ضعفاء المسلمين، كانوا إذا بلغهم خبر عن السرايا والجيوش أو غير ذلك، أذاعوا به، أي تكلموا به، وشهروه قبل أن يعلموا صحته، وكان في إذاعتهم له مفسدة على المسلمين، مع ما في ذلك من العجلة، وقلة التثبت، فأنكر الله ذلك عليهم، {وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُم}؛ أي لو ترك هؤلاء القوم الكلام بذلك الأمر الذي بلغهم، وردوه إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وإلى أولي الأمر، وهم كبراء الصحابة، وأهل البصائر منهم، لعلمه القوم الذين يستنبطونه، أي يستخرجونه من الرسول وأولي الأمر، فالذين يستنبطونه على هذا طائفة من المسلمين، يسألون عنه الرسول، صلى الله عليه وسلم، وأولي الأمر.[2]

وتشهد لأهمية التروي في نشر الأخبار والانضباط في ذلك، أدلة كثيرة من التاريخ والسيرة والواقع الحاضر، راجين أن ييسر الله عز وجل عرض بعضها في ثنايا متابعة الحديث عن التحذير من آفات اللسان، حسب ما جاء في القرآن الكريم، وعن نبينا الكريم محمد، صلى الله عليه وسلم، وعلى آله الطاهرين، وأزواجه أجمعين، وأصحابه الغر الميامين، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

1. النساء: 83.

2. التسهيل لعلوم التنزيل، 1/ 149 - 150.

محمد، صلى الله عليه وسلم
يحذر من آفات اللسان
الحلقة الثالثة

عـن أبي هريـرة، قـال: قـال رسـول اللَّـهِ، صـلى اللـه عليـه وسـلم: (كَفَـى بِالْمَـرْءِ كَذِبًـا أَنْ يُحَـدِّثَ بِـكُلِّ مـا سـمع)[1]

تعرضت الحلقة السابقة للحديث عن المسؤولية عن استخدام الجوارح والحواس، مع التنبيه إلى أن المسلم مطالب بضبط جوارحه، لتعمل في طاعة الله، والبعد عن سخطه، وهو يعلم أن ما يصدر عنها سيحاسب عليه يوم الدين، فمَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ، ومن مقتضى المسؤولية عن الجوارح والحواس التقيد باستقاء الأخبار من مصادرها الموثوقة، والتأكد من خلو النشر من الموانع والأضرار، وليس كل ما يعلم يقال، فالمعلومة حتى لو كانت صحيحة وصادقة، إلا أن نشرها دون مراعاة للمصالح العامة والخاصة، قد يضر بالمجتمع أو بعض شرائحه، من هنا كان النقد لاذعاً لمذيعي الأخبار خارج نطاق الأصول الشرعية، التي ينبغي أن تراعى، ومن الأدلة الشرعية على أهمية التروي في نشر الأخبار والانضباط في ذلك، الحديث الشريف المثبت نصه أعلاه، والذي يحذر فيه الرسول، صلى الله عليه وسلم، بوضوح من الاسترسال في نشر ما يسمع من الكلام، معتبراً ذلك من الآثام والخطايا.

يقول النووي: الحديث والآثار التي فيها الزجر عن التحديث بكل ما يسمع الإنسان، فإنه يسمع في العادة الصدق والكذب، فإذا حدث بكل ما سمع، فقد كذب؛ لإخباره بما لم يكن، ومذهب أهل الحق أن الكذب الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو، ولا يشترط فيه التعمد، لكن التعمد شرط في كونه إثماً، والله أعلم.[2]

1. صحيح مسلم، المقدمة، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع.

2. صحيح مسلم بشرح النووي: 1 /75.

فإذا كان التحدث بكل المسموع يُلحق بالمتحدث الإثم، فكيف بالذين يضيفون لما يسمعون الكذب والزور والبهتان؟!! فبعض الناس يتقنون مهارة تضخيم الأخبار، فيختلقون من عند أنفسهم الإضافات الآثمة، المناقضة للحقيقة والواقع، والتي قد تمس أعراض الأبرياء، وتطال من أحوال الخلق وحقوقهم، وفي القرآن الكريم وعيد للمفترين، منه ما جاء على لسان موسى، عليه السلام، وفق قوله تعالى: {قَالَ لَهُم مُّوسَى وَيْلَكُمْ لا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِباً فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى}[1]، وفي المقابل؛ فإن القرآن الكريم يحث على انتقاء القول السديد، فيقول تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً}[2]

يقول الرازي: (أَرْشَدَهُمْ إِلَى مَا يَنْبَغِي أَنْ يَصْدُرَ مِنْهُمْ مِنَ الأَفْعَالِ وَالأَقْوَالِ، أَمَّا الأَفْعَالُ فَالْخَيْرُ، وَأَمَّا الأَقْوَالُ فَالْحَقُّ، لِأَنَّ مَنْ أَتَى بِالْخَيْرِ وَتَرَكَ الشَّرَّ، فَقَدِ اتَّقَى اللَّهَ، وَمَنْ قَالَ الصِّدْقَ قَالَ قَوْلًا سَدِيدًا، ثُمَّ وَعَدَهُمْ عَلَى الْأَمْرَيْنِ بِأَمْرَيْنِ: عَلَى الْخَيْرَاتِ بِإِصْلاحِ الأَعْمَالِ، فَإِنَّ بِتَقْوَى اللَّهِ يَصْلُحُ الْعَمَلُ، وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يُرْفَعُ وَيَبْقَى، فَيَبْقَى فَاعِلُهُ خَالِدًا فِي الْجَنَّةِ، وَعَلَى الْقَوْلِ السَّدِيدِ بِمَغْفِرَةِ الذُّنُوبِ).[3]

كف اللسان عن إيذاء الناس:

عن أبي مُوسَى، رضي الله عنه، قال: (قالوا: يا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الإِسْلامِ أَفْضَلُ؟ قال: من سَلِمَ المُسْلِمُونَ من لِسَانِهِ وَيَدِه)[4]

يقول صاحب فيض القدير: فإيذاء المسلم من نقصان الإسلام، والإيذاء ضربان، ضرب ظاهر بالجوارح، كأخذ المال بنحو سرقة، أو نهب، وضرب باطن، كالحسد، والغل، والبغض، والحقد، والكبر، وسوء الظن، والقسوة، ونحو ذلك، فكله مضر بالمسلم، مؤذ له، وقد أمر الشرع بكف النوعين من الإيذاء، وهلك بذلك خلق كثير.[5]

---

1. طه: 61.
2. الأحزاب: 70.
3. تفسير الرازي: 25 /186.
4. صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب أي الإسلام أفضل.
5. فيض القدير: 6 /271.

وفي حاشية السندي على سنن النسائي: (مَن سَلِمَ المُسْلِمُونَ) من لا يؤذي أحداً بوجه من الوجوه، لا باليد ولا باللسان.[1]

السلامة والنجاة في حفظ اللسان:

من الأحاديث الشريفة في بيان السلامة والنجاة من آفات اللسان، قوله صلى الله عليه وسلم: (من يَضْمَنْ لِي ما بين لَحْيَيْهِ، وما بين رِجْلَيْهِ، أَضْمَنْ له الجَنَّةَ)[2]

يبين العيني، أن إطلاق الضمان عليه في قوله: (من يَضْمَنْ لِي) مجاز، إذ المراد لازم الضمان، وهو أداء الحق الذي عليه، قوله: (ما بين لَحْيَيْهِ)، تثنية لحي، وهما العظمان في جانبي الفم، والمراد بما بينهما وهو اللسان، (وما بين رِجْلَيْهِ) الفرج، قوله: (أَضْمَنْ له الْجَنَّةَ) بالجزم؛ لأنه جواب الشرط، وفيه أن أعظم البلاء على العبد في الدنيا، اللسان والفرج، فمن وقي من شرهما، فقد وقي أعظم الشر.[3]

ويقول صلى الله عليه وسلم:(من كان يُؤْمِنُ بِاللَّهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْرًا، أو لِيَصْمُتْ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: {ما يَلْفِظُ من قَوْلٍ إلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ})[4]

يقول ابن حجر العسقلاني: وهذا من جوامع الكلم؛ لأن القول كله إما خير، وإما شر، وإما آيل إلى أحدهما، فدخل في الخير كل مطلوب من الأقوال، فرضها وندبها، فأذن فيه على اختلاف أنواعه، ودخل فيه ما يؤول إليه، وما عدا ذلك مما هو شر، أو يؤول إلى الشر، فأمر عند إرادة الخوض فيه بالصمت.[5]

راجين أن ييسر الله عز وجل متابعة الحديث عن التحذير من آفات اللسان، حسب ما جاء في القرآن الكريم، وعن نبينا الكريم محمد، صلى الله عليه وسلم، وعلى آله الطاهرين، وأزواجه أمهات المؤمنين، وأصحابه الغر الميامين، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

---

1. حاشية السندي على سنن النسائي: 8 /105.
2. صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان.
3. عمدة القاري: 23 /71.
4. صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان.
5. فتح الباري: 10/ 446.

محمد، صلى الله عليه وسلم
يحذر من آفات اللسان
الحلقة الرابعة

عن حُذَيْفَةَ، أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ رَجُلاً يَنُمُّ الحديث، فقال حُذَيْفَةُ: (سمعت رَسُولَ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، يقول: لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَّامٌ)[1]

وقفت الحلقة السابقة عند بعض الأدلة الشرعية الدالة على أهمية التروي في نشر الأخبار، ومن ذلك تحذير الرسول، صلى الله عليه وسلم، من الاسترسال في نشر كل ما يسمع من الكلام، دون التقيد بضوابط النشر، معتبراً ذلك من الآثام والخطايا، فكيف بالذين يضيفون لما يسمعون الكذب والزور والبهتان؟!!

وتعرضت الحلقة كذلك إلى مسألة كف اللسان عن إيذاء الناس، التي هي من أمارات إسلام المسلم، وإيذاؤه من علامات نقصان إسلامه، مبينة أن السلامة والنجاة في حفظ اللسان، والرسول، صلى الله عليه وسلم، ضمن لمن يَضْمَنْ له ما بين لَحْيَيْهِ، وما بين رِجْلَيْهِ الْجَنَّةَ، وحث من كان يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ على أن يَقُلْ خَيْرًا أو يَصْمُتْ.

النميمة:

الحديث الشريف أعلاه يحذر من إحدى آفات اللسان الخطيرة، تلكم هي النميمة، وما أدراكم ما النميمة؟ تلك التي يسعى صاحبها إلى الإفساد بين الناس، من خلال نقله الكلام عن بعضهم إلى بعض للإيقاع بينهم، أو زيادة نطاق الشرخ بين المتخاصمين منهم، وينقل النووي عن العلماء قولهم: النميمة نقل كلام الناس بعضهم إلى بعض، على جهة الإفساد بينهم.[2]

---

1. صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم النميمة.
2. صحيح مسلم بشرح النووي: 2/ 112.

وأخرج مسلم في صحيحه في الباب الذي أخرج فيه الحديث أعلاه، رواية عن هَمَّامِ بن الْحَارِثِ، قال: (كان رَجُلٌ يَنْقُلُ الحديث إلى الأَمِيرِ، فَكُنَّا جُلُوسًا في الْمَسْجِدِ، فقال الْقَوْمُ: هذا مِمَّنْ يَنْقُلُ الحديث إلى الأَمِيرِ، قال: فَجَاءَ حتى جَلَسَ إِلَيْنَا، فقال حُذَيْفَةُ، سمعت رَسُولَ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، يقول: لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَّاتٌ)[1]، ومعنى (قتات) أي نمام، وقيل: الفرق بين القتات والنمام؛ أن النمام الذي يحضر القصة فينقلها، والقتات الذي يتسمع من حيث لا يعلم، ثم ينقل ما سمعه.[2]

يقول الغزالي: اعلم أن اسم النميمة إنما يطلق في الأكثر على من ينم قول الغير إلى المقول فيه، وليست النميمة مختصة به، بل حدها كشف ما يكره كشفه، سواء كرهه المنقول عنه، أو المنقول إليه، أو كرهه ثالث، وسواء كان الكشف بالقول أو بالكتابة أو بالرمز أو بالإيماء، وسواء كان المنقول من الأعمال أو من الأقوال، وسواء كان ذلك عيباً ونقصاً في المنقول عنه، أو لم يكن، بل حقيقة النميمة إفشاء السر، وهتك الستر عما يكره كشفه، بل كان ما رآه الإنسان من أحوال الناس مما يكره، فينبغي أن يسكت عنه، إلا ما في حكايته فائدة لمسلم، أو دفع لمعصية.[3]

المشاء بنميم وحمالة الحطب:

ذم الله سالكي درب النميمة، فقال عز وجل: {وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلافٍ مَّهِينٍ* هَمَّازٍ مَّشَّاء بِنَمِيمٍ}[4]، والمشاء بنميم، أي كثير المشي بالنميمة، يقال نميم ونميمة بمعنى واحد.[5]

وتوعد سبحانه امرأة أبي لهب بحبل من مسد يوم القيامة، مقدماً لذلك بوصفها بأنها حمالة الحطب، فقال تعالى: {وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ* فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ}[6]

جاء في التفسير، أن في وصفها بحمالة الحطب، أربعة أقوال، أحدها: أنها كانت تحمل حطباً وشوكاً، فتلقيه في طريق النبي، صلى الله عليه وسلم، لتؤذيه، الثاني: أن ذلك عبارة عن مشيها بالنميمة، يقال: فلان يحمل الحطب بين الناس، أي يوقد بينهم نار العداوة بالنمائم،

1. صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم النميمة.
2. فتح الباري:10/ 473.
3. إحياء علوم الدين:3 /156
4. القلم:10 - 11.
5. التسهيل لعلوم التنزيل:4/ 138.
6. المسد:4 - 5.

الثالث: أنه عبارة عن سعيها بالمضرة على المسلمين، يقال: فلان يحطب على فلان، إذا قصد الإضرار به، الرابع: أنه عبارة عن ذنوبها، وسوء أعمالها.[1]

فالمشي بالنميمة يشبه حمل الحطب لإشعال الحرائق، وهو يشعل نار الفتن والبغضاء والأحقاد بين الناس.

توجيهات لمن تنقل إليه النميمة:

يقول الإمام الغزالي: وكل من حملت إليه النميمة، وقيل له: إن فلاناً قال فيك كذا وكذا، أو فعل في حقك كذا، أو هو يدبر في إفساد أمرك، أو في ممالاة عدوك، أو تقبيح حالك، أو ما يجري مجراه، فعليه ستة أمور:

الأول: أن لا يصدقه؛ لأن النمام فاسق، وهو مردود الشهادة.

الثاني: أن ينهاه عن ذلك، وينصح له، ويقبح عليه فعله.

الثالث: أن يبغضه في الله تعالى، فإنه بغيض عند الله تعالى.

الرابع: أن لا تظن بأخيك الغائب السوء.

الخامس: أن لا يحملك ما حكى لك على التجسس، والبحث.

السادس: أن لا ترضى لنفسك ما نهيت النمام عنه، ولا تحكي نميمته، فتقول: فلان قد حكى لي كذا وكذا، فتكون به نماماً ومغتاباً، وقد تكون قد أتيت ما عنه نهيت.

وعن الحسن، قال: من نم إليك نم عليك، وهذا إشارة إلى أن النمام ينبغي أن يبغض، ولا يوثق بقوله، ولا بصداقته.[2]

آملين متابعة الحديث عن التحذير من آفات اللسان، حسب هدي القرآن الكريم، وسنة نبينا الكريم، محمد، صلى الله عليه وسلم، وعلى آله الطاهرين، وأزواجه أمهات المؤمنين، وأصحابه الغر الميامين، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

1. التسهيل لعلوم التنزيل:4 /222.

2. إحياء علوم الدين:3/ 156.

محمد، صلى الله عليه وسلم
يحذر من آفات اللسان
الحلقة الخامسة

عن سُلَيْمَانَ بن بُرَيْدَةَ، عن أبيه، قال: (جاء مَاعِزُ بن مَالِكٍ إلى النبي، صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رَسُولَ اللَّهِ، طَهِّرْنِي، فقال: وَيْحَكَ، ارْجِعْ فَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ، وَتُبْ إليه، قال: فَرَجَعَ غير بَعِيدٍ، ثُمَّ جاء، فقال: يا رَسُولَ اللَّهِ، طَهِّرْنِي، فقال رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، وَيْحَكَ، ارْجِع فَاسْتَغْفِرْ اللَّهَ، وَتُبْ إليه، قال: فَرَجَعَ غير بَعِيدٍ، ثُمَّ جاء، فقال: يا رَسُولَ اللَّهِ؛ طَهِّرْنِي، فقال النبي، صلى الله عليه وسلم، مِثْلَ ذلك، حتى إذا كانت الرَّابِعَةُ، قال له رسول اللَّهِ: فيمَ أُطَهِّرُكَ؟ فقال: من الزِّنَى. فَسَأَلَ رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم: أَبِهِ جُنُونٌ؟ فَأُخْبِرَ أَنَّهُ ليس بِمَجْنُونٍ، فقال: أَشَرِبَ خَمْرًا؟ فَقَامَ رَجُلٌ فَاسْتَنْكَهَهُ، فلم يَجِدْ منه رِيحَ خَمْرٍ، قال: فقال رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم: أَزَنَيْتَ؟ فقال: نعم، فَأَمَرَ بِهِ فَرُجِمَ، فَكَانَ الناس فيه فِرْقَتَيْنِ، قَائِلٌ يقول: لقد هَلَكَ، لقد أَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ، وَقَائِلٌ يقول: ما تَوْبَةٌ أَفْضَلَ من تَوْبَةِ مَاعِزٍ؛ أَنَّهُ جاء إلى النبي، صلى الله عليه وسلم، فَوَضَعَ يَدَهُ في يَدِهِ، ثُمَّ قال: اقْتُلْنِي بِالحِجَارَةِ، قال: فَلَبِثُوا بِذَلِكَ يَوْمَيْنِ، أو ثَلاثَةً، ثُمَّ جاء رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، وَهُمْ جُلُوسٌ، فَسَلَّمَ، ثُمَّ جَلَسَ، فقال: اسْتَغْفِرُوا لِمَاعِزِ بن مَالِكٍ، قال: فَقَالُوا: غَفَرَ الله لِمَاعِزِ بنِ مَالِكٍ، قال: فقال رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، لقد تَابَ تَوْبَةً لو قُسِمَتْ بين أُمَّةٍ لَوَسِعَتْهُمْ، قال: ثُمَّ جَاءَتْهُ امْرَأَةٌ من غَامِدٍ من الأَزْدِ، فقالت: يا رَسُولَ اللَّهِ، طَهِّرْنِي، فقال: وَيْحَكِ، ارْجِعِي فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ، وَتُوبِي إليه، فقالت: أَرَاكَ تُرِيدُ أَنْ تُرَدِّدَنِي كما رَدَّدْتَ مَاعِزَ بن مَالِكٍ، قال: وما ذَاكِ؟ قالت إِنَّهَا حُبْلَى من الزِّنَى، فقال: آنْتِ؟ قالت: نعم، فقال لها: حتى تَضَعِي ما في بَطْنِكِ، قال: فَكَفَلَهَا رَجُلٌ من الْأَنْصَارِ، حتى وَضَعَتْ، قال: فَأَتَى النبي، صلى الله

عليه وسلم، فقال: قد وَضَعَت الغَامِدِيَّةُ، فقال: إِذًا لا نَرْجُمُهَا وَنَدَعُ وَلَدَهَا صَغِيرًا، ليس له من يُرْضِعُهُ، فَقَامَ رَجُلٌ من الأَنْصَارِ، فقال: إِلَيَّ رَضَاعُهُ يا نَبِيَّ اللَّهِ، قال: فَرَجَمَهَا)[1]

تعرضت الحلقة السابقة للحديث عن آفة من أخطر آفات اللسان، تلكم هي النميمة، التي يراد بها السعي بالإفساد بين الناس من خلال نقل الكلام عن بعضهم إلى بعض، وأطلق على صاحبها وصف القتات، والذي يعني النمام في بعض أحواله، والنمام والقتات حرم عليهما دخول الجنة، حسب ما جاء في الأحاديث الصحيحة من وعيدهما بذلك، إضافة لما جاء بالخصوص في القرآن الكريم، ومن ذلك ذم المشاء بنميم، وحمالة الحطب، وتم اقتباس بعض توجيهات الغزالي لمن تنقل إليه النميمة، والتي تدل على ضرورة اتخاذ المواقف الصارمة منها للوقاية من شرها وتبعاتها.

التثبت والتحقق قبل النطق:

وضع الإسلام منظومة من القيم، حثَّ على التحلي بها لتحقيق ضبط الكلام، والنجاة من سوء استخدام اللسان، ومن ذلك الحث على التثبت، والتحقق من صدق الأخبار، قبل النطق بالكلام، فقال عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ}[2]

الفاسق هاهنا هو الكذاب، وأما في اللغة فهو الخارج عن طاعة الله، وقوله: {فَتَبَيَّنُوا} معناه التدبر، والتأني في الأمر، وترك العجلة، وقوله: {أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ} معناه، لئلا تصيبوا قوماً بجهالة، ومعنى الإصابة هاهنا هو الإصابة من الدم والمال، بالقتل والأسر والاغتنام، وقوله: {فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ}؛ أي تصيروا نادمين على فعلكم، وليس المراد منه الإصباح للذي هو ضد الإمساء.[3]

---

1. صحيح مسلم، كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنى.
2. الحجرات: 6.
3. تفسير السمعاني: 5 /217

والحديث أعلاه عن ماعز، يظهر ممارسة الرسول، صلى الله عليه وسلم، للتروي في استقاء الأخبار، قبل النطق في الأحكام عليها، حتى وهي ترد على سبيل الإقرار من أصحاب الجرم، فلعل المقر غير عاقل، أو التبست عليه الأمور، فما سأل النبي، صلى الله عليه وسلم، عن الأمر الذي طلب ماعز أن يطهره منه، إلا بعد تكرار إصراره على ذلك أربع مرات متتالية، مما يؤكد أهمية التيقن من الأخبار، وبخاصة تلك التي تُبنى عليها الأحكام والإدانات. ولم يكن التثبت خاصاً بحالة ماعز، بل تكرر مع الغامدية من بعده، ليدل أنه منهج معتمد، ولم يكن أمراً عارضاً.

وإذا كانت مراعاة التروي بلغت هذا المستوى مع المُقر بالذنب والخطيئة من قبل من يتولى القضاء الرسمي، فإن الناس يحتاجون إلى أن يراعوا ذلك في أحكامهم المتسرعة على الآخرين، بناء على ظنون وشائعات قد لا تمت إلى الحقيقة بصلة، فالثرثرة في الباطل مذمومة، وبخاصة حين تمس أعراض الأبرياء، وتُشيع الفاحشة في المجتمعات.

آملين ختم الحديث في الحلقة القادمة عما تيسر الوقوف عنده، من وقائع التحذير من آفات اللسان، حسب ما جاء في القرآن الكريم، وعن نبينا الكريم محمد، صلى الله عليه وسلم، وعلى آله الطاهرين، وأزواجه أمهات المؤمنين، وأصحابه الغر الميامين، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

الرسول الأسوة ﷺ

محمد، صلى الله عليه وسلم

يحذر من آفات اللسان

الحلقة السادسة والأخيرة

عـن أبي هُرَيْـرَةَ، عـن النـبي، صـلى اللـه عليـه وسـلم، قـال: (إِيَّاكُـمْ وَالظَّـنَّ، فـإن الظَّـنَّ أَكْـذَبُ الحديـث...) [1]

تصـدر الحلقـة السـابقة خـبر إقـرار ماعـز بارتـكاب فاحشـة الـزنى، الـذي تبـين مـن خلالـه كيـف تـأنى صـلى اللـه عليـه وسـلم في اتخـاذ القـرار الخـاص بذلـك، وكذلـك فعـل مـع الغامديـة مـن بعـده، ممـا يشـكل نبراسـاً للتـأسي في التثبـت مـن الأخبـار، الـتي تخـص أعـراض النـاس، وذلـك في إطـار منظومـة قيـم الإسـلام، الـتي تحـث عـلى الوقايـة مـن سـوء اسـتخدام اللسـان، ومـن ذلـك الحـث عـلى التثبـت، والتحقـق مـن صـدق الأخبـار، قبـل النطـق بالـكلام.

النهي عن النطق بالكلام المستند إلى آفة الظن:

الظـن مذمـوم، وفي حديـث أبي هريـرة، رضي اللـه عنـه، أعـلاه يحـذر الرسـول، صـلى اللـه عليـه وسـلم، مـن الظـن، واصفـاً إيـاه بأكـذب الحديـث، ممـا يـدل عـلى الصلـة الوثيقـة للظـن بالكـذب، الـذي هـو مـن أبـرز آفـات اللسـان وأخطرهـا، فهـو ريبـة، ويهـدي إلى الفجـور، ويفـضي بصاحبـه إلى جهنـم، وبئـس المصـير، حيـث يقـول صـلى اللـه عليـه وسـلم: (إِنَّ الصِّـدْقَ يَهْـدِي إلى الْـبِرِّ، وَإِنَّ الْـبِرَّ يَهْـدِي إلى الجَنَّـةِ، وَإِنَّ الرَّجُـلَ لَيَصْـدُقُ حـتى يكُـونَ صِدِّيقًـا، وَإِنَّ الْكَـذِبَ يَهْـدِي إلى الْفُجُـورِ، وَإِنَّ الْفُجُـورَ يَهْـدِي إلى النَّـارِ، وَإِنَّ الرَّجُـلَ لَيَكْـذِبُ حـتى يُكْتَـبَ عِنْـدَ اللَّـهِ كَذَّابًـا)[2]

---

1. صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر.

2.صحيح البخـاري، كتـاب الأدب، بـاب قـول اللـه تعـالى: {يـا أيهـا الذيـن آمنـوا اتقـوا اللـه وكونـوا مـع الصادقـين} (التوبـة: 119) ومـا ينهـى عـن الكـذب.

ونهى الله عن اتّباع الظن في قرآنه الكريم، فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ}[1]

والآيات القرآنية في النهي عن الاسترسال مع الظنون، والتحذير منها عديدة، منها، قوله تعالى: {وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنّاً إِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ} (يونس: 36)، فليس الظن كاليقين، ولا يقوم مقام الحق.[2]

التحذير من الأراجيف:

من الآفات اللسانية الفتّاكة، تلك التي تتطلق فيها الألسنة بالتصريحات الظنية أو الكاذبة، مما اصطلح على تسميتها بالإشاعات أو الأراجيف، التي هي من أمارات أمراض القلوب، التي غالباً ما تكون من مناهج المنافقين وخصائص سلوكهم، وفي التحذير من هذه الآفة الخطيرة، يقول سبحانه: {لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلا قَلِيلاً}[3]

وسجل القرآن الكريم تفصيلاً لبعض تداعيات الأراجيف الكاذبة، التي تَزَّعم شرها المنافقون، لما رُمِيَت الطاهرة أم المؤمنين عائشة، رضي الله عنها، بالإفك، ومن الآيات التي نزلت بهذا الخصوص، قوله تعالى: {إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ}[4] والمقصود حديث الإفك بضمائر الصلة في (تَلَقَّوْنَهُ، بِهِ، وَتَحْسَبُونَهُ) والضمير المنفصل (وَهُو)، ومعنى تلقونه: يأخذه بعضكم من بعض، وفي هذا الكلام، وفي الذي قبله وبعده عتاب لهم على خوضهم في حديث الإفك، وإن كانوا لم يصدقوه، فإن الواجب كان الإغضاء عن ذكره، والترك له بالكلية، فعاتبهم على ثلاثة أشياء؛ وهي: تلقيه بالألسنة؛ أي السؤال عنه، وأخذه من المسؤول، والثاني: قولهم ذلك، والثالث:

1. الحجرات: 12.
2. زاد المسير: 4/ 31.
3. الأحزاب: 60.
4. النور: 15.

أنهم حسبوه هيناً، وهو عند الله عظيم. وفائدة قوله: بألسنتكم وبأفواهكم، الإشارة إلى أن ذلك الحديث كان باللسان دون القلب، إذ كانوا لم يعلموا حقيقته بقلوبهم.[1]

وقد استهجنت أم المؤمنين عائشة أن تصل الخطيئة ببعض الناس، ليفتروا عليها ما أشاعوه، ففي الحديث الصحيح عنها: (.... قالت: قلت: سُبْحَانَ اللَّهِ، وقد تَحَدَّثَ الناس بهذا؟! قالت: فَبَكَيْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، حتى أَصْبَحْتُ لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ، ولا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، ثُمَّ أَصْبَحْتُ أَبْكِي...)[2]

ومن تداعيات الأراجيف والأكاذيب، إشاعة الفاحشة في أوساط المجتمعات، وتهديد السلم المجتمعي، وعن هذه الآفة يقول تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}[3]، الإشارة بذلك إلى المنافقين الذين أحبوا أن يشيع حديث الإفك، ثم هو عام في غيرهم ممن اتصف بصفتهم.[4]

خاتمة:

الحديث عن آفات اللسان والتحذير منها طويل، وما تم الوقوف عنده في هذه الحلقة وسابقاتها الخمس، ليس إلا عينة مما تيسر، وإلا فآفات اللسان، التي حذر منها القرآن الكريم، والحديث الشريف كثيرة، لا يتسع المجال لسردها وتفصيلها، وبخاصة أن الناس توسعوا في استخدامها، وسلكوا دربها مع تطور تقنيات التواصل والاتصال، حيث صار المجال رحباً لمن لا يتقون الله، للوقوع في إثم الاعتداء على أعراض الآخرين بالغيبة، والنميمة، والسخرية، والغمز، واللمز، وفضح الأسرار، وغير ذلك من الآفات اللسانية، مكتفين في هذه المرحلة بما تم الوقوف عنده من وقائع التحذير من آفات اللسان، حسب ما جاء في القرآن الكريم، وعن نبينا الكريم محمد، صلى الله عليه وسلم، وعلى آله الطاهرين، وأزواجه أمهات المؤمنين، وأصحابه الغر الميامين، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

---

1. التسهيل لعلوم التنزيل: 3 /61 - 62
2. صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف.
3. النور: 19.
4. التسهيل لعلوم التنزيل: 3 /62.

محمد، صلى الله عليه وسلم
لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً

عن عبد اللَّهِ بن عَمْرٍو، رضي الله عنهما، قال: (لم يَكُنْ النبي، صلى الله عليه وسلم، فَاحِشًا ولا مُتَفَحِّشًا، وكان يقول: إِنَّ من خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا)[1]

كيف للرسول، صلى الله عليه وسلم، أن لا يكون القدوة في حسن الخلق، وقد أثنى عليه رب العزة بقوله: {وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ}[2]

وفي الحديث أعلاه يصف الصحابي الجليل عبد الله بن عمر بن الخطاب، رضي الله عنهما، النبي، صلى الله عليه وسلم، بأنه لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً، وعن شرح المراد بهذين اللفظين، يذكر العيني، أن قوله: (فَاحِشًا) من الفحش، وهو كل ما خرج من مقداره حتى يستقبح، ويدخل فيه القول والفعل والصفة، يقال: فلان طويل فاحش الطول، إذا أفرط في طوله، ولكن استعماله في القول أكثر، وقوله: (ولا مُتَفَحِّشًا) وفي رواية الأكثرين (ولا متفاحشاً)، والمتفحّش بالتشديد الذي يتعمد ذلك، ويكثر منه، ويتكلفه؛ يعني ليس فيه ذلك أصلاً، لا ذاتياً ولا عرضياً، وقال الداودي: الفاحش الذي يقول الفحش، والمتفحش الذي يستعمل الفحش ليضحك الناس، وقال الطبري: الفاحش بذيء اللسان.[3]

خياركم أحسنكم أخلاقاً:

لم يكن كف النبي، صلى الله عليه وسلم، عن الفحش تكلفاً، أو أمراً عارضاً، وإنما كان من شيمه ومكارم أخلاقه، وهو القائل: (إِنَّ من خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا)، قال الحسن: حسن الخلق بذل المعروف، وترك الأذى، وطلاقة الوجه، وقال القاضي: هو مخالقة الناس باليُمن والبِشر، والتودد لهم، والإشفاق عليهم، واحتمالهم، والحلم عنهم، والصبر عليهم

1. صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي، صلى الله عليه وسلم.
2. القلم: 4.
3. عمدة القاري: 22 /116.

في المكاره، وترك الكبر، والاستطالة عليهم، ومجانبة الغلظة والغضب والمؤاخذة. قال: وحكى الطبري خلافاً للسلف في حسن الخلق، هل هو غريزة أو يكتسب؟ قال القاضي: والصحيح أن منه ما هو غريزة، ومنه ما يكتسب بالتخلق، والاقتداء بغيره.[1]

لم يكن لعاناً ولا سباباً وقوله عند المعتبة:

من مكارم أخلاقه، صلى الله عليه وسلم، وتنزهه عن الفحش، أنه لم يكن لعاناً ولا سباباً، فعن أَنَسٍ قال: (لم يَكُنْ رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، فَاحِشًا ولا لَعَّانًا، ولا سَبَّابًا، كان يقول عِنْدَ الْمَعْتَبَةِ: ما له تَرِبَ جَبِينُهُ)[2]

جاء في مرقاة المفاتيح، المقصود بقوله: (ولا لعاناً ولا سباباً) نفي اللعن والسب، وكل ما يكون من قبيل الفحش القولي، لا نفي المبالغة فيهما، وكأنه نظر إلى أن المعتاد هو المبالغة فيهما، فنفاهما على صيغ المبالغة، والمقصود نفيهما مطلقاً، كما يدل عليه آخر كلامه، (وكان يقول عند المعتبة) بفتح التاء، وقيل: بكسرها أيضاً، بمعنى الملامة والعتاب، وبمعنى الغضب، والمعنى غاية ما يقوله عند المعاتبة أو المخاصمة هذه الكلمة، معرضاً عنه، غير مخاطب له، وقوله: (ما له تَرِبَ جَبِينُهُ) وهي أيضاً ذات وجهين، إذ يحتمل أن يكون دعاء على المقول له، بمعنى رغم أنفك، وأن يكون دعاء له، بمعنى سجد لله وجهك.[3]

نبذ العنف في السُنة العملية:

من التطبيقات العملية في سيرته، صلى الله عليه وسلم، ومواقفه حيال نبذ الفحش، ما جاء في الحديث الصحيح عن عَائِشَةَ، رضي الله عنها: (أَنَّ يَهُودَ أَتَوا النبي، صلى الله عليه وسلم، فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكُمْ، فقالت عَائِشَةُ: عَلَيْكُمْ، وَلَعَنَكُمْ الله، وَغَضِبَ الله عَلَيْكُمْ، قال: مَهْلًا يا عَائِشَةُ، عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ، وَإِيَّاكِ وَالْعُنْفَ وَالْفُحْشَ، قالت: أولم تَسْمَعْ ما قالوا؟ قال: أولم تَسْمَعِي ما قلت؟ رَدَدْتُ عليهم، فَيُسْتَجَابُ لي فِيهِمْ، ولا يُسْتَجَابُ لهم فِيَّ)[4]

---

1. صحيح مسلم بشرح النووي: 15/ 79.
2. صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعن.
3. مرقاة المفاتيح: 10/ 484.
4. صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب لم يكن النبي، صلى الله عليه وسلم، فاحشاً ولا متفحشاً.

فالرسول، صلى الله عليه وسلم، في هذا الحديث الشريف يزجر عائشة، رضي الله عنها، لتوسعها في الرد على إساءة صدرت من وفد يهودي، حين قالوا: (السَّامُ عَلَيْكُمْ)؛ أي الموت عليكم، فردت عليهم بما لم يرق له صلى الله عليه وسلم، مبيناً أن رده المختصر كان كافياً، حين قال: (وعَلَيْكُمْ) فالله يستجيب له فيهم، ولا يستجيب لهم فيه، منطلقاً بهذا الفهم من يقينه المطلق، بأن الله معه، وناصره على من عاداه ويعاديه، وبين لها أن اختصار الرد على ما فيه من حسم وأخذ حق، ينسجم مع الرفق الذي حثَّ المسلمين على التحلي به، لعظيم فضله وأهميته، وهو القائل عنه: (إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إلا زَانَهُ ولا يُنْزَعُ من شَيْءٍ إلا شَانَهُ) [1]

ومن صور صرامته ضد التخلق باللعن والسباب، ما ورد منه، صلى الله عليه وسلم، تجاه الناقة التي لعنتها صاحبتها، فعن عِمْرَانَ بن حُصَيْنٍ، قال: (بَيْنَمَا رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، في بَعْضِ أَسْفَارِهِ، وَامْرَأَةٌ من الْأَنْصَارِ على نَاقَةٍ، فَضَجِرَتْ فَلَعَنَتْهَا، فَسَمِعَ ذلك رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، فقال: خُذُوا ما عليها، وَدَعُوهَا، فَإِنَّهَا مَلْعُونَةٌ، قال عِمْرَانُ: فَكَأَنِّي أَرَاهَا الْآنَ تَمْشِي في الناس، ما يَعْرِضُ لها أَحَدٌ)[2]

هدانا الله لنبذ اللعن والسباب، والتحلي بأحسن الأخلاق؛ تأسياً بالرسول محمد، صلى الله عليه وسلم، وعلى آله الطاهرين، وأزواجه أمهات المؤمنين، وأصحابه الغر الميامين، وعلى من تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

1. صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق.

2. صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها.

محمد، صلى الله عليه وسلم
يتحلى بالأدب الجم
الحلقة الأولى

عن صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيٍّ، قالت: (كان رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، مُعْتَكِفًا، فَأَتَيْتُهُ أَزُورُهُ لَيْلًا، فَحَدَّثْتُهُ، ثُمَّ قُمْتُ، فَانْقَلَبْتُ، فَقَامَ مَعِي لِيَقْلِبَنِي، وكان مَسْكَنُهَا فِي دَارِ أُسَامَةَ بن زَيْدٍ، فَمَرَّ رَجُلَانِ من الْأَنْصَارِ، فلما رَأَيَا النبي، صلى الله عليه وسلم، أَسْرَعَا، فقال النبي، صلى الله عليه وسلم: على رِسْلِكُمَا، إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ، فَقَالَا: سُبْحَانَ اللَّهِ يا رَسُولَ اللَّهِ، قال: إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي من الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا سُوءًا - أو قال شيئاً-)[1]

الرسول الأسوة، صلى الله عليه وسلم، يُعلم المسلمين العبادة والأدب، فهو القدوة الحسنة لطالبي الاستقامة في السلوك، والنجاة من الذم والقدح، وفي حديث أم المؤمنين صفية، رضي الله عنها، أعلاه يظهر عليه الصلاة والسلام، حرصه على نقاء سريرة الآخرين نحوه، فعلى الرغم من مكانته الرفيعة والسامية، وشهادة الله له بالطُهر، والنقاء الأخلاقي، حيث قال تعالى: {وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ}[2]، إلا أنه عليه الصلاة والسلام، لم يترفع عن إبداء التوضيح لعابري سبيل، مرا من جواره، وهو يرافق زوجه أم المؤمنين صفية، التي منع حجابها التعريف بشخصها، وكانت تزوره ليلاً خلال اعتكافه، فبادر ليخبرهما أن مرافقته هي زوجه صفية بنت حيي، متقياً بذلك الريبة والظن المذموم، مما يعني أن أي شخص مهما بلغت درجته ومكانته، لا يستغني عن إبعاد الشبهات عن نفسه.

1. صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده.
2. القلم: 4.

الاحتراز عن التهمة:

يقول الغزالي معقباً على ما جاء في هذا الحديث الشريف: فانظر كيف أشفق صلى الله عليه وسلم، على دينهما فحرسهما، وكيف أشفق على أمته، فعلمهم طريق الاحتراز من التهمة، حتى لا يتساهل العالم الورع المعروف بالدين في أحواله، فيقول مثلي لا يظن به إلا الخير، إعجاباً منه بنفسه، فإن أورع الناس وأتقاهم وأعلمهم لا ينظر الناس كلهم إليه بعين واحدة، بل بعين الرضا بعضهم، وبعين السخط بعضهم، فيجب الاحتراز عن ظن السوء، وعن تهمة الأشرار، فإن الأشرار لا يظنون بالناس كلهم إلا الشر.[1]

شذرات من شرح هذا الحديث الشريف:

جاء في عمدة القاري، أن معنى (وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد)؛ أي الدار التي صارت بعد ذلك لأسامة بن زيد؛ لأن أسامة إذ ذاك لم يكن له دار مستقلة، بحيث تسكن فيها صفية، وكانت بيوت أزواج النبي، صلى الله عليه وسلم، حوالي أبواب المسجد.[2]

وفيه أيضاً: أن قولها: (فانقلبت) من الانقلاب، وهو الرجوع مطلقاً، والمعنى هنا فرجعتُ إلى بيتي، (فقام النبي، صلى الله عليه وسلم، معي ليقلبني) أي ليردني إلى بيتي، وقوله: (إن الشيطان يجري) قيل: هو على ظاهره، إن الله جعل له قوة وقدرة على الجري في باطن الإنسان مجرى الدم، وقيل: استعارة لكثرة وسوسته، فكأنه لا يفارقه، كما لا يفارق دمه، وقيل: إنه يلقي وسوسته في مسام لطيفة من البدن، بحيث يصل إلى القلب، وفيه التحرز عن سوء الظن بالناس، وفيه كمال شفقته على أمته؛ لأنه خاف أن يلقي الشيطان في قلبهما شيئاً، فيهلكان؛ فإن ظن السوء بالأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، كفر.[3]

ويرى ابن حجر العسقلاني أن النبي، صلى الله عليه وسلم، لما رأى أنهما أسرعا في المشي، وفي رواية عن الزهري عند ابن حبان (فلما رأياه استحيا فرجعا)[4] فأفاد سبب رجوعهما،

1. إحياء علوم الدين: 3 /36.
2. عمدة القاري: 11/ 151.
3. عمدة القاري: 15 /174 -175 بتصرف.
4. صحيح ابن حبان: 10 / 347، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن على شرط مسلم.

وكأنهما لو استمرا ذاهبين إلى مقصدهما ما ردهما، بل لما رأى أنهما تركا مقصدهما ورجعا، ردهما، قوله: (على رسلكما) بكسر الراء ويجوز فتحها، أي على هينتكما في المشي، فليس هنا شيء تكرهانه، وفيه شيء محذوف، تقديره امشيا على هينتكما.[1]

تقدير حسن الأدب:

الرجلان عابرا السبيل لما سمعا توضيح الرسول، صلى الله عليه وسلم، وإفصاحه المعلن غير القابل للتأويل عن شخص مرافقته واسمها، أعربا عن ظنهما الحسن بقولهما: (سُبْحَانَ اللَّهِ يا رَسُولَ اللَّهِ)، والمراد بهذا القول إما حقيقة، بمعنى تنزه الله تعالى أن يكون رسوله، صلى الله عليه وسلم، متهماً بما لا ينبغي، وإما كناية عن التعجب من هذا القول.[2]

التوضيح يحبط عمل الشيطان:

علل الرسول، صلى الله عليه وسلم، إقدامه على إخبار الرجلين بشخص مرافقته واسمها، بأَنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي من الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ، أي إن الريبة تفتح المجال لسوء الظن؛ لأن الشيطان يحرص على بث الظنون في النفوس، وتضخيم الحوادث، ونسج الخيال الواهم، لذا بين عليه الصلاة والسلام، للرجلين بأنه خشي أنْ يَقْذِفَ الشيطان في قُلُوبِهِمَا سُوءًا، وفي رواية شيئاً، والمقصود ظناً سيئاً بالرسول، صلى الله عليه وسلم، ومرافقته، فبهذا التوضيح حجب شر التلبس بالظن السيئ، الذي نسب إلى الشيطان قذفه في القلوب.

هدانا الله للتحلي بحسن الخلق، الذي نأمل متابعة الحديث عنه في الحلقة القادمة، حسب ما كان من رسولنا الأسوة، صاحب الخلق الجم، صلى الله عليه وسلم، وعلى آله الطاهرين، وأزواجه أمهات المؤمنين، وأصحابه الغر الميامين، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

---

1. فتح الباري: 4/ 279.
2. عمدة القاري: 22/ 224.

محمد، صلى الله عليه وسلم
يتحلى بالأدب الجم
الحلقة الثانية والأخيرة

عن النُّعْمَانِ بن بَشِيرٍ، قال: (سمعت رَسُولَ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، يقول: (إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ، لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ من الناس، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فيه، ألا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، ألا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ، ألا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وإذا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، ألا وَهِيَ الْقَلْبُ)[*]

بينت الحلقة السابقة أن الرسول، صلى الله عليه وسلم، على الرغم من مكانته الرفيعة والسامية، وشهادة الله له بالطهر والنقاء الأخلاقي، لم يترفع أن يخبر شخصين مرا بجانبه ليلاً، أن مرافقته هي زوجه صفية بنت حيي، متقياً بذلك الريبة والظن المذموم، مما يعني أن أي شخص مهما بلغت درجته ومكانته لا يستغني عن إبعاد الشبهات عن نفسه، دحضاً لعمل الشيطان، الذي يَجْرِي من الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ، أي أن الريبة تفتح المجال لسوء الظن؛ لأن الشيطان، يحرص على بث الظنون في النفوس، وتضخيم الحوادث، ونسج الخيال الواهم، فكان التوضيح الدافع للريبة، وقاية فاعلة من وسوسة الشيطان.

في اتقاء الشبهات استبراء للدين والعرض:

للحديث الشريف أعلاه صلة واضحة بحديث "هذه صفية" الذي ناقشنا بعض أبعاده في الحلقة السابقة، فهناك كان المسعى لدفع وساوس الشيطان عن الصحابيين اللذين مرا بجانب الرسول، صلى الله عليه وسلم، وهو يرافق زوجه صفية المحجبة عنهما، وفي هذا الحديث بيان

* صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات.

واضح أن البر والاستبراء للدين والعرض في ترك المشتبه به من الأمور، وبخاصة قضايا الحلال والحرام، فبتجنب الشبهات تحصل البراءة لدين المرء من الذم الشرعي، والصيانة لعرضه عن كلام الناس، ويوضح الرسول، صلى الله عليه وسلم، الموقف الشرعي من الشبهات، بصورة من الواقع المشاهد للناس، فيقول: (إن لكل ملك حمى، وإن حمى الله محارمه)، ومعناه أن الملوك من العرب وغيرهم يكون لكلٍ منهم حمى يحميه من الناس، ويمنعهم دخوله، فمن دخله أوقع به العقوبة، ومن احتاط لنفسه لا يقارب ذلك الحمى، خوفاً من الوقوع فيه، ولله تعالى أيضاً حمى، وهي محارمه، أي المعاصي التي حرمها الله، كالقتل، والزنى، والسرقة، والقذف، والخمر، والكذب، والغيبة، والنميمة، وأكل المال بالباطل، وأشباه ذلك، فكل ذلك حمى الله تعالى، من دخله بارتكابه شيئاً من المعاصي استحق العقوبة، ومن قاربه يوشك أن يقع فيه، فمن احتاط لنفسه لم يقاربه، ولا يتعلق بشيء يقربه من المعصية، فلا يدخل في شيء من الشبهات.[1]

النهي عن اتباع خطوات الشيطان:

التنبيه إلى أن الشيطان يَجْرِي من الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ، وأنه قد يَقْذِف في القُلُوبِ سُوءًا، يتماشى تماماً مع النهي الرباني عن اتباع خطوات الشيطان، حيث يقول تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّباً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ}[2]

فالشيطان إضافة إلى كونه عدواً للإنسان مبين، فإنه يأمر بِالْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ، كما جاء في الآية القرآنية الآتية: {إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاء وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ}[3]، يقول الرازي في تفسيره الكبير عن هذه الآية الكريمة، أنها تفصل جملة عداوته، وهو مشتمل على أمور ثلاثة؛ أولها السوء، وهو متناول جميع المعاصي، سواء كانت تلك المعاصي من أفعال الجوارح، أو من أفعال القلوب، وثانيها الفحشاء، وهي نوع من السوء؛ لأنها أقبح أنواعه، وهو الذي يستعظم ويستفحش من المعاصي، وثالثها {أَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ} وكأنه

1. صحيح مسلم بشرح النووي:11 /28.
2. البقرة:168.
3. البقرة:169.

أقبح أنواع الفحشاء؛ لأنه وصف الله تعالى بما لا ينبغي من أعظم أنواع الكبائر، فصارت هذه الجملة كالتفسير لقوله تعالى: {وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ} فيدخل في الآية أن الشيطان يدعو إلى الصغائر والكبائر، والكفر، والجهل بالله[1]، لذا أمر عز وجل بالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، فقال جل شأنه: {وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}[2]

اسم المرأة ليس بعورة:

من الأمور الفقهية المستنبطة من حديث صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيٍّ، ومن قوله صلى الله عليه وسلم، بالذات:(على رِسْلِكُمَا، إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ) أنه صلى الله عليه وسلم، لم يتستر على اسم زوجه، داحضاً بذلك موقف الذين يحرصون على ستر أسماء أزواجهم وأخواتهم وبناتهم وأمهاتهم، وكأن أسماءهن عورات يقتضي سترها، فهل لدى هؤلاء حرص على العورات والأعراض أكثر منه صلى الله عليه وسلم؟! فكيف سيتحقق إشهار النكاح على الوجه التام حين يُبقى على اسم الزوجة مستوراً؟! فالذين يضعون وردة أو حرفاً بالإنجليزية أو العربية في بطاقات الدعوة إلى الأفراح، كمؤشر على اسم العروس المستور، إنما يبالغون في الحرص حد الذم، كونهم يشددون على أمر لم يفعله النبي، صلى الله عليه وسلم، بل كان منه خلافه، إضافة إلى إضاعة فرصة للإشهار الواضح بالنكاح.

أعاذنا الله من الشيطان الرجيم، ووقانا من اتباع خطواته، وهدانا سبحانه للتحلي بأخلاق رسولنا الأسوة، صاحب الخلق الجم، صلى الله عليه وسلم، وعلى آله الطاهرين، وأزواجه أمهات المؤمنين، وأصحابه الغر الميامين، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

---

1. التفسير الكبير:5 /4 - 5.
2. الأعراف: 200.

محمد، صلى الله عليه وسلم
أمره الله أن ينبه بأن الخبيث والطيب لا يستويان
الحلقة الأولى

يخاطب الله جل في علاه نبيه محمداً، صلى الله عليه وسلم، قائلاً: {قُل لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُواْ اللّهَ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}[1]

جاء في تفسير القرطبي، أن الخبيث والطيب: الحلال والحرام، وقال السدي: المؤمن والكافر، وقيل المطيع والعاصي، وقيل الرديء والجيد، وهذا على ضرب المثال، والصحيح أن اللفظ عام في الأمور جميعها، يتصور في المكاسب، والأعمال، والناس، والمعارف من العلوم، وغيرها، فالخبيث من هذا كله لا يفلح، ولا ينجب، ولا تحسن له عاقبة، وإن كثر، والطيب، وإن قل، نافع جميل العاقبة، قال الله تعالى: {وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِداً كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ}[2]

ونظير هذه الآية قوله تعالى:{أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ}[3]

وقوله تعالى: {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاء مَّحْيَاهُم وَمَمَاتُهُمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَ}[4]

فالخبيث لا يساوي الطيب مقداراً، ولا إنفاقاً، ولا مكاناً، ولا ذهاباً؛ فالطيب يأخذ جهة اليمين، والخبيث يأخذ جهة الشمال، والطيب في الجنة، والخبيث في النار، وهذا بين، وحقيقة الاستواء الاستمرار في جهة واحدة، ومثله الاستقامة، وضدها الاعوجاج.[5]

---

1. المائدة:100.
2. الأعراف:58.
3. ص:28.
4. الجاثية:21.
5. تفسير القرطبي: 6/ 327 - 328.

ومعنى الإعجاب هاهنا السرور بما يتعجب منه.[1]، وذلك أن أهل الدنيا يعجبهم كثرة المال، وزينة الدنيا.[2]

تكفل الله بتمييز الخبيث من الطيب:

يختلط الطيب بالخبيث أحياناً أو العكس، فيظهر أحدهما في صورة الآخر، أو يلتبس الأمر، فيحتاج إلى توضيح وبيان، وأحياناً يحتاج إلى اختبارات وفحص، وبخاصة حين يتعلق اللبس بالشخوص وصفاتهم، وآياتهم الدالة على مكنوناتهم، لذا اقتضت إرادة الله وحكمته أن يبتلي المؤمنين بالتمحيص، ومما قاله جل شأنه بهذا الشأن: {مَّا كَانَ اللّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ}[3]، أي ما كان في حكمة الله أن يترك المؤمنين على ما هم عليه من الاختلاط وعدم التمييز، حتى يميز الخبيث من الطيب، والمؤمن من المنافق، والصادق من الكاذب، ولم يكن في حكمته أيضاً أن يطلع عباده على الغيب الذي يعلمه من عباده، فاقتضت حكمته الباهرة أن يبتلي عباده، ويفتنهم بما يتميز به الخبيث من الطيب، من أنواع الابتلاء والامتحان، فأرسل الله رسله، وأمر بطاعتهم، والانقياد لهم، والإيمان بهم، ووعدهم على الإيمان والتقوى الأجر العظيم.

فانقسم الناس بحسب اتباعهم للرسل إلى قسمين، مطيعين وعاصين، ومؤمنين ومنافقين، ومسلمين وكافرين، ليرتب على ذلك الثواب والعقاب، وليظهر عدله وفضله وحكمته لخلقه.[4]

وفي آية قرآنية أخرى يقول عز وجل: {لِيَمِيزَ اللّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىَ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ}[5]

ومعنى يميز: يفرق بين الخبيث والطيب، والخبيث هنا الكفار، والطيب المؤمنون، وقيل الخبيث ما أنفقه الكفار، والطيب ما أنفقه المؤمنون، {فيركمه} أي يضمه، ويجعل بعضه فوق بعض.[6]

---

1. زاد المسير: 2 /432 - 433.
2. تفسير الواحدي: 1/ 337.
3. آل عمران: 179.
4. تفسير السعدي: 1/ 158.
5. الأنفال:37.
6. التسهيل لعلوم التنزيل: 2 /65.

النهي عن تعمد الإنفاق من خبيث المال:

الطيب والخبيث يكونان في أشخاص الناس وسلوكهم، ومن ذلك نفقاتهم، فمنها الطيب ومنها الخبيث، لذا أمر الله عز وجل المؤمنين بالإنفاق من الطيبات، ونهاهم عن تحري الخبيث للإنفاق منه، فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَلاَ تَيَمَّمُواْ الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ}[1]

جاء في التفسير الكبير أن الله تعالى رغّب في الإنفاق، ثم بيّن أن الإنفاق على قسمين، منه ما يتبعه المن والأذى، ومنه ما لا يتبعه ذلك، ثم إنه تعالى شرح ما يتعلق بكل واحد من هذين القسمين، وضرب لكل واحد منهما مثلاً يكشف عن المعنى، ويوضح المقصود منه على أبلغ الوجوه، ثم إنه تعالى ذكر في هذه الآية أن المال الذي أمر بإنفاقه في سبيل الله كيف ينبغي أن يكون، فقال تعالى: {أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ}، واختلفوا في المراد بالطيب في هذه الآية على قولين:

القول الأول: أنه الجيد من المال، دون الرديء، فأطلق لفظ الطيب على الجيد على سبيل الاستعارة، وعلى هذا التفسير، فالمراد من الخبيث المذكور في هذه الآية الرديء.

والقول الثاني: وهو قول ابن مسعود ومجاهد، أن الطيب هو الحلال، والخبيث هو الحرام. ولكل من القولين حججه.[2]

راجين الله عز وجل أن يكتبنا مع عباده الطيبين، وأن يجنبنا سلوك الخبيثين وشرهم، وأن يوفق لمتابعة الحديث في الحلقة القادمة عن التنبيه بأن الخبيث والطيب لا يستويان، حسب البيان الإلهي الموجه في القرآن الكريم لرسولنا محمد، صلى الله عليه وسلم، وعلى آله الطاهرين، وأزواجه أمهات المؤمنين، وأصحابه الغر الميامين، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

---

1. البقرة:267.

2 التفسير الكبير: 7/ 53 - 54.

الرسول الأسوة ﷺ

محمد، صلى الله عليه وسلم
أمره الله أن ينبه بأن الخبيث والطيب لا يستويان
الحلقة الثانية

عـن أبي هُرَيْـرَةَ، رضي اللـه عنـه، قـال: قـال رسـول اللَّـهِ، صـلى اللـه عليـه وسـلم: (أَيُّهَـا النـاس، إِنَّ اللَّـهَ طَيِّـبٌ لَا يَقْبَـلُ إلا طَيِّبًـا، وَإِنَّ اللَّـهَ أَمَـرَ الْمُؤْمِنِـينَ بِمَـا أَمَـرَ بِـهِ الْمُرْسَـلِينَ، فقـال: {يـا أَيُّهَـا الرُّسُـلُ كُلُـوا مـن الطَّيِّبَـاتِ وَاعْمَلُـوا صَالِحًـا إِنِي بِمَـا تَعْمَلُـونَ عَلِيـمٌ} وقـال {يـا أَيُّهَـا الَّذِيـنَ آمَنُـوا كُلُـوا مـن طَيِّبَـاتِ مـا رَزَقْنَاكُـمْ} ثُـمَّ ذَكَـرَ الرَّجُـلَ يُطِيـلُ السَّـفَرَ أَشْـعَثَ أَغْـبَرَ، يَمُـدُّ يَدَيْـهِ إلى السَّـمَاءِ، يـا رَبِّ يـا رَبِّ، وَمَطْعَمُـهُ حَـرَامٌ، وَمَشْرَبُـهُ حَـرَامٌ، وَمَلْبَسُـهُ حَـرَامٌ، وَغُـذِيَ بِالْحَـرَامِ، فَـأَنَّى يُسْـتَجَابُ لِذَلِـكَ؟!)(*)

تصـدرت الحلقـة السـابقة آيـة قرآنيـة خوطـب بهـا النـبي، صـلى اللـه عليـه وسـلم، ليخـبر عـن ربـه عـز وجـل، بـأن الْخَبِيـث وَالطَّيِّـب لا يسـتويان، وَلَـوْ تـم الإعجـاب بكَـثْرة الخبيـث، فالعـبرة ليسـت بالكـثرة، وإنمـا بالطيّـب النقـي مـن الخبـث، وتـم الاسـتدلال بآيـات قرآنيـة أخـرى، تضمنـت الدلالـة نفسـها، فالخبيـث لا يسـاوي الطيّـب، مـن الجهـات جميعهـا، ويختلـط الطيّـب بالخبيـث أحيانـاً أو العكـس، فيظهـر أحدهمـا في صـورة الآخـر، وأحيانـاً يحتـاج الأمـر إلى اختبـارات وفحـص، وبخاصـة حـين يتعلـق اللبـس بالشـخوص وصفاتهـم الدالـة عـلى مكنوناتهـم، لـذا اقتضـت إرادة اللـه وحكمتـه أن لا يطلـع عبـاده عـلى الغيـب، الـذي يعلمـه منهـم، وأن يبتـلي عبـاده ويفتنهـم، بمـا بـه يتميـز الخبيـث مـن الطيّـب، واللـذان يكونـان في أشـخاص النـاس وسـلوكهم، ومـن ذلـك نفقاتهم، فمنهـا الطيّـب، ومنهـا الخبيـث، فأمرهـم اللـه عـز وجـل بالإنفـاق مـن الطيبـات، ونهاهـم عـن تحـري الخبيـث لينفقـوا منـه.

---

* صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها.

اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إلا طَيِّبًا:

في الحديث النبوي المثبت المذكور آنفاً تأكيد على أهمية الإنفاق من الطيبات، فالله تعالى طيّب لا يقبل إلا طيباً، قال القاضي: الطيّب في صفة الله تعالى بمعنى المنزه عن النقائص، وهو بمعنى القدوس، وأصل الطيّب الزكاة والطهارة، والسلامة من الخبث.[1]

وأمر الله المؤمنين بالأكل من الطيبات، كما أمر الرسل، عليهم السلام، فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ}[2]

وقوله تعالى: {مّنَ الطَّيِّبَاتِ} فيه وجهان، الأول: أنه الحلال، وقيل طيبات الرزق، حلال وصاف وقوام، فالحلال الذي لا يعصى الله فيه، والصافي الذي لا ينسى الله فيه، والقوام ما يمسك النفس، ويحفظ العقل، والثاني: أنه المستطاب المستلذ من المأكل والفواكه، فبين تعالى أنه أباح لهم أكل الطيبات، كما أباح لغيرهم.[3]

وقد أمر جل وعلا في هذه الآية الكريمة رسله، عليهم الصلاة والسلام، مع أن الموجود منهم وقت نزولها واحد - وهو نبينا، صلى الله عليه وسلم - بالأكل من الطيبات، وأن يعملوا العمل الصالح، وذلك يدل على أن الأكل من الحلال له أثر في العمل الصالح، وهو كذلك، وهذا الذي أمر به الرسل في هذه الآية الكريمة، أمر به المؤمنين من هذه الأمة، وذلك في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُواْ لِلّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ}[4]،[5]

الأكل من الحرام يحول دون إجابة الدعاء:

بعد أن حث الرسول، صلى الله عليه وسلم، على الأكل من الطيبات، بين أن المطعم الحرام يحول دون استجابة دعاء آكل الحرام وشاربه، فذَكَرَ (الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلى السَّمَاءِ، يا رَبِّ، يا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ)

---

1. صحيح مسلم بشرح النووي: 7 /100.
2. المؤمنون: 51.
3. التفسير الكبير: 23 /91.
4. البقرة: 172.
5. أضواء البيان: 5/ 334.

يقول النووي: معناه، والله أعلم، أنه يطيل السفر في وجوه الطاعات كحج، وزيارة مستحبة، وصلة رحم، وغير ذلك، وقوله: (وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ) هو بضم الغين، وتخفيف الذال المكسورة، وقوله: (فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ) أي؛ من أين يستجاب لمن هذه صفته؟! وكيف يستجاب له؟!

وفي شرح النووي على صحيح مسلم، أن هذا الحديث أحد الأحاديث التي هي قواعد الإسلام، ومباني الأحكام، وفيه الحث على الإنفاق من الحلال، والنهي عن الإنفاق من غيره، وفيه أن المشروب والمأكول والملبوس ونحو ذلك، ينبغي أن يكون حلالاً خالصاً لا شبهة فيه، وأن من أراد الدعاء كان أولى بالاعتناء بذلك من غيره.(*)

والملاحظ على هذا الحديث الشريف، أنه أشاد بالطيبات من خلال بيان أن الله طيب، وأنه لا يقبل إلا طيباً، وأن المؤمنين والمرسلين أمروا بالأكل من الطيبات، ثم انتقل للتنفير من الخبائث من خلال تصوير حال الذي يدعو الله متشغفاً للإجابة، إلا أنه يفشل في تحصيلها بسبب الخبائث التي ألمت به، جراء قيام حياته على الإثم والحرام، في غذائه وشرابه وملبسه، مما يعني لزوم الحرص على الطيبات، واجتناب الخبائث.

يسر الله لنا كسب الطيب والحلال من الأرزاق، وصرف عنا مشارب الإثم والحرام، لنكون ممن يجيب الله دعاءهم، وينصرهم على من عاداهم، ووفقنا عز وجل إلى متابعة الحديث في الحلقة القادمة عن التنبيه بأن الخبيث والطيب لا يستويان، حسب الأمر الإلهي الموجه في القرآن الكريم لرسولنا محمد، صلى الله عليه وسلم، وعلى آله الطاهرين، وأزواجه أمهات المؤمنين، وأصحابه الغر الميامين، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

* صحيح مسلم بشرح النووي:7/ 100.

محمد، صلى الله عليه وسلم
أمره الله أن ينبه بأن الخبيث والطيب لا يستويان
الحلقة الثالثة

قال تعالى: {يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللّهُ فَكُلُواْ مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُواْ اسْمَ اللّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ}[1]

وقفت الحلقة السابقة عند أهمية الإنفاق من الطيبات، فالله تعالى طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إلا طَيِّبًا، وأمر الله المؤمنين بما أمر به الرسل، عليهم السلام، بالأكل من الطيبات، مع بيان أن الأكل من الحرام يحول دون إجابة الدعاء، مما يعني الحث على الإنفاق من الحلال، والنهي عن الإنفاق من غيره.

إباحة الطيبات:

في الآية الرابعة من سورة المائدة، المثبت نصها أعلاه، يجيب رب العزة عن سؤال وجه إلى نبيه الأسوة، محمد بن عبد الله، صلى الله عليه وسلم، حول ما أُحل للسائلين، طالباً إبلاغهم بالإجابة، المفيدة بأن ما أحل لهم هي الطيبات، والأكل مما يأتيهم من صيد الجوارح المعلمة، بعد ذكر اسم الله عليه، وفي آيات أخرى تأكيد لإباحة الطيبات، فيقول عز وجل: {الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلاَ مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ...}[2]

جاء في التفسير الكبير، أنه تعالى أعاد الإخبار عن أنه أحل الطيبات، لغرض أنه في آية سابقة لهذه الآية من سورة المائدة نفسها ذكر:{...الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ

1. المائدة:4.
2. المائدة:5.

نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً...}[1]، فبين أنه كما أكمل الدين، وأتمم النعمة في كل ما يتعلق بالدين، فكذلك أتم النعمة في كل ما يتعلق بالدنيا، ومنها إحلال الطيبات، والغرض من الإعادة رعاية هذه النكتة.

ثم قال تعالى: {وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ}، وفي المراد بالطعام هاهنا وجوه ثلاثة:

الأول: أنه الذبائح، يعني أنه يحل لنا أكل ذبائح أهل الكتاب.

والوجه الثاني: أنه الخبز والفاكهة، وما لا يحتاج فيه إلى الذكاة، وهو منقول عن بعض أئمة الزيدية.

والثالث: أنه المطعومات جميعاً.

والأكثرون على القول الأول، ورجحوا ذلك من وجوه، أحدها: أن الذبائح هي التي تصير طعاماً بفعل الذابح، فحمل قوله: {وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ} على الذبائح أولى، وثانيها: أن ما سوى الذبائح، فهي محللة قبل أن كانت لأهل الكتاب، وبعد أن صارت لهم، فلا يبقى لتخصيصها بأهل الكتاب فائدة، وثالثها: ما قبل هذه الآية في بيان الصيد والذبائح، فحمل هذه الآية على الذبائح أولى.[2]

إنكار تحريم الطيبات:

يُنكر الله جل في علاه المغالاة في التحريم، ومن ذلك تحريم الطيبات من الرزق، فيقول تعالى: {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}[3]

فالله تعالى أمر في هذه الآية الكريمة نبيه، صلى الله عليه وسلم، أن يسأل سؤال إنكار: من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق؟! كالأنعام والحرث التي حرمها الكفار، وصرح في مواضع أخر، أن من قال ذلك على الله، فهو مفتر عليه جل وعلا، كقوله تعالى:{وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلاَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ}[4]

---

1. المائدة:3.
2. التفسير الكبير:11 /115.
3. الأعراف:32.
4. النحل:116.

وقوله تعالى:{قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُواْ أَوْلاَدَهُمْ سَفَهاً بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ اللّهُ افْتِرَاء عَلَى اللّهِ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ}[1]

وقوله عز وجل: {قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَاماً وَحَلاَلاً قُلْ آللّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللّهِ تَفْتَرُونَ}[2]

وطلبهم في موضع آخر طلب إعجاز، أن يأتوا بالشهداء الذين يشهدون لهم أن الله حرم هذا، ونهى نبيه، صلى الله عليه وسلم، إن شهد لهم شهود زور أن يشهد معهم، وهو قوله تعالى: {قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللّهَ حَرَّمَ هَـذَا فَإِن شَهِدُواْ فَلاَ تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ}[3]، إلى غير ذلك من الآيات.[4]

الطيبات خالصة للمؤمنين يوم القيامة:

بالنسبة إلى قوله تعالى:{قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ} فيه حذف تقديره: هي للذين آمنوا وللمشركين في الحياة والدنيا، فإن أهل الشرك يشاركون المؤمنين في طيبات الدنيا، وهي في الآخرة خالصة للمؤمنين، لا حظ للمشركين فيها، وقيل: هي خالصة يوم القيامة من التنغيص والغم للمؤمنين، فإنها لهم في الدنيا قد تكون مع التنغيص والغم.[5]

سائلين الله العلي القدير أن يهدينا سواء السبيل، وصراطه المستقيم، لنحل ما أحل سبحانه، ونحرم ما حرم، ونميز الطيب من الخبيث، فنأخذ من الطيب دون الخبيث، ووفقنا عز وجل إلى متابعة الحديث في الحلقة القادمة عن التنبيه بأن الخبيث والطيب لا يستويان، حسب الأمر الإلهي الموجه في القرآن الكريم لرسولنا محمد، صلى الله عليه وسلم، وعلى آله الطاهرين، وأزواجه أمهات المؤمنين، وأصحابه الغر الميامين، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

---

1. الأنعام:140.
2. يونس:59.
3. الأنعام:150.
4. أضواء البيان:2/ 14.
5. تفسير البغوي:2/ 157.

الرسول الأسوة

محمد، صلى الله عليه وسلم

أمره الله أن ينبه بأن الخبيث والطيب لا يستويان

الحلقة الرابعة

عـن الْمِقْـدَامِ، رضي اللـه عنـه، عـن رسـول اللَّـهِ، صـلى اللـه عليـه وسـلم، قـال: (مـا أَكَلَ أَحَـدٌ طَعَامًـا قَـطُّ خَـيْرًا مـن أَنْ يَـأْكُلَ مـن عَمَـلِ يَـدِهِ، وَإِنَّ نَـبِيَّ اللَّـهِ دَاوُدَ، عليـه السَّـلَام، كان يَـأْكُلُ مـن عَمَـلِ يَـدِهِ)(*)

في الحلقـة السـابقة تـم التعـرض إلى إجابـة رب العـزة عـن سـؤال وُجِـه إلى نبيـه الأسـوة، محمـد بـن عبـد اللـه، صـلى اللـه عليـه وسـلم، حـول مـا أحـل للسـائلين، طالبـاً إبلاغهـم، بـأن مـا أحـل لهـم هـي الطيبـات، والأكل ممـا يأتيهـم مـن صيـد الجـوارح المعلمـة، بعـد ذكـر اسـم اللـه عليـه، وأنكـر اللـه تعـالى تحريـم الطيبـات مـن الـرزق.

خير الرزق ما جاء من عمل اليد:

في الحديـث الشريـف أعـلاه، يشـيد الرسـول، صـلى اللـه عليـه وسـلم، بالعمـل اليـدوي، والجهـد الـذاتي في اسـتجلاب الأرزاق، وحاجـات المعيشـة، فيبـين أن خـير الطعـام الـذي يأكلـه الإنسـان، هـو الـذي يـأتي مـن عمـل اليـد، وتحـت هـذا العنـوان العريـض، تـدرج المـوارد المنوعـة الـتي يحصلهـا الإنسـان بكـده وجهـده، وللتشـجيع أكـثر عـلى العنايـة بهـذا المنحـى في اسـتجلاب مـوارد الدخـل، وتأكيـد مكانـة الحـرص عـلى تأمـين الحاجـات واللـوازم بعمـل اليـد، تـم الاستشـهاد بنـبي اللـه داود، عليـه السـلام، الـذي لـم يكـن يـأكل إلا مـن عمـل يـده.

ويسـتخلص ابـن حجـر العسـقلاني مـن هـذا الحديـث الشريـف فوائـد، فيبـين أن فيـه فضـل العمـل باليـد، وتقديـم مـا يبـاشره الشـخص بنفسـه عـلى مـا يبـاشره بغـيره، والحكمـة في تخصيـص داود بالذكـر، أن اقتصـاره في أكلـه عـلى مـا يعملـه بيـده لـم يكـن مـن الحاجـة؛ لأنـه كان خليفـة في

* صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده.

الأرض، كما قال الله تعالى، وإنما ابتغى الأكل من طريق الأفضل، ولهذا أورد النبي، صلى الله عليه وسلم، قصته في مقام الاحتجاج بها على ما قدمه، من أن خير الكسب عمل اليد، وفي الحديث أن التكسب لا يقدح في التوكل، وأن ذكر الشيء بدليله أوقع في نفس سامعه.[1]

نعمة الرزق من الطيبات:

مما لا ريب فيه أن الحصول على الطيبات من الرزق نعمة جليلة، ومنة عظيمة، تستحق شكر الباري عليها، مصداقاً لما جاء في قوله عز وجل: {وَاذْكُرُواْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}(2)، يرى كثير من المفسرين بأن المراد هنا من قوله تعالى: {وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ} هو أنه تعالى أحل لهم الغنائم بعد أن كانت محرمة على من كان قبل هذه الأمة[3]، وقيل: إن الله جعل لكم بلداً تأوون إليه، وانتصر من أعدائكم على أيديكم، وغنمتم من أموالهم ما كنتم به أغنياء.[4]

ونوه رب العزة إلى نعمة الطيبات من الرزق في عدد آخر من آيات القرآن الكريم، فذكر سبحانه تفضله على بني إسرائيل بهذه النعمة، فقال تعالى: {وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُواْ حَتَّى جَاءهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ}[5]، وقال عز وجل:{وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ}[6]، والمراد هنا من قوله تعالى: {وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ} تلك المنافع، وأيضاً أنه تعالى أورث بني إسرائيل جميع ما كان تحت أيدي قوم فرعون، كما قال تعالى: {وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا}[7]

---

1. فتح الباري:4 /306.
2. الأنفال:26.
3. التفسير الكبير:15/ 121.
4. تفسير السعدي:1/ 319.
5. يونس:93.
6. الجاثية:16.
7. الأعراف:137.

ويذكر الله الرزق من الطيبات في قوله تعالى:{وَاللّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ}[1]

بالنسبة إلى الطيبات هنا، قال الكلبي: يعني الحلال، إن أخذتم به، وقال مقاتل: الطيبات؛ الخبز، والعسل، وغيرهما من الأشياء الطيبة، بخلاف رزق البهائم والطيور.[2]

ويذكر سبحانه الرزق من الطيبات في سياق آخر، فيقول عز وجل: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلا}[3]

والمراد بالطيبات هنا الزروع، والثمار، واللحوم، والألبان من سائر أنواع الطعوم، والألوان المشتهاة اللذيذة، والمناظر الحسنة، والملابس الرفيعة من سائر الأنواع، على اختلاف أصنافها، وألوانها، وأشكالها، مما يصنعونه لأنفسهم، ويجلبه إليهم غيرهم من أقطار الأقاليم والنواحي.[4]

يقول تعالى: {اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَاراً وَالسَّمَاء بِنَاء وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}[5]، وفي التفسير أن المراد بالطيبات هنا المستلذات؛ لأنه إذا جاء ذكر الطيبات في معرض الإنعام، فيراد به المستلذات، وإذا جاء في معرض التحليل والتحريم، فيراد به الحلال والحرام.[6]

متعنا الله بالطيبات من الرزق، وهدانا سبحانه لنحل ما أحل، ونحرم ما حرم، ونميز الطيب من الخبيث، ووفقنا عز وجل إلى متابعة الحديث في الحلقة القادمة عن التنبيه بأن الخبيث والطيب لا يستويان، حسب الأمر الإلهي الموجه في القرآن الكريم لرسولنا محمد، صلى الله عليه وسلم، وبارك عليه، وعلى آله الطاهرين، وأزواجه أمهات المؤمنين، وأصحابه الغر الميامين، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

---

1. النحل:72.
2. تفسير السمرقندي:2 /282.
3. الإسراء:70.
4. تفسير ابن كثير:3/ 52.
5. غافر:64.
6. التسهيل لعلوم التنزيل:4 /8.

محمد، صلى الله عليه وسلم
أمره الله أن ينبه بأن الخبيث والطيب لا يستويان

الحلقة الخامسة

عـن أبي هُرَيْـرَةَ، رضي اللـه عنـه، أَنَّ رَسُـولَ اللَّـه، صـلى اللـه عليـه وسـلم، قـال: (يَعْقِـدُ الشَّـيْطَانُ عـلى قَافِيَـةِ رَأْسِ أَحَدِكُـمْ إذا هـو نَـامَ ثَـلَاثَ عُقَـدٍ، يَـضْرِبُ كُلَّ عُقْـدَةٍ عَلَيْـكَ لَيْـلٌ طَوِيـلٌ فَارْقُـدْ، فَـإِنْ اسْـتَيْقَظَ، فذكـر اللَّـهَ، انْحَلَّـتْ عُقْـدَةٌ، فَـإِنْ تَوَضَّـأَ انْحَلَّـتْ عُقْـدَةٌ، فَـإِنْ صـلى انْحَلَّـتْ عُقْـدَةٌ، فَأَصْبَـحَ نَشِـيطًا، طَيِّـبَ النَّفْـسِ، وَإِلَّا أَصْبَـحَ خَبِيـثَ النَّفْـسِ كَسْـلَانَ)(*)

بينـت الحلقـة السـابقة بـأن خـير الـرزق وأطيبـه، مـا جـاء مـن عمـل اليـد، اسـتناداً إلى حديث نبـوي صحيـح، والـذي تضمـن الاستشـهاد بنـبي اللـه داود، عليـه السـلام، الـذي لـم يكـن يـأكل إلا مـن عمـل يـده.

كما بينـت الحلقـة بـأن نعمـة الـرزق مـن الطيبـات الجليلـة، وتـم التنويـه إليهـا في عـدد مـن آيـات القـرآن الكريـم، وهـي جديـرة بشـكر البـاري جـل في عـلاه.

والمـراد بالطيبـات مـن الـرزق يتحـدد بنـاء عـلى السـياق الـذي يـرد ذكرهـا فيـه، فهـي الحـلال والـزروع والثمـار واللحـوم والألبـان، وسـائر أنـواع الطعـوم والألـوان المشـتهاة اللذيـذة، والمناظـر الحسـنة، والملابـس، عـلى اختـلاف أصنافهـا وألوانهـا وأشـكالها، وهـي المسـتلذات.

طَيِّب النَّفْسِ وخبيثها:

في الحديـث الشريـف أعـلاه، اسـتحضار لذكـر نفـس طيبـة، وأخـرى خبيثـة، فالـذي يسـتيقظ لأداء صـلاة الفجـر يصبـح نَشِـيطًا طَيِّـبَ النَّفْـسِ، أمـا الـذي يستسـلم للنـوم، ويفوتـه أداء صـلاة الفجـر في وقتهـا مـن طلـوع الفجـر الصـادق إلى مـا قبـل أن تـبزغ الشـمس، فيصبـح خَبِيـثَ النَّفْـسِ كَسْـلَانَ، جـاء في عمـدة القـاري، أن قولـه: (أصبـح نشـيطاً) أي لـسروره بمـا وفقـه اللـه تعـالى مـن

* صحيح البخاري، كتاب التهجد، باب عقد الشيطان على قافية الرأس إذا لم يصل بالليل.

الطاعة، ولما بارك الله له في نفسه، وتصرفه في كل أموره، وبما زال عنه من عقد الشيطان، وقوله: (وإلاّ أصبح خبيث النفس) يعني بتركه ما كان اعتاده، أو نواه من فعل الخير، وقوله: (كسلان) يعني ببقاء أثر تثبيط الشيطان عليه، قال الكرماني: واعلم أن مقتضى (وإلاَّ أصبح) أن من لم يجمع الأمور الثلاثة، الذكر، والوضوء، والصلاة، فهو داخل تحت من يصبح خبيثاً كسلاناً، وإن أتى ببعضها.[1]

النهي عن استبدال الخبيث بالطيب:

من متعلقات الحديث عن افتراق الطيب عن الخبيث، النهي عن استبدال الخبيث بالطيب، ومن الآيات القرآنية التي ورد فيها مثل هذا النهي، قوله تعالى:{وَآتُواْ الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَتَبَدَّلُواْ الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيراً}[2]، جاء في التسهيل لعلوم التنزيل أن بعضهم كان يبدل الشاة السمينة من مال اليتيم بالمهزولة من ماله، والدرهم الطيب بالزائف، فنهوا عن ذلك، وقيل المعنى: لا تأكلوا أموالهم، وهو الخبيث، وتدعوا مالكم، وهو الطيب، {ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم} فنهاهم الله تعالى أن يأكلوا أموال اليتامى مجموعة إلى أموالهم، وقيل: نهى عن خلط أموالهم بأموال اليتامى، ثم أباح ذلك بقوله تعالى:{وإن تخالطوهم فإخوانكم}.[3]

وفي المحصلة؛ فالله ينهى عن ترك الطيب، والأخذ بالخبيث بدلاً عنه، وهذا الاستبدال يمكن أن يحدث في المطعومات، والمشروبات، والملبوسات، والأفكار، والعقائد، والمواقف، والأقوال، والأفعال.

نبات البلد الطيب ونبات البلد الخبيث:

من المقارنات التي أجراها القرآن الكريم بين الخبيث والطيب، تلك التي تم التفريق فيها بين البلد الطيب والبلد الخبيث، فقال تعالى:{وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِداً كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ}[4]، والمراد بالبلد الطيب هنا هو

1. عمدة القاري:7 /194.
2. النساء:2.
3. التسهيل لعلوم التنزيل:1 /129.
4. الأعراف:58.

الكريم من الأرض، وجيد التراب، {والذي خبث} بخلاف ذلك، كالسبخة ونحوها، وقوله: {بإذن ربه} عبارة عن السهولة، والطيب والنكد بخلاف ذلك.[1]

يقول الرازي: إن المشهور أن هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن والكافر، بالأرض الخيرة، والأرض السبخة، وشبه نزول القرآن بنزول المطر، فشبه المؤمن بالأرض الخيرة، التي نزل عليها المطر، فيحصل فيها أنواع الأزهار والثمار، وأما الأرض السبخة، فهي وإن نزل المطر عليها، لم يحصل فيها من النبات، إلا النزر القليل، فكذلك الروح الطاهرة النقية عن شوائب الجهل، والأخلاق الذميمة، إذا اتصل بها نور القرآن، ظهرت فيها أنواع من الطاعات، والمعارف، والأخلاق الحميدة، أما الروح الخبيثة الكدرة، وإن اتصل بها نور القرآن، لم يظهر فيها من المعارف، والأخلاق الحميدة، إلا القليل.

وهناك قول آخر بأنه ليس المراد من الآية تمثيل المؤمن والكافر، وإنما المراد أن الأرض السبخة يقل نفعها وثمرتها، ومع ذلك فإن صاحبها لا يهمل أمرها، بل يتعب نفسه في إصلاحها، طمعاً منه في تحصيل ما يليق بها من المنفعة، فمن طلب هذا النفع اليسير بالمشقة العظيمة، فلأن يطلب النفع العظيم الموعود به في الدار الآخرة، بالمشقة التي لا بد من تحملها في أداء الطاعات، كان ذلك أولى.[2]

راجين أن نكون من أصحاب النفوس الطيبة، التي تزهر بالإيمان، وأن يجنبنا الله التلبس بسمات النفس الخبيثة، مع عقد الأمل على متابعة الحديث في الحلقة القادمة عن التنبيه بأن الخبيث والطيب لا يستويان، حسب الأمر الإلهي الموجه في القرآن الكريم لرسولنا محمد، صلى الله عليه وسلم، وعلى آله الطاهرين، وأزواجه أمهات المؤمنين، وأصحابه الغر الميامين، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

1. التسهيل لعلوم التنزيل:2 /35.

2. التفسير الكبير:14/ 117.

محمد، صلى الله عليه وسلم
أمره الله أن ينبه بأن الخبيث والطيب لا يستويان
الحلقة السادسة والأخيرة

عن أبي مُوسَى، عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: (إِنَّ مَثَلَ ما بَعَثَنِيَ الله به عز وجل من الْهُدَى وَالْعِلْمِ، كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَت منها طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ، قَبِلَت الْمَاءَ، فَأَنْبَتَت الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وكان منها أَجَادِبُ، أَمْسَكَت الْمَاءَ، فَنَفَعَ الله بها الناس، فَشَرِبُوا منها، وَسَقَوْا، وَرَعَوْا، وَأَصَابَ طَائِفَةً منها أُخْرَى، إنما هِيَ قِيعَانٌ، لَا تُمْسِكُ مَاءً، ولا تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ من فَقُهَ في دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعَهُ بِمَا بَعَثَنِيَ الله بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ من لم يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، ولم يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الذي أُرْسِلْتُ بِهِ)[1]

في إطار التنبيه بأن الخبيث والطيب لا يستويان، وقفت الحلقة السابقة عند نموذج لنفس طيبة وأخرى خبيثة، فالذي يؤدي صلاة الفجر يصْبَح نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ، أما الذي يستسلم للنوم، وتفوته صلاة الفجر، يصْبَح خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ، ومن متعلقات افتراق الطيب عن الخبيث، النهي عن استبدال الخبيث بالطيب، كما جاء في عدد من الآيات القرآنية.

طائفة طيبة وأخرى قيعان:

يؤكد الحديث الشريف أعلاه، المعنى الذي دل عليه قوله تعالى: {وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِداً كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ}[2]، حيث تم

1. صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب بيان مثل ما بعث به النبي، صلى الله عليه وسلم، من الهدى والعلم.

2. الأعراف: 58.

التفريق بين البلد الطيب والبلد الخبيث، وحسب المشهور المثبت في الحلقة السابقة؛ فإن هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن والكافر، حيث شبه نزول القرآن بنزول المطر، فشبه المؤمن بالأرض الخيرة، التي نزل عليها المطر، فيحصل فيها الإنبات والإثمار، وأما الأرض السبخة، فهي وإن نزل المطر عليها، لم يحصل فيها من النبات، إلا النزر القليل.

والرسول، عليه الصلاة والسلام، يقارن بين طائفتين حسب موقفيهما مما بعثه الله به من الهدى والعلم، فشبه إحداهما بغَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَتْ منها طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ، قَبِلَتْ الْمَاءَ، فَأَنْبَتَتْ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وكان منها أَجَادِبُ أَمْسَكَتْ الْمَاءَ، فَنَفَعَ الله بها الناس، فَشَرِبُوا منها، وَسَقَوْا، وَرَعَوْا، أما الطائفة الأخرى فهِيَ قِيعَانٌ، لَا تُمْسِكُ مَاءً، ولا تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ من فَقُهَ في دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعَهُ بِمَا بعث به النبي، عليه الصلاة والسلام، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ من لم يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، ولم يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الذي أُرْسِل بِهِ، عليه الصلاة والسلام.

الطيبات للطيبين والخبيثون للخبيثات:

من المقارنات التي أجراها القرآن الكريم بين الطيب والخبيث، في سياق الإشادة بالطيب، وذم الخبيث، تلك المزاوجة بين الشرائح المنسجمة من الصنفين، فقال جل في علاه:{الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُوْلَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ}(*)

يقول الرازي: اعلم أن الخبيثات تقع على الكلمات التي هي القذف الواقع من أهل الإفك، وتقع أيضاً على الكلام الذي هو كالذم واللعن، ويكون المراد من ذلك لا نفس الكلمة التي هي من قبل الله تعالى، بل المراد مضمون الكلمة، وتقع أيضاً على الزواني

* النور:26.

مـن النسـاء، وفي هـذه الآيـة كل هـذه الوجـوه محتملـة، فـإن حملناهـا عـلى القـذف الواقـع مـن أهـل الإفـك، كان المعـنى الخبيثـات مـن قـول أهـل الإفـك، للخبيثـين مـن الرجـال، وبالعكـس، والطيبـات مـن قـول منكـري الإفـك، للطيبـين مـن الرجـال، وبالعكـس، وإن حملناهـا عـلى الـكلام الـذي هـو كالـذم واللعـن، فالمعـنى أن الـذم واللعـن معـدان للخبيثـين مـن الرجـال، والخبيثـون منهـم معرضـون للعـن والـذم، وكـذا القـول في الطيبـات، وأولئـك إشـارة إلى الطيبـين، وأنهـم مـبرءون ممـا يقـول الخبيثـون مـن خبيثـات الكلمـات، وإن حملنـاه عـلى الـزواني، فالمعـنى الخبيثـات مـن النسـاء للخبيثـين مـن الرجـال، وبالعكـس، عـلى معـنى قولـه تعالى:{الـزَّانِي لاَ يَنكِـحُ إِلاَّ زَانِيَـةً}[1]، والطيبـات مـن النسـاء للطيبـين مـن الرجـال، والمعـنى أن مثـل ذلـك الرمـي الواقـع مـن المنافقـين، لا يليـق إلا بالخبيثـات والخبيثـين، لا بالطيبـات والطيبـين، كالرسـول، صـلى اللـه عليـه وسـلم، وأزواجه.[2]

إباحة الطيبات وتحريم الخبائث:

في إطـار الثنـاء عـلى الطيـب وذم الخبيـث، بـين سـبحانه أن مـن مـيزات النـبي محمـد، صـلى اللـه عليـه وسـلم، وخصائصـه، أنـه يحـل الطيبـات، ويحـرم الخبائـث، فقـال عـز وجل:{الَّذِيـنَ يَتَّبِعُـونَ الرَّسُـولَ النَّـبِيَّ الأُمِّـيَّ الَّـذِي يَجِدُونَـهُ مَكْتُوبـاً عِندَهُـمْ فِي التَّـوْرَاةِ وَالإِنْجِيـلِ يَأْمُرُهُـم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُـمْ عَـنِ الْمُنكَـرِ وَيُحِـلُّ لَهُـمُ الطَّيِّبَـاتِ وَيُحَـرِّمُ عَلَيْهِـمُ الْخَبَائِـثَ...}[3]

رجـح الـرازي في تفسـيره أن المـراد بالطيبـات هنـا الأشـياء المسـتطابة بحسـب الطبـع؛ وذلـك لأن تناولهـا يفيـد اللـذة، والأصـل في المنافـع الحـل، فكانـت هـذه الآيـة دالـة عـلى أن الأصـل في كل

1. النور:3.
2. التفسير الكبير:23/ 169
3. الأعراف:157.

ما تستطيبه النفس، ويستلذه الطبع الحل، إلا لدليل منفصل، والمراد بالخبائث كل ما يستخبثه الطبع، وتستقذره النفس، وما كان تناوله سبباً للألم، والأصل في المضار الحرمة، فكان مقتضاه أن كل ما يستخبثه الطبع، فالأصل فيه الحرمة، إلا لدليل منفصل.[*]

وبالحديث عن إباحة الطيبات وتحريم الخبائث، نختم في هذه المرحلة الحديث عن التنبيه بأن الخبيث والطيب لا يستويان، حسب الأمر الإلهي الموجه في القرآن الكريم لرسولنا محمد، صلى الله عليه وسلم، عليه وعلى آله الطاهرين، وأزواجه أمهات المؤمنين، وأصحابه الغر الميامين، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

* التفسير الكبير:15/ 21 - 22.

فهرس الكتاب

الرسول الأسوة محمد، صلى الله عليه وسلم		
الفصل الأول/ عبادات		
.1	ودعاؤه إذا قام من الليل - الحلقة الأولى	7
.2	ودعاؤه إذا قام من الليل - الحلقة الثانية	10
.3	ودعاؤه إذا قام من الليل - الحلقة الثالثة والأخيرة	13
.4	يبين أركان الإسلام	16
.5	يؤكد فرض صيام رمضان ويبين فضله	19
.6	يبشر الصائمين بمقامهم في الآخرة	22
.7	يربط قبول الصيام والمثوبة عليه بسلوك الصائم - الحلقة الأولى	25
.8	يربط قبول الصيام والمثوبة عليه بسلوك الصائم - الحلقة الثانية والأخيرة	28
.9	يودع رمضان بشد المئزر، وإحياء الليل، وإيقاظ الأهل	31
.10	يسن صيام الستة من شوال	34
.11	يبين فضل أيام من ذي الحجة	37
.12	يبين فضل عرفة والنحر والأضحى	40
.13	يبشر الحجاج والمعتمرين	43
الفصل الثاني/ معاملات		
.1	يحذر من المماطلة في أداء الديون - الحلقة الأولى	47
.2	يحذر من المماطلة في أداء الديون - الحلقة الثانية	50
.3	يحذر من المماطلة في أداء الديون - الحلقة الثالثة	53
.4	يحذر من المماطلة في أداء الديون - الحلقة الرابعة والأخيرة	56

.5	يشجع على إنظار المعسر - الحلقة الأولى	59
.6	يشجع على إنظار المعسر - الحلقة الثانية والأخيرة	62
	الفصل الثالث/ السيرة النبوية	
.1	من فيح مؤاخاته بين المهاجرين والأنصار - الحلقة الأولى	66
.2	من فيح مؤاخاته بين المهاجرين والأنصار - الحلقة الثانية	69
.3	من فيح مؤاخاته بين المهاجرين والأنصار - الحلقة الثالثة والأخيرة	72
.4	يقيم في المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم - الحلقة الأولى	75
.5	يقيم في المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم - الحلقة الثانية والأخيرة	78
	الفصل الرابع/ المسرى والأسرى	
.1	وعنايته بالمسرى والأسرى - الحلقة الأولى	82
.2	وعنايته بالمسرى والأسرى - الحلقة الثانية والأخيرة	85
.3	يُبقي المسجد الأقصى المبارك في وجدان المسلمين وبؤرة اهتمامهم - الحلقة الأولى	88
.4	يُبقي المسجد الأقصى المبارك في وجدان المسلمين وبؤرة اهتمامهم - الحلقة الثانية	91
.5	يُبقي المسجد الأقصى المبارك في وجدان المسلمين وبؤرة اهتمامهم - الحلقة الثالثة والأخيرة	94
.6	يؤكد على مكانة المسجد الأقصى المبارك في الإسلام	97
	الفصل الخامس/ أخلاق وقيم	
.1	حثّ على الصبر عند مواجهة الأعداء - الحلقة الأولى	102
.2	حثّ على الصبر عند مواجهة الأعداء - الحلقة الثانية	105
.3	حثّ على الصبر عند مواجهة الأعداء - الحلقة الثالثة	108
.4	حثّ على الصبر عند مواجهة الأعداء - الحلقة الرابعة	111
.5	حثّ على الصبر عند مواجهة الأعداء - الحلقة الخامسة	114

.6	حثّ على الصبر عند مواجهة الأعداء - الحلقة السادسة والأخيرة	117
.7	ينفر من الحرص على تولي الإمارة - الحلقة الأولى	120
.8	ينفر من الحرص على تولي الإمارة - الحلقة الثانية	123
.9	ينفر من الحرص على تولي الإمارة - الحلقة الثالثة والأخيرة	126
.10	يوصي بالأم وبرها - الحلقة الأولى	129
.11	يوصي بالأم وبرها - الحلقة الثانية	132
.12	يوصي بالأم وبرها - الحلقة الثالثة	135
.13	يوصي بالأم وبرها - الحلقة الرابعة والأخيرة	138
.14	يحذر من آفات اللسان - الحلقة الأولى	141
.15	يحذر من آفات اللسان - الحلقة الثانية	144
.16	يحذر من آفات اللسان - الحلقة الثالثة	147
.17	يحذر من آفات اللسان - الحلقة الرابعة	150
.18	يحذر من آفات اللسان - الحلقة الخامسة	153
.19	يحذر من آفات اللسان - الحلقة السادسة والأخيرة	156
.20	لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً	159
.21	يتحلى بالأدب الجم - الحلقة الأولى	162
.22	يتحلى بالأدب الجم - الحلقة الثانية والأخيرة	165
.23	أمره الله أن ينبه بأن الخبيث والطيب لا يستويان - الحلقة الأولى	168
.24	أمره الله أن ينبه بأن الخبيث والطيّب لا يستويان - الحلقة الثانية	171
.25	أمره الله أن ينبه بأن الخبيث والطيّب لا يستويان - الحلقة الثالثة	174
.26	أمره الله أن ينبه بأن الخبيث والطيّب لا يستويان - الحلقة الرابعة	177
.27	أمره الله أن ينبه بأن الخبيث والطيّب لا يستويان - الحلقة الخامسة	180
.28	أمره الله أن ينبه بأن الخبيث والطيّب لا يستويان- الحلقة السادسة والأخيرة	183

صلى الله على محمد